و هي

**ألسلسلة آلفلسفيّة آلكونيّة :**

**ألمراتب آلكونيّة – ألوجوديّة ـ للأنسان (ألمُفكّر) في فلسفتنا آلكونيّة هي :**
**قارئ ـ مثقّف ـ كاتب ـ مُفكّر ـ فيلسوف ـ فيلسوف كونيّ ـ عارف حكيم .**

# دورُ آلفكر في تَقويمِ ألحَياةِ

## إستكمال لمعنى آلفكر وآلثّقافة و ألحضارة لتحقيق ألسّعادة

**ألعارف الحكيم : عزيز حميد مجيد**
**تأليف سنة 2005م**

و هي

بسم الله الرحمن الرحيم

و هي

5.....

# ألفهرست :

و هي



**فهرست المواضيع ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ الصفحة**

**1- ألأهداء..................................................................................9**
**2- جمال آلثّقافة و آلفكر و فوقهما ألفلسفة........................................14**
**3- ألمُقدّمة..................................................................................19**
**4- مفهوم الحضارة........................................................................25**
**5- مفهوم ألمدنيّة..........................................................................32**
**6- مكانة و دور و مصير الأنسان في الوجود.......................................37**
**7- دور ألفكر في تقويم الحياة...........................................................43**
**8- خلاصة المطلوب ممّا تقدّم...........................................................48**
**9- سؤآلان كبيران.........................................................................52**
**10- ألسؤآل الأكبر الفاصل و المصيري...............................................56**
**11- فلسفة ألصراع الأزلي بين الخير و الشّر.........................................65**
**12- لماذا ماتت الفلسفة في الوسط الإسلامي.........................................69**
**13-أهم العوامل التي أدّت إلى ظهور الفلسفة أساساً.................................76**
**14- ألعصور الفلسفية......................................................................85**
**15-ألعناصر الأساسية لأدارة الثقافة و إستراتيجيتها ...............................92**
**16- إستراتيجيات إدارة المعرفة...........................................................99**
**17- ما هي متطلبات إدارة المعرفة .....................................................103**
**18- أسئلة تخصّ الأستراتيجيّات لفهم أعمق للموضوع.............................108**
**19- نماذج عربيّة – إسلامية لأنتاج المعرفة – نموذج مالك بن نبي..............115**
**20- إنتاج العلم و الثقافة...................................................................120**
**21- منهج نصر محمد عارف – نحو إعادة بناء المفهوم............................121**
**22- منهج عبد الوهاب المسيري.........................................................126**
**23- أنسنة الثقافة و الرموز الثقافية كأدوات للتحليل الفكريّ.......................132**
**24- دور الأنتاج العلمي و الثقافي و المعرفي في الحضارة.......................138**
**25- نداء الفلاسفة و دورهم في إنقاذ العالم...........................................143**
**26- جذور الأنحرافات الأخلاقية لدى البشر..........................................148**
**27- محنة الرسالات السماوية............................................................158**
**28- دور الرّقابة الغيبيّة في تقويم العلاقات السياسية و الأخلاقية.................163**
**29- سايكلوجيا المعايير النسبية و المطلقة في السياسة و الأخلاق...............165**
**30- ألخيال بين الحقيقة و الوهم.........................................................175**
**31- خلاصة الكتاب.......................................................................189**
**32- الخاتمة.................................................................................193**
**33- أسئلة لما بعد الفكر لتقويم الحياة..................................................196**
**34- ألمصادر................................................................................198**

و هي

8.....

# إهداء

## إهداء :

**مهداة لروح العراق التي مثّلها الشهداء العظام الصّفوة .. ألذين لم تسعهم الأرض و لا الأجساد المحدودة التي حجّمت حركتهم بدورة دمويّة في مدار مغلق و محدود .. فكسروا ذلك الطوق و المدار لينطلقوا إلى رحاب الكون كله ليتركونا و العراق بلا روح في غفلة من الزمن بسبب أجهل حزب عرفته البشرية منذ العصر الحجري و لليوم فضاع البلاد و العباد الذين مالوا مع المال وآلفتن و المناصب بعد ما ماتت ارواحهم و إنحشروا في الفساد الذي إستشرى في العراق و العالم كله .. لتفاقم الجّهل و الأميّة الفكريّة كإفراز طبيعي لثقافة الأحزاب المتسلطة و المتحاصصة حتى الموت .. و هيهات أن يفلح بلد و شعب و أمّة تنبذ القراءة و الشهداء المثقفين أمثال أولئك العاشقين الذين نساهم الشعب و تنكروا لدورهم الكونيّ, بينم وحدهم تحمّلوا رايات الفكر و العلم و المحبة و الجمال للعالم لإنقاذه من الفساد والجّهل المقدس المستشري بين الناس.**

**إلى روح أولئك الكونيّون ..**
**أهدي كتابيّ هذا .. خصوصاً لأساتذتي الكبار الصفوة و في مقدّمتهم الشيخ المهندس بديع الشيخ عبد الرّزاق ممّثل المرجعية العظمى و الشيخ حسين معن و صاحب دخيل و الأستاذ طالب غلام و الأستاذ رشيد أبو محمد الخياط و الدكتور منذر المسيحي و المهندس سعدي فرحان و أصحابه ألذين علّمونا الكثير يوم كان العراق يمرّ بسباتٍ عميقٍ غاطسين في بحار الجّهل و الأوهام و آلأميّة البعثية الفكريّة, فلطالما حدّثونا عن آيات وحِكم الله و جماله و لطائفه و قدرته و عظمته و موقعه تعالى في قلوب المصلحين و موقعهم هم في قلب الله تعالى بالمقابل .. فآلعشق المتبادل كان قائماً بين الخالق و عشاقه؛ بين العاشق و المعشوق!**

**بينما محنة بلاد الرافدين كانت تتزايد و الغربان من حوله تُحلّق في أجوائها الملتهبة ؛ كنا نحن الثلة آلفتية المؤمنة نتواصى فيما بيننا كأصحاب الحسين(ع) .. يضمّ بعضنا بعضاً كآلعاشقين عند اللقاء خصوصاً بموسى و وافي البصري و كريم و محمد و فؤآد و مؤمن و غيرهم .. رغم ذلك الحصار المرعب و القهر و الشدّة و قلّة الناصر و المعين ؛ لكننا بقينا على العهد أحبّاء و عاشقين كروح موحدة و أنفاس طاهرة كانت تُضيئ مجالسنا وهم يتلون آيات الله و قصص الأنبياء و مواقف أصحابهم و هم يتواصون بآلحقّ و لم يمدّوا يد السلام للظالمين رغم الإغراآت, بل صبروا كصبر الحسين(ع) حتى ملّ الصّبر منهم, و كانت لأوّل مرّة في التأريخ بعد مأساة عاشوراء؛ يُعلن آلصّبر إستسلامه أمام أولئك الأفذاذ الكونيين, لأنّ أهل العراق حتى سكان المدن المقّدسة .. ركعت بعد ما خُليت من أهل الحقّ كمحمد باقر الصدر, و حلّ محلّهم الشياطين الذين يحكمون آلآن و من حولهم من المرتزقة المنافقين مُدّعين نصرتهم كذباً و دجلاً للأسلام و لنهج آلفيلسوف الكونيّ, لأنهم كانوا ينتمون إلى أحزاب الجّهل و المخابرات و الأمن و آلجيش و آلشرطة و لم يتعلم أفضلهم من الحياة سوى آلغيبة و و التجسس و زرع العداوة و القساوة و الفرقة بين المحبين حتى داخل العائلة ليصطادوا في الماء العكر ما يمكن صيده , لكننا وحدنا صمدنا صمود البدرين في معركة غير متكافئة البته, و ما زلنا نواجه بقايا أولئك الخبثاء المنافقين الذين لا يرتاحون في مجالسهم إلا لتلك العادات و كشف عورات الناس و سرقة أموالهم كثقافة أصيلة لهم!؟**

**10.....**

**ونحن ما زلنا حتى في الوضع الجديد؛ نبتسم للموت الذي كلكل على العالم لنشر الثقافة و القيم و الرحمة و المحبة بين الناس رغم أننا صرنا كآلفريق الخاسر نعيش خارج الزمان و المكان لقساوة الناس وإنغماسهم في الملذات و آلرواتب الحرام, و هكذا نعيش سنوات حياتنا و للآن بظل هذه الأجواء اللاهبة, و ما زلنا صابرين لا نبغي سوى نشر الحقّ و العلم و الفكر لرضا الله تعالى مقابل كل الظلم بسبب فعال الأحزاب المتحاصصة التي لا تضم اليوم بين كتائبها إلا الأنتهازي و آلظالم و الفاسد.. و نحن ما زلنا نقاوم لهداية الناس الذين ما زالوا يعيشون من ناحية الثقافة و الفكر والأيمان في القاع, فما زالوا حائرين وعادوا حتى الذي يريد لهم الخير و الفلاح!؟**

**فسلام من السلام عليكم أيها الشهداء .. ها نحن على العهد سائرون و إن كُنا في آلصف الأخير بعد خيانة دعاة اليوم المتأسلمين للدّولار و المناصب , فآلشّوق غشانا للقياكم لنكمل مناسكنا بأمان عند مليك مقتدر حول العرش .. بعكس أهل الجنة الذين سارعوا لنيل ما وعدهم الله من الخيرات و آلملذات و الحُور العين و أنهار آلعسل و اللبن و آلخمر, أما أنتم أبيتم حتى تلك الملذات للبقاء عشاقاً أبد الدهر! فالملذات لم تعد لها طعم لأنّ غذائكم هو الفكر الكونيّ الذي حملتموه بأمانة مع جمالكم الذي بغيابهِ تَقَبَّحَ كلّ شيئ في العراق و العالم, فالنّاس لم تعدّ تعرف الحُبّ و لا الوفاء و لا لا الصبابة و الأشواق و لا الصّدق بعد ما فقدوا البصيرة! و أنتم طلّقتم كعليّ كلّ الدّنيا و سعيتم لِحَلّ لُغز الخلق و الوجود ؛ لتنصروا المعشوق أمام آلخلق فرميتم بأنفسكم في البلاء لتبرهنوا أن هذا الأنسان المنبوذ المخلوق في كبد؛ هو الجواب الذي ما كنتم تعلموه!**
**وها هم قد أجابوا على ما كنتم تجهلوه ولو بعد حين من الدهر, فقد تركوا حتى الجّنة لأنّها لا تسعهم بعد ما عرفوا حقيقة المحبّة التي بها كشفوا سرّ الوجود الذي بدونه يختنق العاشق و يحزن المعشوق.**
**وها أنا كما تشهدون بقيت وحدي وفيّاً أبَيّن نهجكم من كتاب العشق الذي سطّرتموه لمن يُريد المعرفة و الكمال بالوصال مع المعشوق تمهيداً لظهور منقذنا, بعد ما وصل الحال ألحضيض و المسخ كما تشهدون لكثرة المنافقين ألاهثين وراء الفساد و المواقع و لقمة الحرام , فما عند الله خيرٌ و أبقى و الحمد له أبداً.**
**ألعارف ألحكيم عزيز حميد مجيد**

و هي

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**﴿أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج/46) . صدق الله العلي العظيم .**

**[Have they not travelled through the land, and have they hearts wherewith to understand and ears wherewith to hear? Verily, it is not the eyes that grow blind, but it is the hearts which are in the breasts that grow blind] .**

و هي

## جمال و دور الثقافة والفكر وفوقهما الفلسفة في الوجود والحضارة:

جاء رجل إلى سُقراط ألحكيم يتبختر بمشيتهِ و يتباهى بجمال هيبته وإناقة مظهره و حذائه، فقال له سُقراط : [تكلّم حتى أراك]، قاصداً بسؤآله ذاك ؛ (أنّ قيمة البشر لا تكمن بمظهره و ملبسه و ماله، بل بما يحمله من أفكار و معارف يُعبّر عنها بآللسان و القلم , فإذا أَردتَ أنْ تعرف قدر إمرئ و مدى علمه وإنسانيّته و أخلاقه؛ عليكَ أنْ تقرأ ما يخطّه قلمه و تُصغي ألسّمع لهُ و تتلمّس من وراء كلماته حقيقة أمره و ما يُخفيه.

ثمّ علّق (ديستوفسكي) على كلام ألحكيم بعد مرور أكثر من ألفي سنة قائلاً: [قد يكون في أعماق المرء ما لا يُمكن نبشه و معرفته بالثرثرة .. فإيّاك أن تظنّ أنّكَ عرفته لمُجرّد آلتحدث إليه] !

و قال ديكارت : [أنا أفكّر إذا أنا موجود], إشارة لأهميّة الفكر لكونه وحده يمثل حقيقة الأنسان , بعكس ما فهمه الناس بكون الفكر مجرّد حاسة أو آلة كبقيّة مكونات الجسد بينما الجسد ما هو إلا كومة من اللحم و الدم و الشعر و العظيم و العروق, و القراءة وحدها تُنمّي قدرات الأنسان و تُحدّد قيمته.

أما أنا فقلت معلّقاً على قول سُقراط الحكيم قائلاً :
[حاول أن تفهم من المُتكلم ما يُخفيه وراء كلامه].

إنهُ تأكيدٌ على وجوب التّفكر بمراتب الوجود ودور الثقافة وفرقه عن العلم.

و هي

16.....

# [من عَرفَ (ألحقّ) عَرفَ كلّ شيئ]

## ألعارف الحكيم

و هي

18.....

# المقدمة :

## المقدمة :

**في هذا الكتاب ستُسافر معي بفكرك و روحك و خيالك الخصب و بكل أمان إلى عالم آخر, بل عوالم لم تألفها من قبل في قراآتك آلسّابقة، لأننا سنكتشف معاً عظمة و آفاق و دور و مكانة الفكر و الثقافة و الفلسفة التي تركها الشهداء العظام من بعدهم في هذا آلعالم المجنون مع معطياتها لتطوير و إنقاذ البشريّة ألمقهورة من محنها بسبب الجّهل و السياسات الظالمة للنظام العالميّ و توابعها في حكومات العالم الظالمة و الفاسدة.**

**و المعرفة في الاصطلاح الفلسفي : هي ثمرة التقابل بين (ذات مُدرِكة) و (موضوع) مُدْرَك, و هذا الكتاب هو الموضوع الذي يجب تداركه بذاتك المدركة و عقلك الواعي لمعرفة الكثير؛ كآلفكر و الثقافة و العلم و آلمعرفة و الفلسفة و الفرق بينهما لأجل حضارة راقية تحقّق غاية وجودك و معنى خلقك.**

**إنهُ كتاب (دور الفكر و الثقافة في تقويم الحياة) و بناء الدّولة الإنسانيّة العادلة – لا الميكيافيلية لتحقيق سعادة المجتمع بلا تميّز بين مواطن و مواطن حتى لو كان رئيساً و هذا الأمر يتحقق حين يتمّ تعبئة المجتمع خصوصاً النخبة فيه بآلأفكار(الكَوانتنوميّة) الكونيّة الساميّة التي تأخذ بأيدينا إلى ساحة المعرفة لتحقيق بناء علاقات طيبة مع النفس و آلمجتمع من خلال دولة عادلة و نظام لا يُظلم تحت رايتها أحد.**

**في الحياة العلميّة و العمليّة ـ و لكي نَطمئنّ لمسيرتنا في الحياة و علاقاتنا و قضايانا و الغاية من وجودنا؛ لا بُدّ من مطالعة بعض الكتب الأساسيّة كأوتاد و علامات وعناوين لوجودنا و تحركنا و كدحنا .. للثبات على نهج سليم و صالح و ثابت يُحقّق لنا هدفنا في الحياة ومن تلك الكتب كمداخل للوجود اللامتناهي, هي : ألقرآن و الكتب السّماويّة و قصّة الفلسفة و آلتأريخ كقصص الأنبياء و مقدمة ابن خلدون و قصة الحضارة لـ وول ديورانت و مجموعة إبن ورّام ومربطها نهج البلاغة للأمام عليّ(ع) وختام و جامع الكتب ودليلها؛ (الفلسفة الكونيّة ألعزيزية) كعماد لتحقيق آلحياة السعيدة .. فتلك الكتب هي الأعمدة التي بها نتمكن من بناء الحضارة و بدونها يهتز البناء الفكريّ للأنسان و يسقط مهما علا شأنه و مقامه و ثروته و سلطته!**

**تلك الكتب تعلّمنا علم الحياة الدّنيا و ظواهرها و ما بعدها لبناء الحضارة الأنسانية، خصوصاً و أن الله سبحانه و تعالى قد إستعمرنا و سخّر لنا الأرض و ما عليها لعمارتها، و هيّأ لنا تعالى كلّ متطلبات هذه الحياة ليرى أيّنا أحسن عملاً و بناءاً و عطاءاً!؟ لكن تحقيق ذلك يجب أن يكون ضمن ضوابط و مقايس كونية لا أرضية و كما هي حضارة الأنسان المعاصر الذي بنى الصروح و الناطحات على حساب سعادته!**

**ألحضارة هي علم الأخلاق و القيم و القواعد الأجتماعية, والعمران هو علم الحياة الذي أسس في الحضارة الأنسانية ـ الإسلاميّة، و هما علمان يؤديان بنا إلى أن نعرف كيف نحيا على هذه الأرض بسلام و محبة و**

وئام، و نتمتع بكل ما أعطاه الله لنا من نعم و نتحدث بهذه النعم لا بآلغيبة و المؤآمرات و الظلم و النفاق وكما هو الحال، و ما يترتب عليها من تفاعلات حضارية، و في كلّ المجالات بما فيها الخدمية المختلفة أو التجارية، وما يتصل بذلك من تطورات معرفيّة وفكريّة تعكس نمو الإنسان ورقيّه عبر العصور.

و قد عبّر (ألفيض الكاشاني) عن العلوم في بداية كتابه الموسوم بـ [المحجّة البيضاء] بكونها علمان قائلاً: [ألعلم علمان ؛ علم الأبدان و علم الأرواح], و هو إختصار بليغ لمجمل الخطاب الفكريّ و الثقافي الأنسانيّ, و كتابنا هذا يُوضّح كيفيّة عمل و دور الإنسان ألفاعل كونه السبب في إيجاد هذا الوجو و بآلتالي أساس ألبناء ألحضاريّ و العمرانيّ, من خلال ثلاث إتجاهات؛ التعامل مع الخالق وآلإنسان و الطبيعة عموماً، هذه الساحة تحدّد فاعليتنا و سلوكنا في مجال الطبيعة الماديّة و الروحيّة السلوكية، و التي في النهاية تفضي لتأسيس حضارة لها منظومات ثقافية و فكريّة ـ فلسفيّة، و الإنسان محورها و الأرض ميدانها و الخالق هاديها ألذي يُعطي للتّمدن لونه و معناه و للأخلاق و القيم حضورها و دورها في هداية البشر نحو الكمال.

و المدنيّة و السعادة لا تتحقّق إلا بتحكيم العدل و المساواة لأنهما أساس التمدن و الأمان و السّلام و المحبة و السّعادة كطريق لتحقيق مصالح المجتمع و الفرد كأصل في الحياة, و لا يمكن ذلك مع وجود الفوارق الطبقيّة السائدة و المتصاعدة في عالم اليوم و بإضطراد للأسف.

إن آلتّفكر و التركيز على تنمية المهارة و التفنن في كل صنعة يعني الوصول إلى حد إتقانها و الحذق فيها، و قديما ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك، فقد طلبوا الإبداع الذي هو إيجاد الشيء من العدم، والابتكار والإبداع و الجمال من صفات ألمدنيّة ـ الأنسانيّة، والإبداع يكون في كل مجالات الحياة كآلحِرف و الصناعة و الزراعة و البناء و حتى الفن نفسه، إن قيمة الجمال ترتبط ببنى ثقافية وتراكمات ذهنية و مناهج تربوية و تعليمية، فنرى التناغم الجمالي والانسجام الهارمونيكي ممثلين لتلك القيمة حتى في مداخل و شوارع و بنايات المدن الإسلامية، مضيفاً أنه على امتداد شوارع و مظاهر المدن نجد الجّمال يجذبنا في كل التفاصيل من كل زاوية و رُكن، حتى أننا حينما ندخل في أجوائها لا نرى إلّا كلّ ما يخطف البصر و يدفع العقل للتدبر و التأمل، و من هنا فإن إنسان هذه المدن مشبّع بروح كلها بهجة و إيجابيّة و صدق.

إن السعادة عند المشتغلين بالعلم و الفلسفة و الثقافة هي طلب العلم و بذله للبشرية لأحيائها, هي قمة العطاء عند هذه الأجيال بصورة مثالية تجعلنا نندهش من مواقفهم، و هي ليست غريبة إذ هي تأتي في سياق فلسفة التمدن و العمران و الحضارة الإنسانية، التي تسعى لعمارة الأرض من أجل سعادة الأنسان و المجتمع، و من هنا كان طبيعياً أن نرى مفهوم العلم يأخذ مساحات جديدة و بإضطراد مع الزمن، اكتسبها من التنوع و تعدد و تزاوج الاختصاصات بنمو العلوم، ذاكراً أن الهندسة من العلوم التي ارتقت في سُلّم الحضارة الإنسانيّة.

إنّ آلسياسة و إدارة آلدولة و ما تتبعها من ممارسات للسلطة و كيفية ممارسة هذه السلطة هامّة للغاية؟

حيث لها الدور الأكبر و الأهم في تنمية فقه التمدن و الحضارة الكونيّة .. لذا يتوجب عليها (الطبقة

**السياسية) أن تُقدّم لنا على أرض الواقع سنن و قوانين و مراحل البناء الأمثل التي تعطينا النسق الكونيّ المناسب لمظاهر التمدن و الأنسانية لتحقيق حياة هادئة و سعيدة و مطمئنة, فما نشهده في بلادنا و أكثر مدن العالم سواءاً ما يخص السلوك والعمارة؛ تقشعّر منها النفوس و الأبدان لعدم وجود التناسق المطلوب! فحين أزور بغداد ومدن العراق مثلاً؛ تنتابي الحيرة و القهر لعدم وجود حتى شارع يُمكنك المشي فيه براحة و أمان ناهيك عن إنعدام الهارمونيك في مكوّناتها .. و المشكلة في عدم وجود سياسيين واعين و مثقفين يحملون فكراً كأساس في عملهم لدفع الناس و تسويقهم بآلأتجاه الحضاري – المدني و الجمال و الفنون, لأن الجميع خصوصا المتحاصصون إنشغلوا في كيفية سرقة الناس و ضرب الرواتب و المواقع و الحصول على المناصب وتقسيم السلطان بسبب المعلم الذي علّمهم على هذا المنهج الخاطئ, بل وفرضت عليهم ذلك النمط المتخلف و المؤدي في آلنهاية إلى هدم الدول و إبقائها مستعمرات تحت سلطة المستكبرين.**

**فآلحياة ألحضارية التي ندعو لها تختلف ثقافتها و بنائها الفكري - الكونيّ عن المظاهر الحياتية القائمة اليوم على الخطأ و الفساد و الظلم و المكر و لقمة الحرام التي تسبب بها نمط التفكير العقليّ الرائج والإنتاج العلميّ الذي أساس نشأته يعتمد على المنهج التربوي والتعليمي و طبيعة وآفاق الدّين و العقيدة المُتبنّاة ألمُتّبعة التي يُؤمن بها الفاعل و يتبنّاها المجتمع بشكلٍ عامّ و التي وصلته من المدعين و الحاكمين على نهج ميكيافيلي, فلو كان الدّين في مجتمع مّا يأمر بآلأخلاق و التواضع و التضحية و العدالة و الأستقامة و مراعاة حقوق الآخرين حتى النظرة خصوصاً المقربين داخل العائلة؛ فأنّ النتائج تكون فاعلة وهائلة و مثمرة ومنتجه بإتجاه تحقيق البناء و التطور و السلام و السعادة الحضارية الراقية.**

**أما لو كانت مناهج التربية و التعليم و آلدّين تأمر بآلعلوّ و آلتكبر و الفوارق الطبقية و الحقوقيّة و الكذب و الفساد و نهب حقوق الناس و كما هو واقع الحال في العراق و العالم مع إختلاف التعامل والتقيّيم و الكيل بمكيالين بين فئة وأخرى أو حزب و آخر أو موافق و معارض و التقوقع و الأنانية ؛ فأنّ مصير المجتمع و نتاجه على الأصعدة المختلفة في هذه الحالة تتجه للخراب و آلدمار و كما هو الواقع في بلادنا اليوم بكل وضوح.**

**إلى جانب المدنية و العلاقات الأجتماعية السليمة و الروابط الأجتماعيّة المنتجة من التعليم و التربية الصالحة الهادفة .. تأتي مسألة الصحة و الطب و العافيّة في الأبدان و الأرواح لأنّ(العقل السليم في الجسم السليم), و بآلتالي دورها و فاعليتها في إرساء المحبّة و الأمن و السلام لتكون قاعدة رصينة و منتجة لأحياء آلمجتمع بعكس الواقع السائد, حيث تحوّل الطب إلى تجارة و وسيلة لتحكيم و فرض الرؤية التي يؤمن بها أركان الحكم القائم و هذا مشهود حتى في بلاد الغرب للأسف و ليس في بلادنا الشرقية فقط!**

**إن الطب فنّ و علم و عمل, و قبل هذا كلّه رسالة إنسانيّة من الإنسان تجاه الإنسان, و ليس عملا تجارياً ذا طابع ربحيّ و كما هو السائد الآن في بلادنا, و ليست وسيلة تستخدم لقهر أو إسعاد الأنسان على أساس حزبي أو طائفيّ أو عشائري أو ديني أو إثني أو سياسيّ أو مناطقي، بل رسالة بإتجاه البناء الحضاري – الكوني يشترك في تفعيلها وإجرائها الجميع و يستفاد منها الجميع، لهذا على الجامعات و مراكز التحقيق و البحث الأهتمام أو جعل الطب و باقي العلوم وسائل في متناول أيدي الجميع و يستفاد منها الناس بلا فرق**

**بين هذا و ذاك و بشكل واضح و بسيط و يتطلب هذا توعية مستدامة للمرضى و المصابين فيما يعانونه من مشاكل في الصحة البدنية أو النفسية لأنها أمراض طبيعية تصيب الجميع و هذا مسؤولية ثقيلة و أمانة يجب حملها من قبل المعنين و السياسيين الحاكمين قبل الجميع .. من هنا جاء تأكيدنا في مختلف مباحثنا على وجوب المسؤول و الحاكم المثقف على رأس النظام و في قيادة و إدارة الناس.**
**و ما ذكرناه بشأن الطب و سلامة المجتمع البدني و هكذا النفسيّ و الروحيّ له مكانة هامّة في مسألة النظام و إدارة الحياة, و إنّ ما أنتجته الحضارة الإسلاميّة هو إبداع و إدراك علماؤوها و أطبّائها بكون المرض الروحي و النفسي .. مرض طبيعي يصيب البشر، بعكس التعامل ألسّلبي – الأوروبي و حتى الشرقي معه للأسف، حيث كان هناك العلاج بالموسيقى قائماً في مستشفى (البيمارستان القلاووني) في القاهرة، و كان هناك أيضا الترويح بالموسيقى كعلاج نفسي للمصابين بالأمراض العصبية والنفسية و الروحية, و قد إكتشفوا أخيراً بآلأضافة لذلك ؛ بأن الألوان لها أثر إيجابي في شفاء الكثير من الأمراض النفسية و البدنية أيضاً.**

**خلاصة الكلام ؛ ألحضارة و التمدن المطلوب يجب أن تكون حضارة تدبّر و إعمال العقل و آلبدن مع المحبة و الرحمة و العاطفة التي منبتها و أساسها الأتصال بمنبعها و خالقها، و يحتاج ذلك التدبر و آلفعل إلى ؛ إعمال العقل الظاهر مع تفعيل البصيرة التي بدونها يستحيل ألتقدم أو تحقيق ما طرحناه آنفاً.**

**و آلثقافة ثمّ المعرفة هي الوسيلة و الأساس لتحقيق الحضارة الأنسانيّة المفقودة اليوم للأسف بسبب الأحزاب الجاهلية التي أبعدت الأنسان عن الحق و ساقتهم بإتجاه عبودية الأشخاص و المحاور, فما زالت بلدانا تقيس الحق على أساس أتباع هذا الشخص أو ذاك ؛ هذا المسؤول أو ذاك, و هكذا, و في المقابل نرى الله تعالى هو الباقي بلا عبيد .. يحدث هذا التخلف و الجهل و الظلم .. رغم التطور المدني الهائل على كل صعيد، و السبب لكون(الحضارة) السائدة عموماً لا تعتمد على الأساسات الكونيّة, و هي بحدود 12 عامل كمقوّمات لها و سيأتي بيانها إن شاء الله ..**

**فآلحضارة التي تُشَيّد على أسس كونيّة – إنسانيّة - آدميّة راسخة متينة و مستدلّة, و كما عرضناها تفصيلاً في نظرية المعرفة الكونيّة؛ تختلف عن تلك الحضارات البائسة الظالمة التي بُنيت على أكتاف الكادحين و الفقراء .. فقد كان حُرس و عُملاء الفراعنة يحسبون أنفاس العمال الذين كانوا يعملون اليوم كله مقابل ملء بطونهم فقط ليبقوا أحياء لإستخدامهم كآلعبيد في بناء الأهرامات و المدن و القصور لا لأنفسهم بل للفراعنة وإذا مات احدهم أثناء العمل جعلوا جسده جزءاً من البناء كما يقول المفكر علي شريعتي.**

**فهذا النمط من التعايش لا يُعطي الناس و حتى للحكام و المُتصدين(الحاكم و المحكوم) حالة السعادة و الهناء الطبيعي مع الحقّ , بعكس الحالة الثانية التي تحقق الأمن و السلام و المساواة و نبذ الطبقية في الحقوق و الرواتب و التي معها يكون الحاكم و المحكوم بمستوى واحد و يعيش الجميع متحابّيين وصادقين مع الله حالهم بين (الرجاء والخوف)؛ و التقوى و القناعة؛ الرضى؛ الطموح؛ العزيمة؛ المثابرة، و المحبة التي تقودهم قهرياً للعطاء و الإتقان؛ والإبداع، لتحقيق الخير و الأنتاج و الوفرة و السعادة بظل حياة حضارية كمزرعة للآخرة.**

**لذا يمكننا القول بأنّ غاية العبادات و آلعِلم و العِرفان و الحضارة و حتى تأسيس الدول و الأنظمة ؛ هي تحقيق آلتّعامل بآلحسنى و عمارة الأرض .. أيّ المَدَنيّة .. و غاية عمارة الأرض هي الوصول لله تعالى كونه المعشوق الحقيقيّ الذي شدّنا لتحقيق السعادة في الدارين.**

**و بإعتقادي الراسخ؛ أن تحقيق الحضارة و من ثم المدنيّة مرهون بمعرفة الأركان الكونيّة الثلاثة :**

**معرفة و كسب العلم ؛**
**معرفة معايير آلجّمال ؛**
**معرفة عمل الخيـــر ؛**

**و سنعرض لكم تلك البيانات الهامة نبدأها بمفهوم (الحضارة) و من ثمّ مفهوم (المدنيّة) بإذن الله.**

24.....

# مفهوم ألحضارة

## 25.....

## مفهوم ألحضارة :

**هناك مجموعة تعاريف للحضارة بينها تعريف شبه مشترك و مقبول بين المفكرين و الفلاسفة في آلعالم عن معنى و مفهوم الحضارة .. و هي :**

**[الحضارة اصطلاحاً تعني مجموعة المظاهر العلميّة، والأدبيّة، والفنيّة، و كذلك الإجتماعيّة، الموجودة في المجتمع, و تعتمد الحضارات الإنسانيّة المختلفة على بعضها البعض، فكلّ حضارة جاءت متمّمةً للحضارة التي سبقتها في كثير من النواحي و المشتركات، و تُسهم تلك الحضارات في التطور الحضاري الإنساني للعالم بأكمله، فالحضارة الإغريقيّة و الأسلامية و الهندية و الصينية وغيرها من الحضارات القديمة التي تميّزت بوضعها أساسات البناء الحضاري، و جاءت الحضارة الإسلاميّة وعملت على ازدهار ذلك البناء، ومن بعد المسلمين جاء الأوروبيون وطوّروا الكثير, لكن الحضارة الأسلامية تبقى هي الرائدة لسبب واحد قد يراه أكثر الناس و حتى المفكرين عادياً لجهلهم بأبعاد المسألة, و هي كشف الأرقام الرياضيّة من خلال الزوايا الهندسية, و لمن يريد معرفة المزيد فليراجع مقالنا المنشور على موقع الحوار المتمدن, بعنوان : [الحضارة الإسلامية أكبر حضارة عرفتها البشرية].**

**هناك تعريف عام و مختصر عن (ألحضارة و المدنيّة) يتلخّص بآلتّالي :**

**[هي آلصّورة ألواقعيّة التي يبدعها الإنسان لما يعتقده في آلكون و آلحياة].**

## لماذا تنوّعت ألتعاريف وإختلفت ألمقايس لدى أهل النظر وعلماء الأجتماع؟

**إنّ آلتّعريفات ألسّابقة إهتمّت بشكلٍ الحضارة و أثرها .. و منها ؛ [مَنْ حصرها في الحضر .. و هذا خطأ ؛ فالبداوة لها حضارتها أيضاً، و الرّيف له حضارته، وأهل الحضر لهم حضارتهم], و هكذا بغض النظر عن مدى تطورها أو جمالها أو إبداعها بشكل عام, و هذا واضح لا إنكار له.**

**و أمّا قول أهل اللغة: الحضارة ضدّ البداوة ؛ فمعنى ذلك عند أهل الاجتماع ؛ ألانتقال من مرحلة إلى مرحلة كما ذكر (إبن خلدون) في مقدّمته ألمشهورة.**
**و من الممكن أنْ يتبدّى الحضريّ،**
**و يتحضّر البدوي، فيقال :**

**"بدويّ يتحضّر".**
**و**
**"حضريٌّ يتبدّى".**

**و القول بأنّ الحضارة من الحضور ، و منه حضور موارد ألماء.**
**فهذا يعني الانتقال إلى أماكن الحياة لغايات معينة على أقل تقدير.**
**فلو افترضنا أنّ الماء انفجر عند مضارب البدو، هل يصبحون ذوي حضارة؟ فموارد الماء تصنع حضارة شكلية من نوع معيّن، و لا تصنع كل أشكال الحضارات و هكذا باقي المناطق الجغرافيّة.**

**و الحضور في المشهد الحضاري، ليس بالضرورة مرتبطاً بالماء, و ذلك لإمكانية إنشاء حضارة بادية، و حضارة فلاحة!**

**قال بعض المؤرّخين و العلماء : [إنّ المدنيّة (ألتمدن) تبدأ في كوخ ألفلاح، لكنها لا تزدهر إلاّ في المدن], بحسب بيان الزمخشري مع إشارة بهذا الشأن لإبن خلدون و غيره من المؤرخين الشرقيين و الغربيين.**

**و لو تأملنا الحضارات عبر التاريخ، و دقّقنا عميقاً في معالمها بمعية الآيات القرآنيّة التي تحدّثت عن الحضارات السابقة و كيفيّة نشأتها و تطورها ثمّ أسباب زوالها؛ سنجد أنّ كلّ حضارة إنطلقت من منطلقات معينة في بناء صرحها و كانت معظمها تستند لنظرية (ميكيافيلي) في البقاء و الأستمرار بآلحكم بحسب نوع المصطلحات المعاصرة و كما بيّنا ذلك تفصيلاً في كتابنا(السابق) قبل هذا, بعنوان:**
**[الدولة في الفكر الأنساني].**

**تلك المنطلقات إعتمدت في الغالب على تصوراتها التي تنتهي بمنافعها و كيانها الخاص كقوميات أو مذاهب أو إمبراطوريات مختلفة، بغضِّ النظر إن كانت صحيحة أو فاسدة, أيّ مدى سيرها و تناسبها مع مصالح الأنسان أو ضدّه.**

**المهم أنها إعتمدت على فكر أساسيّ و جذور ثقافية معيّنة و بَنَتْ مستقبلَها، و مظاهرَها، و اجتماعياتِها و مدنيّتها على أساس تلك آلمعتقدات التي آمنت بها لأسباب معروفة، و دارت حولها, معتقدات تتلخص في الحفاظ على الدولة و رأسها و ملكها و أميرها بآلدّرجة الأساس, على عكس الحضارة الكونيّة – الأنسانية التي تهتم بمصالح المجتمع قبل أية مصلحة أخرى حزبية أو طبقية أو ملكية و غيرها.**

**وقد إعتقد الجميع حتى أكثر المؤرخيّن و المفكرين على عدم التفرقة بين (الحضارة) و (المدنية) و حتى يومنا هذا و ما زال الكثير - إن لم يكن كل الكُتاب و المفكرين - يعتقدون بذلك خطأُ نتيجة قلّة أو محدوديّة التفكير و المطالعة و الثقافة, فهناك فرق كبير بين المفهومين سبق و أن عرضناها في مباحثنا و كتبنا المتعلقة بذلك, و سنشير لها هنا أيضاً بإختصار بإذن الله.**

**فالفراعنةُ مثلاً بنوا الأهرامات؛ تقديساً، و تعظيماً لمن اعتقدوه ربّاً، - فرعونهم -, و عبدةُ النار شيَّدوا حضارتَهم من هذا المنطلق كما تدلّ آثارهم على ذلك خصوصاً في مدينة يزد بإيران.**

**و هكذا الحضارة الرومانيّة قامت على تعدد الآلهة، و تقديسها؛ حتى جعلوا للزنا إلهاً.**

**و هكذا الحضارة الهندية قامت على تقديس آلهة مختلفة منها عبادة البقرة و التبرك ببولها و عبادة الخصيتين و الجهاز التناسلي و..... إلخ.**

**و الحضارة الإسلامية بَنَتْ مجدَها، و وطّدت أركانها، و بَسَقَتْ فروعُ دَوحتِها؛ منطلقة من تصوراتها أيضاً و إن أختلفت المذاهب في تقييمها .. لكنهم إنطلقوا من أصل واحد و إله واحد و كتاب واحد و نبي واحد, و قد توصل المستشرق الغربي الفيلسوف (هنري كاربون) إلى حقائق مذهلة بشأن المذهب الأصلح و ألأصح و الأقرب للحقيقة من خلال تحقيقاته و بحثه على مدى سنوات في بلاد المسلمين كمصر و المغرب و تونس و إيران, حتى أعلن أخيراً نتائجه للعالم معترفاً بأن جميع المذاهب غير حيّة بمبادئها و تعامل الأنسان معها إلا مذهب واحد ما زال يرتبط بآلسماء عبر الأمام المنتظر (ع), للمزيد يمكن مراجعة كتابنا الموسوم بـ : [السياسة و الدين ؛ من يحكم من؟] و كذلك كتابنا الموسوم بـ : [مستقبلنا بين الدّين و الدّيمقراطية] و غيرها من المقالات.**

**والحضارة الغربية المعاصرة قامت أساسها على فلسفة ميكيافيللي التي تذهب إلى أن الحفاظ على الدولة و رئيسها هو الأصل الذي يجب الحفاظ عليه بأية وسيلة ممكنة, و (الغاية تبرر الوسيلة) لأجل الفوز بآلمال و المخصصات, يعني فلسفة تستند على أفكار تُقدّس المادةَ (ألدولار) و المصلحة و لذلك كتبوا حتى على عملتهم(الدولار) (نثق بآلله), بينما هذه العبارة لا تجدها حتى في أكبر و أهم وثائقهم كآلجواز و الجنسية!**

**وخبطت في الأرض طولاً، وعرضاً؛ من تصوراتها الشوهاء, بحيث ساق ورائها حتى المسلمين و علمائهم و باقي أمم العالم للأسف, و إن كانوا يدعون كل بحسب إله مذهبه في الظاهر .. أما الباطن فعبادة الدولار و البطن و لقمة الحرام هي الأولى و الأوحد والأهمّ في القلوب للأسف.**

**و يتبيّن للباحث المتعمّق، دون إمتراء؛ أنّ الحضاراتِ تعكسُ التصوراتِ و العقائدَ و الغايات؛ لما يبدعه الإنسان في الكون، و الحياة, و هي الصورة الحاضرة لتلك التصورات, و ستشهدُ الفصولُ القادمة في هذه الكتاب شهادةَ الحقِّ للتعريف المختار للفكر الكونيّ الذي يجب أن تبنى عليه الحضارة الأنسانيّة الكونيّة إن شاء الله و التي تخالف من الجذور الحضارات القائمة الآن على أسس مختلفة خلاصتها و نتيجها التمتع بآلمال و المنصب و الشهوات على حساب حقوق الناس و مستقبل الأجيال القادمة و ظلمهم, لأنها لا تقوم على أساس القواعد الألهية التي أرسل الله تعالى لتبليغها أكثر من 124 ألف نبي و أكثر من هذا العدد من الأوصياء و الخلفاء و الشهداء.**

**و قد يقول قائل: هل هذا يعني أنّ الحضاراتِ كلَّها ذات منطلقات دينية؟**

**و الجواب ليس ذلك بالضرورة، و إن كان ذلك يمثّل – أصل الأفكار و منطلقاتها و جذورها – و هذا لها نصيبٌ وافر من الصحة و المصداقية, لكن طغيان الرؤوساء و الأمبراطوريات و ملوكها و من ورائهم القوى العظمى و وسائل إعلامها المضللة هي التي حجبت الحقيقة عن الناس لتظهر نفسها كإله واحد حاكم أو شيئ قريب من ذلك, فهذا الملك حمورابي و نبوخذ نصر و سرجون الأكدي و أمثالهم في بلاد الرافدين يقابلهم الفراعنة في مصر و ملوك العجم في إيران؛ تراهم جميعاً كانوا يحكمون كآله ليس من حقّ أحد تجاوز الخط الأحمر الذي رسموه لأنفسهم, فتسببوا بخلق طبقات عديدة في المجتمع دون عرش الملك أو السلطان حيث تفصلهم الخط الأحمر عن عرش الملك, أما نحن فنعتبر حتى الكفر و الألحاد دِين، رغم أنه دين باطل, بل يتحتم علينا أحترام المؤمنين بها – لكم دينكم و لنا ديننا - إنطلاقاً من البشرية - الأنسانية المشتركة بين الجميع حتى المخلوقات الغير البشرية كآلحيوانات و الطيور و الجمادات لكل منها حقوق يجب مراعاتها, ومنها الحرية الشخصيّة كخط أحمر, هذا إستناداً لمقولة سيّد العدالة الأنسانيّة الأمام عليّ (ع) الذي قال و كما ورد في نهج البلاغة: [الناس صنفان؛ إما أخٌ لك في الدّين أو نظيرٌ لك في الخلق].**

**هذا إلى جانب وجود قوانين عديدة بشأن رعاية حقوق المخلوقات الأخرى أيضاً.**

**فالحضارةُ العلمانيةُ بشكل عام تبني حضارتَها؛ من تصورِها الاعتقادي بكون المَدنيّة و المال (الأقتصاد) أساس الحياة ..**

**و الحضارة الكونيّة تبني دولتها و مؤسساتها على أساس القواعد الكونية الدّينيةُ التي تناسب فطرة الأنسان و تطلعاته ضمن شروط كونية واضحة تحفظ كرامة الأنسان لتحقيق السعادة الأبدية إنطلاقاً من قاعدة الأيمان بآلله تعالى.**

**29.....**

**و تترك كلا الحضارتين للإنسانِ أن يُبدعَ في مجاله الكونِيّ و الحياتيّ و في جميع المجالات المادية، و المعنوية؛ من عمران، و تكنولوجيا, وخُلُق، و أدب، و فكر، و شعر، و نثر، و صناعة، و تجارة، و ثقافة، و قانون، و كل ما ينتجه الإنسان و يحتاجه الجميع .. ترفُلُ في أثوابِها الناحيةُ الرّوحيّة، و الماديّة، و تطيرُ بهذين الجناحين في آلحياة و الكونِ!؟**

**فإن أنتجتْ صورةً حسنةً زاهيةً آمنة عادلة؛ فهي حضارةٌ صالحةٌ راقيةٌ رائعةٌ.**
**و إن أنتجتْ صورةً بشعةً قاتمةً و ظالمة؛ فهي حضارةٌ فاسدةٌ شقيةٌ و مستكبرة.**
**فريشةُ الفنّانِ ترسمُ خيالاتِ ما يعتقدُه.**
**و يَراعةُ الشّاعرِ تُسطِّر عرائسَ الشِّعر، ممّا يشعر به ..**
**و قلَمُ الأَديبِ يخطُّ روائعَ البيانِ ممّا يتصورُه.**
**و كلُّ وعَقْلُ المهندسِ يُبدِعُ روائعَ الهندسة المعمارية و الكهربائية و الميكانيكية وغيرها ممّا ذهنُهُ يُبلْورُه ذلك منضبطٌ، ومُنطَلِقٌ من ما يعتقده الإنسان.**
**فيقال: فنٌّ إسلاميٌّ، و فنٌّ رومانيٌ, و فن واقعي و فن سريالي و كلاسيكي وووووو إلخ.**
**أو قصيدةٌ روحيّةٌ، أو قصيدةٌ إباحيّة, أو رومانسية!**

**و هذا الشاعرُ منطلقاتُه غربيّةٌ – مادية بحتة.**

**و ذاك فيها روحُ الشَّرقِ .. حتى قَصَّةُ الشَّعر، و اللباسُ، أخذا طابَعَ التَّصورِ الاعتقاديّ.**

**و لا ننسى أننا نقول : إذا تصرّف واحدٌ تصرفاً غير لائق؛ يُقال هذا سلوكٌ غيرُ حضاريّ ؛ و نعني : أنه لا يتّفقُ مع الأخلاقِ و آلأعراف العامّة ألسّائدة.**
**و هكذا .. و إذا سَلكَ مسلكاً حسناً ؛ قيل : هذا سلوكٌ حضاريّ.**
**و كلُّ حضارةٍ تحاسبُ و تُقيّيم بحسب معتقداتِها و نتائجها و مخلّفاتها، و تُحاكَم وفق تصوراتِها, و واقعها.**

**فمثلاً يُقال : حضارةُ الغربِ تنادي بالحُرية فشاع عنها الأنفتاح و الحرية و الأنسانية .. لكن؛**
**هل قتلُ الأبرياءِ حضارةٌ و حريّة و قيم أخلاقية!؟**

**كما تنادي (الحضارة الغربيّة) بآلمساواة و العدالة و القيم آلأنسانية .. لكن؛**
**هل تأجيج الحروب و التآمر على الشعوب و الأمم و تنصيب أحزاب و أنظمة و حكام ظالمين عليهم و دعمهم؛ تسمى حضارة و إنسانيّة؟**

**أو إعلان الحصار و الحرب و آلهجوم عبر جميع المستويات ضد الشعوب الناهضة؛ تعتبر من الحضارة !؟**

**باختصار؛ الحضارة؛ فيها حضورٌ يعكس تصوّرَ، و معتقدَ أهلِها، أياً كان نوعُ و شكل هذا التصوّر.**

**30.....**

**وما أجملَ قولَ الزمخشريِّ في تحليل مفهوم الحضارة!**
**و هو يذكـر الجانب الأخلاقي منهــا بكونــها الأســاس!**

**فـربط بين السّلوك الحَسن و الحضارة؛ و كأن الحضارة في نظره، فِعْلٌ، وسلوكٌ، و خُلُقٌ و عمل.**

**أما المَدَنيّة – فسنعرض مفهومها و معانيها أيضاً في الموضوع القادم إن شاء الله.**

31.....

# مفهوم ألمَدَنيّة :

## مفهوم ألمَدَنيّة :

**الفعل الثلاثي للمدنيّة هو: "مَدَنَ"، و منه المَدِينَة, وكلُّ أرضٍ يبُنى بها حصنٌ؛ فهي مدينة وخلت المعاجم القديمة على ما أعلم من كلمة "مَدَنية", حتى عصر إبن خلدون, حيث ظهر تداول المصطلح بكثرة و لعلها ترجمت من مصادر غربية و يونانية, هذا بحسب ما ورد في مجمع المعجم الوسيط، ج2ص865, (1) وعرفها مجمع اللغة العربية القاهري: أنها الحضارة، و اتساع العمران.**

**ألمدنيّة كمصطلح له تعاريف مختلفة أهمّها :**

**ألتّعريف الأوّل :**
**الحضارة و المدنيّة سواء.. و هو إعتقاد عام و شائع بين الكثيرين .. إلا أنه قديم بعض الشيئ**

**ألتعريف الثاني :**
**المقصود بهذا المفهوم في جوهره؛ يدور حَولَ نَمطِ حياةِ المدينة بما يعكسه من قيم، و سلوكيات، و نظم، و مؤسسات, حسب رأي وول ديوارانت, و علي بيكوفيجش.**
**للتفاصيل ينظر: ديورانت : قصة الحضارة(2).**

**ألتعريف ألثّالث :**
**هو : "الجانب المادي من الحضارة؛ كالحِرَف، و المكاسب، و الصناعات، و الوسائل المادية، و الأساليب العلمية.**

**و تمتاز المدنية بالتعميم؛ فهي مِلْكٌ لجميع البشر، و لا تصلح لتميز أمّةٍ عن أمّة, بحسب قول الكيلاني و آخرون, و كما ورد في كتاب [دراسات في الفكر العربي الأسلامي].**
**فأيّ إكتشاف علمي أو تكنولوجي من الخطأ تنسيبه لذات الشخص الذي أعلن عنه أو حتى مجموعة معينة .. بل الحقيقة لو تأمّلنا ذلك الأكتشاف لرأينا أنّ هناك تأريخ طويل يتبعه مرّ به ذلك الأتجاه – الأختصاص و صرف الكثير من العلماء وقتهم و جهودهم لتقديم تلك المقدمات حتى تمّ الأكتشاف و لو لم تتوفر تلك المقدمات .. لما وجدت تلك الأختراعات و الأكتشافات إطلاقاً و في كل المجالات .. فشيئاً شيئاً و خطوة خطوة تتطور الأمور ليتمّ في مرحلة معينة ظهور الأرضية الخصبة لكشف معين أو إختراع جهاز معيّن جديد أو إختراع آلة معينة و هكذا ..**

**خلاصة الكلام يمكن القول بأنّ جهود سلسلة طويلة من العاملين و العلماء تتظافر و من مختلف بقاع العالم عادة ليتحقق أنجاز أو إكتشاف أو أختراع جهاز مُعيّن, لتتشكل على أثرها شيئاً فشيئاً ما نسميه بآلمدنية و الحياة العلمية.**

**وهناك من عدّ الحضارة عقل، و روح.**

**و التّمدن عقل بلا روح.**

**و أنّ التمدن تفسير للجانب الظاهري من آلحضارة .. و من الباحثين من ذهب إلى أنّ إرتقاءَ حياةِ الإنسان؛ ذو بُعدين أساسيين :**

**بُعْدٌ شكليّ ظاهريّ ماديّ؛**
**و بُعْدٌ داخلي جوهريّ ؛**

**و هناك مَنْ رأوا أن يطلقوا مصطلح ( المدنيّة ) على ما يتمّ من إرتقاء في مضامين الحياة الحضريّة.**
**و هناك مَنْ عدّ المدنيّة نهاية لمطاف الحضارة .. و مصطلح (الحضارة) على ارتقاء الشكلي الذي يتمحور حول وسائل العيش و أدوات الإنتاج.**

**و سواءاً أَ كَانت ألمدنيّة هي الحضارة من حيث المعنى؟**

**أو الحضارة هي المدنية كما يعتقد البعض بذلك ..**

**أو أن الحضارة تتقدم على المدنيّة بإعتقاد آخرين ..**

**أم إفترقتا بعض الشيئ بتقدم الحضارة درجة على المدنيّة كما نعتقد نحن بآلذات ؛**

**فالذي يهمّنا من ذلك كلّه، هو أنّ الحضارة بالمفهوم الذي بيّناه عموماً، و بالحدِّ الذي حدّدناه تتظاهر عوامل عديدة لتشكيلها و من أهمّ تلك العوامل :**

**1- التأريخ.**
**2- الموقع الجغرافي و طبيعة المناخ.**
**3- دور الكتب السماوية و مدى إلتزام الناس بمبادئها و تطبيق أخلاقها.**
**4- ألأنتاج ألفكري و الفلسفي, لأن الشعب الذيلا ينتج أفكاره لا يصنع حاجاته.**
**5- طبيعة النظام الحاكم, من الناحية السياسية و الأمنية و آلأدارية**
**6- نوع و مصادر التغذية, حيث يختلف الشعب أو الأمة التي تتغذى على الحيوانات البحرية أو الزراعية أو الأغذية الصناعية**
**7- نوع و طبيعة الملابس و المظاهر, و هكذا يؤثر على طبيعة الحياة و العلاقات و الجمال.**
**8- ألعادات و آلتقاليد و طبيعة العلاقات العائلية و الأجتماعيّة و الأنسانية.**
**9- الكهرباء و التكنولوجيا, تمثل عصب الحياة الحديثة و أهم عامل في البناء الحضاري.**
**10- الموارد الطبيعية و الأقتصادية و الأثرية, فآلبلدان الفقيرة لا تنمو تشكل طبيعي بل تكون خاضعة عادة.**

**11- الفنون و الحرف اليدوية كآلسّجاد و المجسّمات, لها أثر كبير في تزيين جمالية الحياة داخل و خارج البيت**
**12- ألدّين و الأخلاق, بمثابة عصب الحضارة و منبع إدامتها و قوتها.**

**34.....**

**و الحضارةَ عموماً أعمُّ من المدَنيّة، و المدنيّةُ مظهرٌ خلاّبٌ و بارز من مظاهر الحضارة, و آلبشرية اليوم تعيش بداية عصر ما بعد المعلومات, لكنه ما زال يتخبط في وضعه مع الظلم و النهب و القتل و الحرب.**

**خلاصة البحث أننا حاولنا و نحاول التركيز على عرض الحضارة الكونيّة المطلوبة لتحقيق سعادة الأنسان الكادح نحو الله تعالى – لتحقيق الآدميّة .. بعد طي (المراتب الوجودية) على أمل الوصول للخلافة الألهيّة . و يتطلب ذلك عبور الأسفار الكونيّة ألسبعة, أو ما أطلق عليه بـ (مدن العشق السبعة) حسب وصف العطار ألنيشابوري أو مدن العشق الـ (26) بحسب تقريرات الشيخ الأكبر محي الدين بن عربيّ, أو المدن الـ (52) التي يجب عبورها بحسب تصنيفات الشيخ مرتضى الأنصاري (رض), أو الحكيم الملا صدرا الشيرازي الذي قسّمها لأربعة أسفار كمحطات للمرور أو برأي الصدر الأوّل ألحكيم الذي إختصر المراتب الوجودية بكلمتين(محطتين) فقط كعادته في تقرير الأمور الكبيرة و بيانها ببلاغة و إحكام, و هما ؛ [معرفة الله أولاً ثم حبّه ثانياً] .. و يتطلب ذلك مقدّمات و إستعدادات و رياضات خاصّة قبل البدء بتلك الأسفار الكونيّة العظيمة للقضاء على الحالة البشريّة و من بعدها لترقية الذّات الإنسانيّة عبر التمسك بآلقيم و الأخلاق وصولاً للحالة الآدميّة التي معها تتحقق التواضع بأوسع معانيه حتى درجة إنكسار النفس و تحطيم الشهوة تقريباً و إختصارها جداً .. خصوصا عبر التفاعل مع الكون من جهة و مع الطبيعة من الجهة الأخرى و مع الأنسان من جهة ثالثة.**

**و بذلك نكون قد نلنا القرب من العشوق, بعد ما حدّدنا الأولويات و عرضنا ضمنيّاً كمقدمات لمعرفة دور و أهمية الفكر في تقويم الحياة و تحديد مصير الأنسان في هذا الوجود الذي لم يخلق الله فيه شيئاً عبثاً ناهيك عن الرموز و الجمال و الأسرار التي لا ينالها إلا العارف الحكيم!**

**لهذا و لعدم وجود العبثيّة و بآلمقابل وجود الجمال و الأسرار التي علينا كشفها .. لا بد لنا من المقاومة و التضحية و الصبّر كي نكشف تلك آلحقائق و المجهولات و علاقتها بحياتنا و وجودنا و مصيرنا الأزلي ..**

**و هذا ما سنتطرق إليه تفصيلاً إن شاء الله.**

و هي

36.....

## مكانة و دور و مصير الأنسان في الوجود :

## مكانة و دور و مصير الأنسان في الوجود :

**يكفي الإنسان جلالةَ قدْرٍ ، و علوَّ منزلة، و فخامةَ مقعد، أنْ كان محورَ التكليف ألرّباني رغم إعتراض الملائكة و حدوث ذلك الخلاف العظيم و عصيان آدم لخالقه ثم توبته و المناورات التي جرتْ بين الشيطان الرجيم و بين آدم (ع) من جهة و بينهم جميعاً و بين الله تعالى الذي تناقش و بحث معهم مجمل القضايا و الستراتيجيات المستقبلية بعد خلق آدم (ع) الذي سبقه خلق آلرسول(ص) و آل بيته الطيبين الطاهرين و إرتقائهم للمراتب الكونية التي أوصلتهم ليكونوا سبب هذا الوجود العظيم, هذا الأمر تسبب في حسادة آدم وتحرك الشيطان الذي علم ما علم من أسباب تلك النشأة و المستقبل الطويل الذي سيجعله يتعذب ما دام حياً مع الأحياء الجدد و كان ما كان, للمزيد من التفاصيل راجعوا كتابنا الموسوم بـ [أسفارٌ في أسرار الوجود]!**

**و لأن الله تعالى كان يعلم بأن هناك أمر عظيم و كبير بحجم الوجود كله ربما و على المدى البعيد يتعلق بهذا المخلوق العجيب الغريب و مرتبه الدانية بآلنسبة لله بنظر الملائكة و المقربيين؛ لهذا نراه تعالى قد أصرّ على أهمية و دور و مكانة الأنسان و أهل البيت(ع) بآلذات, و بيّن لهم الحقيقة و السبب و لو تلميحاً بقوله تعالى عندما أحتجّ الملائكة الكرام بقولهم : [أَ تَجعل فيها من يُفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟]. قال إني أعلم ما لا تعلمون ]؟:**

**عندها أَلمح الباري تعالى لهم بجواب فيه أسرار كثيرة ليست من السهولة كشفها و بيانها, قائلاً: [... قال إني أعلم ما لا تعلمون ](ألبقرة/30).**

**و هذا الجواب هو منطلق للحضارة الكونيّة, كونه يؤشر بل و يأمر الأنسان بآلبحث و المطالعة و كشف اسرار الوجود و ما لا نعلمه, حيث يكمن بذلك سرّ الوجود و آفاقه و مستقبله, و التي بمعرفتها نكون قد وصلنا و عرفنا سبب خلق الأنسان و هذا الوجود.**

**إضافة لذلك .. يكفينا جلالةَ قدْرٍ، وعلوَّ منزلة، و فخامةَ مقعد، أن حملنا الأمانة الألهية رغم كوننا ظالمين و جهلاء بطبيعة حالنا, و كما ورد في آية الخلافة الربانيّة بقوله تعالى في سورة (الأحزاب/ 72) :**

**[إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا](3).**

**لذلك هنا تأكيد ضمني آخر على وجوب المطالعة و البحث و التنقيب عن المعرفة و أسرار الوجود كي نتخلص من الظلم و الجهل اللذان هما قرينان مع بعضها البعض!**

**و يتعاظم التكليف بشكل خاص لو علمنا أيضاً بوجود 33 صفة مشينة ملهمة يشترك فيها جميع البشر بإستثناء أهل البيت (ع) بإعتبارها مركز الثقل و معيار للحق و الباطل ..**
**هذا و يقابلها – تلك الصفات السلبيّة ـ صفات أيجابية تفتقر إليها حتى الملائكة!**

**و الدليل يظهر عبر المثال التالي: الملائكة لو أشبهناها بقدح مملوء من الماء .. فأنه يدلل على أنه لا مجال لصبّ المزيد من الماء الأضافي فيه لأنه ممتلئ, و بذلك يكون محتوى الملائكة و سعتهم لا يتعدى ما هم عليه من الإستقامة و هكذا جُبلوا أساساً على هذا المنوال .. فتراهم يسيرون في خط ثابت لا تغيير فيه لأداء عمل معين سبق للباري تعالى أن حدّدها لكل واحد منهم بعيداً عن الشهوات التي هي السبب في تدمير و أنحراف الأنسان و تشويش عقله الذي يعتبر الدليل لطي المسيرة و الأسفار الكونية السبعة و كما سيأتي ذكره, لكن الملائكة عقل محض لم يبتلوا بتلك الشهوة اللعينة التي هي السبب في ظلمنا و تكبرنا و فسادنا.**

**أما الأنسان من الجانب الآخر فإنه يتسع للكثير مع ما حمله من الأيجابيات و السلبيات و المتناقضات و إلى ما لا نهاية تقريباً, لذلك فأنه يستطيع أن ينفتح على كل الوجود بحيث يمكنه أن يحل بمستوى الله تعالى و بإذنه طبعاً .. هذا بحسب الحديث القدسي الوارد, حيث يقول : [ما تقرّب إليّ عبد إلا بما فرضته عليه من العبادة, و ما زال العبد يتقرّب إلى حتى أكون عينه التي يرى بها و أذنه التي يسمع بها و يداه التي يبطشان بها و رجله التي يمشي بهما], و غيرها من الأحاديث و حتى إشارات من القرآن الكريم.**

**هذه السماحية العظمى لا يمتلكها الملائكة لأنه محدود و سعته ثابتة .. لذلك فضل الله بني آدم على العالمين و على كثير من الخلق, و ما علينا إذن و لأجل نيل تلك المرتبة الكونية الألهية إلا أن نسعى لوصولها حيث الجمال و القدرة و السعادة الأبدية.**

**و بمراجعة الجزء الثالث أو الرابع من كتابنا الموسوم بـ [أسفارٌ في أسرار الوجود] على ما أتذكر فأنك بعد مطالعتك للفصل الخاص بآلمرتبة الوجودية التي يمكن أن يصلها إبن آدم ستُذهل .. لأننا برهنّا على قضية هامة للغاية تتعلق بآلعلل الأربعة (العلة الصورية و المادية و الفاعلية و الغائية) للأستدلال على منطق هذا الوجود و سبب خلقنا و مسيرنا نحو الله تعالى.**

**و لهذا إختار الله هذا المخلوق العجيب الغريب المجهول العوالم ليكون خليفته لكن بشروط ملزمة لنيلها و هي العزوف عن ملذات الدّنيا و شهواتها إلا بقدر معلوم و حدود معلومة و تجنب معصيته لأنه ليس فقط يضرّ بنا رغم جاذبيّتها .. بل كل الملذات الحرام لا بقاء لها و سرعان ما تزول و أكثرها جاذبيّة لذة (العمل الجنسي) الذي لا يطول أكثر من ثوان و دقائق معدودة, و هكذا البقية و كما بيّنها الله تعالى و وصفها من قبل الأنبياء و المرسلين و أوصيائهم, و منها ما ورد في القرآن الكريم في سورة (يونس/24), بقوله تعالى:**
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾( يونس: 24).

كما أكد الباري تعالى قوله في آية آخرى أفصح من الأولى أمرنا فيها بترك المعاصي و اللهوث وراء متاع الدنيا و الدولار لأنها زائلة, حيث وصف الدّنيا بدار الغرور و الذنوب, كل هذا لنكون مُؤهلين لنيل تلك الدرجة العظيمة(الخلافة) و حمل الأمانة الكونيّ' التي أبت السموات و الأرض من حملها .. بل و أشفقن منها .. و هي كآلتالي:

[اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ].

هذا كله بسبب الأنجرار وراء المفهوم أو الجانب الخاطئ في الثقافة الأنسانية في مسألة التعامل مع الحضارأمّا أولئك المادّيون الذين يعيشون مع البعد الأحاديّ الماديّ للثقافة و العلوم في الحياة فقط؛ فأنهم لا يعرفون القيم ولا يرون (الحضارة) و لا يقيمون له وزناً سوى في الجانب المادي - المدني و آلدّولار كنقد يجلب كل متاع مع الترف، فتراهم يغرقون في أوحال المادة، و بحار المتاع؛ لأنّ هؤلاء لا يرون ولا يعرفون من الحياة سوى بعض ظواهرها, و نسوا أنّ الحضارة هي أسمى و أساس السعادة و هي الباقية و فيها أشواق روحيّة و أسفار كونيّة تتبعها الفلاح و العاقبة الحسنى؛

و قد أكد الله الباري العزيز في سورة الحديد قوله :

[قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] (سورة الشمس/ آية 9 و 10).

[قد نجح في الأمتحان مَنْ طهّرَ لقمته وملبسه وسيرته وكذلك سقط فيه مَنْ دنّس لقمته و ملبسه بآلحرام].

كما نبّه القرآن الكريم، إلى مسألة ذات أهمية في الحياة الدنيا؛ وهي عدم الاغترار بهذه الحياة، و نسيان أنّ هناك حياة أخرى حققية خلقنا لأجلها ليظلّ الإنسان مُتطلعاً دوماً إلى الحياة الآخرة ويحسّن في الدّنيا عمله.

فالتصور الاعتقادي الصحيح؛ هو محرّك لعوامل الدَّفع الحضاري، وحادي سيرها، وهو روحها. فتعست الحضارة التي لا روح فيها. ولئن كانت الحضارة جسداً؛ فروحها الإيمان, ولا حياة لجسد بلا روح ولئن كانت الحضارة أفكاراً؛ فلبّ أفكارها، و جوهر معدنها؛ هو التصور الاعتقادي الصحيح؛ الذي يلهم أفكارها، و يبلور خططها، و به تنظر الحضارة إلى مستقبلها.

و من المعلوم أنه حينما يبتدئ السير إلى الحضارة، لا يكون الزاد بطبيعة الحال من العلماء، و العلوم، و لا من الإنتاج الصناعي، أو الفنون، تلك الأمارت التي تشير إلى درجة ما من الرقي، بل إنّ الزاد هو "المبدأ" الذي يكون أساساً لتلك المنتجات النافعة جميعاً.

و المبدأ لا يكون مبداً عظيماً و منتجاً؛ ما لم يتغذّى من المنابع الكونيّة و آلثقافة ألاصيلة و الفكر الأنسانيّ – الآدمي الذي له دور كبير في تقويم الحياة و الكون و الوجود و بآلتالي تحديد المسير الأنسب و الأرقى .. الذي يتمثّل بـ (الفكر) كشرط للنهضة الكونية و الذي ينتهي بنا للسّعادة الأبديّة بعد تحقق الخلافة الألهية.

**40.....**

**فما هو دور الفكر ؟**
**و لماذا كان هو المحور و الركيزة القرآنية لمعرفة المعرفة من خلال 60 آية بهذا المجال؟**
**و لماذا بات ذا أهمّية عظيمة في حياتنا و هذا الوجود .. بحيث قال ديكارت : [أنا أفكر إذن أنا موجود]!**
**بل أكد عليه الباري في أكثر من خمسين آية قرآنية وردت بصيغ و أشكال مختلفة للدلالة على مكانة و دور الفكر و العقل في الوجود, حتى قال تعالى في سورة يونس : [و يجعل الله الرجس على الذين لا يعقلون].**

**و سنتحدث عن دور العقل و نتاجه (ألفكر) تفصيلاً في الفصل القادم إن شاء الله.**

و هي

## دور الفكر في تقويم الحياة :

## دور الفكر في تقويم الحياة :

**ألفكر كما بيّنا نتاج (للعقل) ببعديه الظاهري الذي يتحدّد بإفرازات المخ الذي نسمّيه بـ (العقل الظاهر), و (آلعقل الباطن) الذي نسميه بـ (البصيرة) أو الوجدان أو الضمير أو العقل الباطن, حيث يتمّ فيه تحليل و تمحيص القضايا و الأمور و فلترتها للخروج بنتيجة نهائيّة يطمئن إليها من ناحية الأحكام و الصلاح قد يصل نسبة الخطأ فيها إلى الصفر أو ما هو قريب من ذلك!**

**يقول الباري تعالى في سورة يونس مُبيّناً مكانة العقل و عظمته بقوله:**

**[﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾] (سورة يونس/100).**

**كما ورد في حديث شريف التالي:**

**[لما خلق الله العقل, قال له ؛ إدبر فأدبر , ثم قال أقبل , فأقبل, فقال تعالى : [و عزتي و جلالي ما خلقت مخلوقاً أعظم منك] وبذلك تعرف مكانة ودور العقل ونتاجه الفكري في إدارة الحياة وتحديد مصير الأنسان.**

**للفكر دورٌ أساسيّ في تقويم الحياة و بناء الحضارة و المدنية, و يستحيل تحقيق ذلك البناء بدون الأنتاج العقلي - ألعلمي الذي يُمثله (الفكر) كأساس للنهضة التي تتحقق بعد طي مراحل عديدة إلى نتاج ظاهر على أرض الواقع, و وجود الدولة الأنسانيّة – لا الميكيافيللية كما هو حال حكومات العالم أليوم للأسف - هي من أهمّ الشروط الأساسية التي تهيئ الأجزاء المطلوبة لتحقيق ذلك .. لكن قبل هذا هناك سؤآل محوري هامّ للغاية يجب طرحه و آلجواب عليه أيضاً .. للدخول في صلب الموضوع بإذن الله بعد تلك المقدمات أعلاه:**

**ألسؤال الأهم الذي ورد في هذا الكتاب ضمن الأسئلة و الموضوعات الأساسيّة ألمطروحة كقضية الأنتاج الثقافي و العلمي و موقع الفكر بشكل عام و (الخيال بين آلحقيقة و الوهم) و غيرها من الموضوعات التي تتعلق بمستقبل الخلق, هو السؤآل الأهمّ – المطروح التالي:**

**[ما هي الأدلة النقلية و البراهين ألتجريبيّة التي تُؤكد (أنّ الواقع وحدهُ بما فيه آلغيب كأساسٍ لظهورهِ ؛ مصدر معرفة حقيقيّة للسّنَن ألكونيّة و لواقع و مصير الإنسان و المجتمع كجماعة مشتركة تحصل لها الوقائع و الأحداث و الوعود الإلهيّة بحسب دورها و تفاعيها), و أنّ مصداقيّة و صحّة أيّ شيء هي أنْ تحصل و تتحقّق على أرض الواقع من خلال حواسنا الخمسة بعد أن تمّ تجسيده في الخيال ألمرشّح من العقل الباطن لا العقل الظاهر وتلك هي الحلقة المفقودة لدى البشر الجاهل الظالم وأنّ الحقائق المشهودة من الإنسان والمجتمع موجودة في الواقع لا بتصورات العقل ألظاهر أو تصورات الناس ألمجرّدة عنك؟].**

**يقول كنفسيوش الحكيم : أمام الأنسان ثلاث طرق :**

**ألأوّل : يمرّ عبر التقليد, و هو أسهل الطرق.**
**ألثّاني : يمرّ عبر التجربة, و هو أصعب الطرق.**
**الثالث : يمرّ عبر الفكر, و هو أسمى الطرق.**

**إبتداءاً و لكي نتحقق من كون ألفكر الكونيّ أسمى و أرقى الطرق لشق طريق الحياة .. لا بد و أن يكون مُنتجاً لِلعِلم و المعرفة و المحبة و التواضع .. و يحتاج هذا ؛ لمقوّمات و مقدّمات ترافقه أثناء آلطريق .. كآلبحث و آلتأمل و آلتّدبر و التّفقه و النظر و غيرها إضافة إلى الأجواء الخارجيّة كآلأمن و الحُرّية و المعيشة و المجتمع المسالم و غيرها؛ لكون العقل الباطن ألذي ينتج الفكر الكوني هو المكون للبصيرة؛**

**و هو المناخ المطلوب لمعرفة و وعي الوجود و الخلق عبر حقائق و نتاج العقل الفلسفي و نصوص آلقرآن الكريم و الكتب السماويّة و آلأحداث و الوقائع و القصص التي تكرّرت بعضها في القرآن و الكتب السماوية الأخرى لدورها الحيوي في بناء و ترسيخ الفكر و إحياء العقل ببُعديه (الظاهر و الباطن) و إنضاج الخيال لتخصيب الأنتاج و تحقيق فلسفة الوجود و الغاية من الخلق .. بشرط التعمق في المعرفة و أسرار الأنفس و الآفاق, أمّا النصوص ألمقدّسة إلى جانب تقريرات الفلاسفة العظام فهي آلمَعين ألذين لا ينضب لإحياء وتجديد و إدامة الحياة ألطيّبة بدل ألماديّة الميّتة التي ليست فيها روح و جمال و قيم تتناغم مع حركة و موسيقى الوجود, لذا يجب المواظبة على دراستها و كشف المجاهيل و الأسرار للأستفادة منها بعد ترتيبها و شرحها و مقارنتها فلسفياً بحسب متطلبات العصر و حيثيات ذلك المشروع ألذي يحتاج الفن و الموسيقى و الشعر لتلطيف أجوائه و مرافقته و بغيرها يستحيل إدامة الحياة المعاصرة ألمعقدة مع هذا البشر الظالم, لذلك كان العقل ببعديه هو أعظم شيئ في وجود الأنسان لأنه يفكر و ينتج المعرفة و المناهج و يحدد الموقف النهائي في نهاية المطاف.**

**لقد وردت كلمة "يتفكرون" في القرآن و بصيغ مختلفة تؤشر لاصل واحد, فقد تكررت الكلمة 18مرة؛ في سورة البقرة مرتان الآية: 219 و الآية: 266, الأنعام في الآية: 50 , الأعراف مرتان: الآية: 176 والآية: 184، بلفظ يتفكرون، والثانية بلفظ يتفكروا, يونس الآية: 24 بالياء, النحل الآية: 11 و الآية: 44 و الآية: 69، ثلاث مرات في سورة النحل, الروم مرتان: الآية: 8 و الآية: 21، الأولى بلفظ يتفكروا والثانية يتفكرون, سورة سبأ الآية: 46 بلفظ تتفكروا, الزمر الآية: 42 بصيغة يتفكرون, الجاثية الآية: 13 بصيغة يتفكرون, الحشر الآية: 21 بصيغة يتفكرون, وأخيراً في سورة المدثر الآية: 18 بلفظ: "فكر", و نسأل الله تعالى أن يرزقنا التفكر، و الحكمة لنيل خير الدارين.**

**و بخصوص آيات العقل, فقد ذكرت 25 مرّة بصيغ مختلفة و بشكل أسئلة حدَّث و حثّ الباري فيها عبادة بوجوب التعقل سواء بإستخدام العقل الباطن أو الظاهر.**

**و هكذا آيات التّدبر و التعقل ذكرت 30 مرّة بصيغ مختلفة أيضاً تؤكد جميعها أهميّة و محوريّة التدبر و التعقل في أمر الدنيا و الكون و المخلوقات لمعرفة الله التي بها تعرف كل شيئ, كما أشرنا**

**و كذلك التدبير, حيث ورد في أكثر من 25 آية, كل ذلك لبيان الأهمية العظمى لمسألة التدبير بإدارة العقل ..**

**طبعاً هناك إشارة هامة لا بد من ذكرها و بيانها بخصوص قوّة (العقلين) و دورهما و نتاجها, و هي أن أهل العقول – بمعنى الذين يميلون للعقل و يعتمدون عليه بآلدرجة الأولى في تقرير مواقف حياتهم ؛ هؤلاء يتصفون عادة بصفة عامّة مشتركة و هي الغلظة و القسوة و الحساب و الكتاب على أساس مدى (النفع و الخسارة) لهذا تراهم فاقدين للرحمة و مجحفين للحقوق العامة يُميّزهم صفة الحسد و البخل و لا يتورّعون في اصدار أحكامهم و يخططون دائماً على أساس مدى المنفعة من علاقاتهم و معاملاتهم .. بعكس ما أسميناهم بـ (أهل القلوب) هؤلاء بآلأضافة إلى أنّهم لا يتعاملون بحسن نية بعيداً عن لغة الربح و الخسارة .. تراهم بسطاء و عاديين في علاقاتهم و في الظواهر و العموميات و الأعداد فقط .. بل عند إصدار حكم في موضوع معيّن يعتمدون على قرارات القلب و الضمير و يضعون الله نصب أعينهم بآلدرجة الأولى .. بمعنى يتدبرون عواقب الموضوع و آخرته إنطلاقا من الأيمان بيوم الحساب و مدى رضا الله و حكمه في ذلك, و قراراتهم قد لا تنتج الأرباح الآنية و السريعة على العموم؛ لكنهم بآلمقابل يربحون كل شيئ على المدى البعيد حتى في الآخرة يكونون هم الفائزون و الأولون بعكس النتائج الدنيوية الآنية التي سرعان ما تنتهي؛ لأن أهل العقل يكون حظهم قليلاً جداً و فوزهم في آلأخرة نادر بعد ما أذهبوا طيّباتهم في الحياة الدّنيا التي قضوها بآلبخل و الشح فما لهم في الآخرة من نصيب .. بإختصار شديد هذا الصنف(اهل العقل المحض) ليسوا من فريق العاشقين لأنهم لم يُفعّلوا قلوبهم أثناء المعاملات و العلاقات و العبادات .. بل لا يعرفون للعشق معنى سوى ذلك القدر المحدود جداً منه و آلتي تنتهي بمجرد الوصال على الفراش مع جسد المحبوب لاجل اللذة الآنية الدنيوية ألمادية المحدودة التي تقتل العواطف و الأحاسيس أو في أفضل الحالات تضعفها لهذا قال الشاعر:**

**و الحُبّ إن قادت مراكبه الأجساد .. إلى فراش من اللذات ينتحر .**

**بينما أهل الله من العاشقين لهم مديات و معان و رؤى و آفاق كونية أخرى تَعْبُر تلك الحدود المادية إلى المالانهاية.**

و هي

47.....

## خلاصة ألمطلوب ممّا تقدّم :

## خلاصة المطلوب مما تقدّم :

**ألعِلم و المعرفة و الأنتاج المعرفيّ المبنيّ على الفلسفة الكونيّة .. خيرٌ ألف .. ألف مرّة من ثروة الفضة و الذهب و الدّولار و المناصب إلّا أن يكون في سبيل الله – لا يستفيد الفاعل من المنصب سوى كسب لقمة العيش و اللباس و آلسكن كما أي مواطن في الدولة, و الحذر من الإغتناء على حساب السياسة و الدين, لأن قوانين الفلسفة الكونية ـ تصنف من إغتنى من وراء السياسية و الدّين من الفاسدين, ثمّ ما أكثر الأغنياء الذين إفتقروا و أعلنوا إفلاسهم للملأ, بينما العلم و المعرفة هي الباقية و آلضامنة للسعادة أينما حلّ و رحل فمن أراد الحياة عليه بآلعلم ومَنْ أراد آلآخرة عليه بآلعلم , ومَن أراد الدّنيا والآخرة عليه بآلعلم.**

**و بناءاً على ذلك بات أحد أهمّ ميّزات الفلسفة الكونيّة العزيزيّة تتركز على ما تضمنتها المرحلة الأخيرة و التي تمثل (المرحلة السّابعة) بعد عبور ستة مراحل فلسفية مرّ بها الفكر البشري الذي بدأ من عهد اليونان القديم سبقه مخطوطات و رسالات عديدة منها وصية نبينا آدم(ع) التي كشفتها لجان التنقيب في روسيا و كانت عبارة عن لوحة مكتوبة عليها (دعاء) للأنبياء و منهم النبي نوح و المؤمنين الذين ركبوا معه في سفينته و وضعها في مقدمة السفينة, و قد ضمّ دعاء التوسل بأهل البيت(ع) للخلاص من محن و مشاكل الدنيا التي لا تنتهي بعد ما هبط للأرض من الجنة, وطلب من الله وسيلة للأمن من مشاكل و محن الدنيا(4).**

**و هكذا بدأت ملامح الحضارة تظهر شيئاً فشيئاً .. حين بدأت نداآت المصلحين و آلأنبياء تتعالى هنا و هناك .. و بداياتها كانت و كما أجملها الفيلسوف (سيجموند فرويد) بآلقول : [بدأت الحضارة عندما قام رجلٌ غاضب و لأوّل مرّة إلقاء كلمة بدلاً من حجر] .. ثم إستمرت حتى ظهور (الفلسفة الكونية) التي إعتمدت على العقل الباطن لتقرير القواعد الفلسفيّة العظمى و المبادئ الكونية العزيزية لتأمين إتصال المخلوق – المخلوقات ـ بآلوجود و آلكون كله بإستمرار لا نظير له و بلا إنقطاع لتكون ختاماً للفلسفة.**

**و من أهمّ المميّزات الرئيسيّة (للفلسفة الكونية العزيزية), هي :**

**ـ تقرير القواعد الفلسفيّة و المبادئ الكونية لتأمين إتصال المخلوق بآلوجود و آلكون كله بلا إنقطاع لتكون ختاماً للفلسفة في الحياة الدّنيا.**
**ـ ألتأكيد على آلتخلص من الحالة البشريّة ـ التي تعادل الحالة الحيوانيّة تماماً و آلسّعي للأنتقال إلى فضاء آخر أرحب لإنماء الجوانب ألرّوحيّة و الإنسانيّة لتحقيق الحالة الآدميّة ـ أيّ التواضع ـ في وجود الأنسان للأستعداد بعد رياضات مُعيّنة لبناء (الحضارة الكونيّة) المفقودة على آلأرض اليوم رغم مرور 14,5 مليار سنة على الوجود و أكثر من 10 آلاف سنة على وجود نسلنا الحالي ـ بدل الحضارة الماديّة ـ الحيوانية ألقائمة(1) و المنتشرة بكلّ الأرض إلاّ بلادنا .. فهي الوحيدة المحرومة من الأثنان, أيّ (الحضارة) و (المدنيّة) بإستثناء الدولة الإسلامية التي بدأت خطوات متقدّمة في مجال العلم و التكنولوجيا و الذرة!؟**

رغم إننا أبدعنا و ملكنا ألمنهج الإلهي و المواصفات و المؤهلات اللازمة للتقدم المادي على الأقل قبل كلّ العالم (المتمدن) المعاصر الذي إستغلّ مناهجنا البيانيّة الواضحة و السّلسة التي إعتمدت (الأرقام الهندسيّة) كأساس للبايندري لصناعة (الكومبيوتر)(2) على يد الخوارزمي و البتاني!
و هكذا بسّطتْ فلسفتنا الكونية الأمور من دون تعقيد أو الحاجة إلى اللجوء لقواميس اللغات و الفلسفة و المعاجم القديمة و الحديثة .. فالسهل البسيط المُمتنع يشقّ طريقه إلى آلقلب و الرّوح و الإحساس مهما كانت المادة المطروحة معقّدة و جافة بإتباعنا لقوانين الكتابة الكونية .. حتى إنّ أصحاب الضمائر الناقدة و الحاقدة التي تبحث عن الشوائب في ظلال المطروحات تنساق مع طرحها( أيّ مع الفلسفة الكونيّة)!

و هناك فرق كبير بين ناقد و حاقد و حسود .. خصوصاً في زمن الظلم و الفساد و آلجّهل الذي عمّمته آلدّيانات التقليدية و آلأحزاب المتحجرة اللاهثة وراء الحرام و القنص عبر تحاصص حقوق الفقراء لتعميق الطبقية و الظلم بعد غياب القيم الكونيّة في مناهجهم إلى جانب موت الوجدان وحلول العنف والكراهيّة بسبب لقمة الحرام التي ذابت مع خلايا أجسادهم الحيوانيّة فسحقت الفقراء والمحتاجين!

و مراتب ألفكر ألمعرفيّ - ألكونيّ في آلفلسفة الكونية العزيزيّة – هي :

قارئ - مُثقف - كاتب - مفكر - فيلسوف - فيلسوف كونيّ - عارف حكيم.
و الحال أن العالم .. و بلادنا بشكل خاص ما زال خارج تلك المراحل, بمعنى ليسوا حتى قرّاءاً, بمعنى يعيشون خارج تلك المراتب, بينما المطلوب معرفة صفات و خصوصيات كلّ مرحلة و كيفيّة تحقيقها لنيل ألحكمة في نهاية المطاف للوصال مع المعشوق ألحقيقي و بآلتالي تحقيق السعادة الأبديـة.

و إليكم الدليل الواضح عبر سؤآل كبير و هامّ .. سألوا الأمام عليّ(ع) :

و قبل إيراد السؤآل ؛ علينا معرفة أهميّة و دور السؤآل في رفع المستوى الفكري و الثقافي و بآلتالي تحقيق السعادة .. بعكس الشائع الآن في بلادنا .. بكون السؤآل منقصة لصاحبه لأنها تُؤشر إلى جهله و عدم معرفته, لهذا يتحذر الناس من طرح الأسئلة بينما العكس هو الصحيح تماماً .. لأن ذلك التفكير الساذج و الجاهل في نفس الوقت و الأمتناع عن طرح الأسئلة قد أدى إلى الفساد و تعظيم روح التكبر الذي يعتبر مساوٍ للجّهل, لأنّ السؤآل مفتاح المعرفة و باب للدخول إلى فضاآت أوسع تزيد من حريّة الفكر و التأمل و الخيال الخصب, للأستعداد إلى بناء حضارة مع المدنية لرقي الشعوب و الأمم و تحقيق سعادة الأنسان.

إن تلك المقدمات و المعارف تُعلمنا الكثير و تزودنا بآلمعلومات الوافرة التي نكشف بها حتى أعماق الأنسان و فكره و ليس أعماق الوجود و الكون فقط.

و تولد لنا سؤآلين كبيرين ؛ سنطرحهما بإذن الله تعالى.

و هي

51.....

## سُؤآلان كبيران :

**52.....**

## سُؤآلان كبيران :

**سؤآلان أحدهما أكبر من آلآخر ؟**

**السؤآل الأوّل : معقّد و لا أعتقد وجود مَنْ يستطيع الإجابة عليه في هذا العصر ألمسخ و الطبقيّة آلظالمة التي تتوسع كلّ يوم .. كنتيجة للتدهور الفكري و الثقافي الذي إبتلي بها الناس بسبب الحكومات و الأحزاب.**

**و هو على أي حال .. سؤآل كبير سألتهُ من عشرات ألمُؤمنين و الكُتّاب .. بينهم مراجع دِين .. لكنهم أخفقوا في آلأجابة .. مع أنّ مظهرهم و مُؤلّفاتهم و مقالاتهم و تعبّدهم و سيرتهم و صلواتهم و حجّهم و مساجدهم و منابرهم لم تتوقف عن ذكر الله ولم تنقطع يوماً!**

**و آلسؤآل تحديداً: [كيف نعرف البشر أو الأنسان أو الآدمي .. و بآلذات المسلم و (آلمُؤمن) و المتقيّ ألذي لا يعبد آلدّولار عمليّاً كربّه في الواقع .. لا نظرياً أو ظاهرياً كوسيلة و لا يعبد الله حقّاً وصدقاً لا نظريّاً وظاهريّاً كما هو واقع حال الناس خصوصاً الرؤوساء و الحكومات و الأغنياء جميعاً]؟**

**وآلسؤآل الثاني : [ألعالَم الآن يحتوي على خيرات تكفي لثلاثة أضعاف سكان العالَم البالغ عددهم 7 مليار نسمة, لو قُسِّمت خيرات الأرض بآلعدل .. فآلواقع المشهود في كل قارات العالم هو الغلاء و الجوع والفوارق الطبقية ..**

**فلماذا تلك الفوارق و الغلاء و آلجّوع والمرض منتشر في البلاد و العباد, إلى جانب الحروب ألمنوعة والصّراعات الدّاميّة المختلفة بينهم, بل حتى بين الطائفة و العشيرة و الحزب الواحد .. لا بل و العائلة الواحدة]؟**

**بإختصار شديد: سبب الحرب و الفساد و النفاق و الظلم و الفوارق الطبقية كل الظلامات المنتشرة بين الناس هو :**

**[فقدان آلمعرفة مع (ألصّدق و آلنّزاهة) ألتي تُمثّل نواة البصيرة في ذواتهم.**
**و (الصّدق مع آلذّات هو قتل الذّات) فمنْ قتل ذاتهُ ليكون صادقاً للحقّ في عصر ألمسوخ ؟**

**خصوصاً حين حلّ ألدّولار و تحكّمت المصالح التي تسحق العقائد و العهود .. فتتعدّد الهويّات التي يُؤمن بها كلّ فرد و حزب و عشيرة و مرجع دين]!**

**و مما زاد هذا الوضع خراباً و الطين بلّة و الأمور تعقيداً هي سيطرة الحكومات الميكيافيللية على جميع أنظمة و شعوب العالم, من غير أن ينتبه لذلك حتى العلماء و الفلاسفة و للأسف .. بينما تلك الأنظمة تفسر**

**الدولة و النظام و الرئيس و الأمبراطور و الحكام بكونهم مقدّسين و لا يمكن تجاوزهم .. بل و يجوز التضحية بكل شيئ حتى قتل الشعب للحفاظ على الدولة و النظام و حياة الرؤوساء .. بينما المفروس أن يكون ذلك النزاع و التفاضل لو حصل لسبب معين ؛ لأجل الحق و العدالة .. لا لحفظ النظام أو رئيسه بآلذات.. و إن كان واقعاً من باب تحصيل حاصل ؛ من هنا يتبيّن أن الهدف من إبقاء النظام هو لأبقاء النهب و المحاصصة و سرقة حقوق الفقراء .. من قبل المتسلطين بآلديمقراطية أو التكنوقراطية أو ما شابه ذلك!**

**لذلك يرد بسبب ذلك سؤآلاً لعلّه السؤآل الأكبر و الفاصل .. لكشف الكثير من الأسرار و معرفة الحقيقة الضائعة وسط الشعوب و البشر عموماً, و هذا ما سنعرضه في الفصل القادم إن شاء الله.**

و هي

55.....

**ألسؤأل ألأكبر الفاصل و المصيري ؟**

## 56.....

# ألسؤأل ألأكبر الفاصل و المصيريّ؟

**ألسؤآل ألأكبر و الفاصل و المصيري يتركز على علة قد تكون علة العلل في حياتنا لتحديد موقفنا بين العلم و المال, و أفضلية أحدهما على الآخر, وهو سؤآل طالما سمعته من قوم سلمان المحمدي, و هم يعلّمون أبنائهم و يربونهم لإمتلاك المستقبل في الأرض, و هذا ما لم أشهده في أوساط باقي شعوب الأرض!**

**سؤال كبير اجابه عليّ(ع) بدقّة و وضوح و لم يتّفق عليه الناس ..**
**وما زالت تلك الجدلية قائمة لانتشار الجّهل ألمُقدّس وسط الحُكّام ..**
**و بآلتالي إندماجهم مع خط الشيطان الحاكم اليوم على الأرض من خلال هذا البشر و(حكوماتهم المنتخبة) بآلذات تلك الحكومات التي أفسدت أخلاق الناس وغيّرت مسيرتهم فبدل أن تكون كدحاً بإتجاه الحقّ ؛ باتت مسيرة بإتجاه الشيطان من خلال الظلم و التفرقة و الفوارق الطبقيّة و الحقوقية المنتشرة في كل حكومات الأرض, على كل حال .. نرجع لطرح السؤآل الكبير الذي لو إلتزم الناس بتلك الأجوبة العلوية لَزَال آلظلم من الأرض .. و القصة بدأت عندما تقدّم عشرة اشخاص يسألون الإمام علي بن أبي طالب(ع) نفس السؤآل فيجيبهم بـ 10 أجوبه مختلفة كآلتالي :**

**تقدم الأول و سأله : يا عليّ .. هل العلم أفضل أم المال؟**
**فأجاب عليه السلآم : إنّ العلم أفضل،**
**فقال له : بأي دليل ؟**
**فقال : لأن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث قارون وهامان وفرعون فذهب الرجل إلى أصحابه بهذا الجواب فأعلمهم ،**

**فنهض آخر منهم وسأله كما سأل الأول :**
**فقال : يا علي ! العلم أفضل أم المال ؟**
**فقال عليه السلام : العلم ،**
**فقال ، بأي دليل ؟**
**فقال : ( لأن المال تحرسه ، والعلم يحرسك ) ، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم ،**
**فقالوا : صدق علي ،**

**فنهض الثالث ، و قال : يا علي العلم أفضل أم المال ؟**
**قال عليه السلام : العلم ،**
**فقال : بأي دليل ؟**
**فقال : ( لأن لصاحب المال أعداء كثيرة ، ولصاحب العلم أصدقاء كثيرة ) ، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم.**

**فنهض الرابع ، وقال : يا علي العلم أفضل أم المال ؟**
**قال عليه السلام : العلم ، قال : بأي دليل ؟**

**قال : ( لأن المال إذا تصرفت فيه ينقص ، و العلم إذا تصرفت فيه يزيد ) ،**
**فرجع إلى أصحابه و أخبرهم بذلك.**

**فقام الخامس ، وقال : يا علي العلم أفضل أم المال ؟**
**فقال عليه السلام : بل العلم أفضل ،**
**فقال بأي دليل ؟**
**فقال : ( لأنّ صاحب المال يدعى باسم البخل واللوم ، وصاحب العلم يدعى باسم الإكرام والإعظام ) ، فرجع إلى أصحابه وأعلمهم بذلك**

**فنهض السادس ، وقال : يا علي ! العلم أفضل أم المال ؟**
**فقال عليه السلام : بل العلم أفضل ،**
**فقال : بأي دليل ؟**
**فقال : ( لأن المال يخشى عليه من السارق ، والعلم لا يخشى ) ، فذهب إلى أصحابه وأعلمهم بذلك.**

**فنهض السابع ، وقال : يا علي ! العلم أفضل أم المال ؟**
**قال عليه السلام : العلم أفضل ، قال : بأي دليل ؟**
**قال : ( لان صاحب المال يُحاسب عليه يوم القيامة وصاحب العلم يشفع لاخوانه يوم القيامة )فذهب إلى أصحابه وأعلمهم بذلك.**

**فنهض الثامن, وقال يا علي العلم افضل أم المال؟ فاجابه : بل العلم أفضل قال بأي دليل؟**
**قال(ع) : ( لأن المال يندرس بطول المدة و مرور الزمان ، و العلم لا يندرس و لا يبلى ),**
**فرجع إلى أصحابه و أخبرهم بذلك.**

**فنهض التاسع ، و قال : يا علي العلم أفضل أم المال؟**
**قال : بل العلم ، قال : بأيّ دليل ؟**
**قال(ع) : ( لان المال يقسي القلب ، و العلم يُنوّر القلب ) ، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم بذلك.**

**فقام العاشر ، وقال : يا علي ! العلم أفضل أم ‹ المال ؟ قال عليه السلام : العلم ،**
**قال : بأيّ دليل ؟**
**قال(ع): ( لأنّ صاحب المال يتكبّر و يتعظم بنفسه ، و صاحب العلم خاضع ذليل مسكين ) ، فرجع إلى أصحابه و أخبرهم بذلك ،**

**فقالوا : صدق الله و رسوله, و لا شك أنّ علياً باب مدينة العلوم كلها.**
**فعند ذلك قال عليّ عليه السلام : ( و الله لو سألني الخلق كلهم ما دمت حياً**
**لم أتبرم ، و لَأجبت كل واحد منهم بجواب غير جواب الاخر إلى آخر الدهر)][(5)**

**أللّهم علّمنا ما ينفعنا و أنفعنا بما علّمتنا ..**
**و زدنا علماً وعملاً مقبولاً.**

**أمّا سؤآلي أنا في ختام هذا الفصل .. فهو :**

**ما الفرق بين آلعلم و آلثّقافة ..؟**

**وبين آلعلم و آلمعرفة ..؟**

**و بين العلم و الفلسفة..؟**

**و هل الجّهل يُقابله العِلم في الفلسفة الكونيّة ..؟**

**وأخيراً : هل يُمكن أن ينجح نظام حكم - تحت أيّ مسمى أو عنوان - في تحقيق العدالة و السعادة للناس دون الاعتماد على آلنظريّة ألكونيّة - ألعلويّة في الحكم و كما هو حال بلاد العالم التي تعتمد الفلسفة الميكيافيلليّة خصوصاً في حُكم العراق الذي يُنادي المسؤولون بآلأسلام و الوطنية و يستخدمون الكذب و النفاق و التصالح حتى مع الشيطان .. بل و يتقاتل المتحاصصون فيه علناً و بلا حياء لتقسيم المناصب و الرواتب و اركان الحكم لسرقة المال العام في مقابل تجويع و سلب حقوق و كرامة الناس .. خصوصاً الرافضين للمحاصصة الحزبيّة و الفوارق الطبقيّة التي وصلت لنسب لا يصدقها العقل لجهلهم بذلك؟**

**هذه الحالة المريضة و المؤسفة أصبحت كثقافة أساسية حتى للمثقفين و أساتذة الجامعات و علماء الدين للأسف لعد إدراكهم لعواقبها و مظالمها و خرابها القادم و تأثيراتها حتى على الأجيال القادمة!**

**هذا العرض الكونيّ الذي تقدّم .. يُفترض ان يكون المعيار و القاعدة الأساسية لنظام المجتمع في تحديد قيمة و مكانة الإنسان بعكس المعايير السائدة الان .. فالحكمة الكونية تؤكّد :**

**(هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون)؟ حيث عرضه الباري تعالى بصيغة سؤآل كدلالة على التعجب, بمعنى : [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ](6).**

**و في الحقيقة هناك أسئلة كثيرة طرحها و لا يزال المفكرون و الفلاسفة بشأن تطور الأفكار التي من خلالها تتطور الحياة, لان الامة التي لا تنتج الأفكار لا تستطيع صناعة مدنيتها و حضارتها .. و منها ما طرحه فوكوياما و مارتن لوثر و كلفن و غيرهم .. بخصوص علل تطور الحضارات و الحياة و الفكر و الدّين كعامل أساسي في تحديد حركة الفكر و الحضارة ..**

**فآلإسلام الذي يعيش منتصف قرنه الخامس عشر, هو (نفس القرن الميلادي الذي حدث فيه الإصلاح الدّيني) يقف ونقف معه أمام ذلك السؤال الأكبر من الكبير بعد تلك الأسئلة الأساسيّة التي وردت و هو:**

**[هل يحدث إصلاح دينيّ في الإسلام؟].**

**الجواب : هو نعم .. فيما لو إنفتحت الدولة الأسلاميّة القائمة اليوم لتحتضن كلّ الفكر و الأنتاج العقليّ و تحقيق التطور العلمي و الأكتفاء الذاتي في الصناعة و الزراعة و الغذاء و الدواء لا جزءاً منه كما هو الحال .. لأن التعامل التجزيئي و الأنتقائي للأفكار و القيم وبآلتالي الحصول على نتائج تجزيئية ناقصة, و كذلك التعامل مع الدّين بشكل تجزيئي خاص؛ فأن ذلك كله يسبّب خللاً كبيراً في منظومة المجتمع على كل صعيد, و تفسح المجال أمام أعداء الأنسانية لمحاربة الحقّ و تحجيمه.**

**لذلك قال الحكماء : [أنصاف المثقفين – أو أنصاف المعرفيّين – أخطر على المجتمع من الجّهلاء البلهاء! و الفساد الذي نشهده في بلادنا معظمه .. إن لم يكن أكثره هو لهذا السبب و لو وصل المستوى إلى أن يتنازل البعض عن موقعه لوجود من هو أفضل منه ؛ فأن الأحوال تتبدل و سرعان ما نصل القمة و التطور!**

**هذا و بنظري لو كتب الله لي عمراً إضافياً ؛ سأقوم بتقرير و كتابة (أسس الأصلاح في الفكر الأنساني), حيث يبدو أننا بحاجة ماسة لذلك .. كي نتخلص من واقعنا الفاسد الذي يشوبه الكذب و النفاق و الدجل حتى مع الذين يدّعون الدّين و يفسرون الأحداث بحسب مقاسات جيوبهم لا أساس الفكر و المصلحة الكونيّة.**

**لكن هذا التغيير الذي نرنو إليه يحتاج إلى همّة عالية و شجاعة كبيرة لمواجهة التيار الجاهليّ المترسخ في أذهان أكثرية الناس و حتى المدعين للدين و الدعوة و التقليد و الحفاظ على التراث!!**

**فهل يخرج لنا مارتن لوثر، أو جون كالفن مسلم أو فولتير؟**

**هل نرى نسخة أحدث من رسالة " الأمام الراحل" أو "رفاعة الطهطاوي" أو "محمد عبده" أو "قاسم أمين" أو "محمد باقر الصدر" أو "شريعتي" أو "مطهري" أو " محمد حسين الطباطبائي" و غيرهم؟**

**في الواقع أن ما يبعث على بعض الأمل أننا بدأنا نرى شخصيات مماثلة مثل "محمد عابد الجابري" و "مظهر شاهين" أو "عماد عفت" و غيرهم لكن هؤلاء ليسوا مصلحين دينيين بقدر ما هم مصلحين اجتماعيين و ثوريين سياسيين.**

**إنهم على شاكلة القس الأمريكي مارتن لوثر كنج (الصغير)، و الأسقف الجنوب أفريقي "ديزموند توتو"، و القس "جيسي جاكسون" وغيرهم.**

**إن ما نحتاجه اليوم هو "فلاسفة" لا معلّميّ الفلسفة؛ أو مُنظرون دينيون - أيّ فقهاء و علماء كلام و فتاوى تكرّرت آلاف المرات دون جدوى أو تأثير في سير الحياة الأجتماعية و المدنية.**

**ما نحتاجه هو الفكر مع الفقه كتوأمان إن إفترقا أحتراقا, وآلتي بتزاوجهما نحقّق المدنيّة و الحضارة معاً , و قد قلتُ مراراً في خطابي الكونيّ المبرهن؛ بأنّ الغرب المتطور تكنولوجياً لا يحتاج لشيئ اليوم سوى الأخلاق و القيم على الصعيد الأجتماعي مع تغيير طفيف في ألأصل الأقتصاديّ ألرأسمالي ألمُتّبع بإتجاه العدالة و المساواة للأتصال بآلغيب الذي لو تحقق ؛ فستكون بلاد ألغرب قطعة من الجّنة.**

ربّما، في رأيي ؛ من ينتمي لهذه النوعيّة المُنتظَرة .. هو شخص يجمع بين "فقهية" السيد الخوئي و "فلسفة" الصدر الأول و تنظيراته, و الملاحظ لما يحدث الآن على الساحة العراقية التي أجمعت ذلك التناقض قد جرفهم و وحدهم لبعض الحدود قوّة (الدولار) و التحاصص و تيار التقليد الأعمى على حساب مستقبل الشعب فباتوا لا من الذين آمنوا حقاً ولا من الذين كفروا؛ بل من الذين أفسدوا و ما عمّروا .

أو هو شخص يجمع بين "فقهية" جمال البنا و"علميّة" نصر حامد أبو زيد، و روحانية و كاريزما عمر خالد و مصطفى حسني مثلاً, لكن الراصد لما يحدث يجد أن مثل هؤلاء قد جرفهم تيار السلفيّة بشقيه الإخواني و السلفي الصريح.

و يعتقد بعض المفكّرين ؛
[أن هذا الحلم مراوغ جداً فهناك شروط اقتصادية و ثقافية واجبة التحقق لظهور مثل هؤلاء، لكن ثورة تشرين بقدر ما أظهرت الوطنين القوميين الماضوين و مكّنتهم من المشهد الوطني، بل والمشهد السياسي أيضاً على حساب الإسلاميين التحديثيين، فإنّها أيضاً أظهرت نوعيّة جديدة من التسامحيين الوسطيين الثوريين الذين لديهم كاريزما أخرى غير كاريزما الوُعاظ الجُدد].

و السؤال الكبير الآخر بعد تلك الأسئلة الكونيّة الأساسية .. الآن هو:
إلى أين نتّجه مع تلك التناقضات و الظلامات التي أقل ما يقال عنها أنه النفاق السياسي بأوضح صوره!؟

هل نتّجه إلى إصلاح دينيّ إسلاميّ يَكونُ دعامة لظهور اشتراكية – ديمقراطية – ليبرالية ـ متأسلمة ذات مرجعية إسلامية (ربما تمثلها أحزاب مثل التيار أو الدعوة أو حزب الله أو الوطنيين)، وهي بالمناسبة لَخارجة من رحم المعاناة ألعراقية ـ الأسلامية و بالتحديد الرحم العلمانيّ للدّعاة المتأسلمين في أوربا و الغرب.

و أعتقد بأنّ نتاج الحراك القائم على السلطة في بلادنا و منها العراق خصوصاً و التغييرات العديدة و المشينة و قانون المحاصصة المدغومة بقانون الأقليم و التعاون على الظلم بين الأحزاب و الكيانات لتقسيم المناصب و الرواتب و المخصصات و شيوع ثقافة الجّهل بسبب ثقافة المتحاصصين؛ له نتائج خطيرة على المستقبل المنظور .. و لو حدث هذا فستكون نظرية ماكيافيلي و فوكوياما سليمة و هي أن العالم يتجه نحو عولمة حقيقية, يكون الرأي و الراية للمنظمة الأقتصادية العالمية التي تتحكم بكل مجريات القرار العالمي بما فيها الأقتصاد و الشركات و الأعلام و الحروب لسلب الشعوب حرّيتها و كرامتها بإذلالها و سوقها بآلأتجاه الذي يخدم مصالحهم الستراتيجية, لكون العراق محصن نسبياً من نواحي كثيرة.

بينما حلم الثوار .. هو تحقيق عالم حُرّ واحد متحاب فيها .. الأديان و القوميات و الكيانات المختلفة كألوان الطيف(قوس قزح) بظل الوطن و الديمقراطية التي يمارس بظلها البشر عقائدهم و دياناتهم و هم يجمعون بين الوقوف معاً موحدين في الساحات و المساحات المشتركة، مع الاحتفاظ بتمايزات الاعتقاد و الله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة, و هذا أمر ممكن لو كانت هناك برامج فكرية و ثقافية لتعبئة الكيانات الضائعة وسط الجهل, و إلا فأن التحاصص سيستمر و يتبعها حرب أهلية مؤكدة في يوم ما أو الشد و الجذب على أقل تقدير و العيش بغير أمان و برنامج للتطور الحضاري.

**مثل ذلك العالم المنسجم المُوحّد البعيد عن لغة التحاصص و النهب يتحقق فيه بالفعل كرامة الأنسان و غاياته الكونية, (لا من خلال شعارات)؛ القومية و الوطنية و الحزبية و غيرها من المصطلحات المغرضة التي يراد من ورائها تخدير الناس و سلب حقوقهم و هو الوجه الأخطر للميكيافيللية لدى أهل الفكر وآلنظر. علينا الأنتباه .. لهذه المسألة الخطيرة و المصيرية ..**
**هل هذا حقاً ما نحن نطلبه و نتحرك نحوه؟**
**أم أننا نتحرك نحو مزيد من الراديكالية والأصولية و القومية التي تؤدي ليس فقط إلى "صدام الحضارات" كما تنبأ صامويل هنتجتون الذي اعتبر أن "عالم واحد جميل" ليس سوى حلماً طوباوياً غير قابل للتحقيق، و إن ما سوف يتحقق هو صدام حقيقي بين قوى العالم نتيجة إختلاف الأيديولوجيات الساعية جميعها إلى هدف مشترك هو التسلط و النهب و الفساد .. لكن كل بحسب منهجه و العناوين البراقة التي حددها لنفسه سواءاً عنوان "الديمقراطية" أو "الليبرالية" أو "ألملكية" أو "ألبرلمانية" أو غيرها : هذا خصوصاً بعد دفن قوانين و جداول (آبرهام ماسلو) لأنها مكلفة للأنظمة الرأسمالية التي تحكم بقوانين ميكيافيلي!**

**(فآلصدامات و الحروب الحاصلة بين مختلف القوى و الدول في العالم) ؛ إنما هو نتيجة تلك الآيدلوجيات المستهدفة وعلى خلفياته صدامات أخرى بين القوميات المختلفة وبين العرب و إسرائيل و السنة و الشيعة و أمريكا و الصين و روسيا و يوكرين و دول كإيران التي تقف بينهما.**

**هذا هو السؤال الكبير الآخر الذي سوف تجيب عليه السنوات القادمة؟**
**إنه سؤال ينتظره الجميع في (عالم ما بعد الحداثة) و (ما بعد الحرب الباردة و الحارة و الذرية).**

**المهم في أوساط تلك الأحوال و الأحتمالات ؛ هو الأنتباه إلى السياسات الجديدة المستدامة بإتجاه محو الأخلاق و كما جرى في العراق من خلال الأحزاب و الحكومات المتحاصصة التي عملت بغباء مفرط لتجعل الشعب و المتأسلمين و الداعيين لله ؛ مجموعات أنانيّة أو إرهابيّة فاسدة تنتهز الفرص لتصل القمة لتُكرّر ما فعلوها بأنفسم من السابقين بتدمير حقوق الناس و أموالهم و مصير أجيالهم .. و بلا تقوى و تنظير أو تأمل في المستقبل الغامض الذي ينتظر البشرية جمعاء.. لينخر الفساد جميع مفاصل الحياة شيئاً فشيئاً ..**

**يقولون أنك إذا ألقيت ضفدعة في ماء ساخن سوف تقفز فوراً .. لكنك إذا وضعتها في ماء فاتر ثم زدت درجة الحرارة نصف درجة نصف درجة ؛ فسوف يتمّ سلقها في هدوء!**

**هذا هو الأسلوب المتبع من قبل الإستكبار العالمي اليوم مع بلادنا و مع الشعب العراقي بشكل خاص من خلال مجموعة من الأحزاب الفاشلة الفاقدة للثقافة الكونية – العلوية .. و النتيجة ستظهر قريباً!**

**فإما أن تكون سلبيّة عكسيّة أو إيجابية متقدمة؛**
**عكسية بحسب التجربة التاليّة التي أجريت مؤخراً من قبل علماء الأجتماع و النفس مفادها :**
**(لو ألقيت فأرة في الماء للمرة الأولى فإنها ستقاوم دقائق قد تصل في أقصى حد لها 14 - 15 دقيقة فقط, ثمّ تستسلم للغرق فتموت .. لكن لو ألقيت فأرة في الماء و تركتها في الوهلة الأولى حتى تصل الرمق الأخير و هي تقاوم الغرق .. ثمّ في اللحظة الأخيرة أنقذتها من الغرق بإخراجها من الماء .. ثم رميت نفس تلك الفأرة مرّة أخرى في الماء .. فأنها ستقاوم في المرة الثانية يوماً كاملاً تقريباً .. لأنّ عقلها الباطن**

**يخبرها بأن هناك أمل بإنقاذك من الغرق في أية لحظة و كما حدث في المرة السابقة .. لهذا تبقى تقاوم حتى تفقد قواها و قوتها فتغرق!**
**تلك التجربة تدلّل على وجود شيئ ما في العقل .. كثقافة مخزونة في الضمير الباطن سبق أن إكتسبتها .. تلك الثقافة المترسّبة هي التي أعطت الأمل .. و الأيعاز بوجود إحتمال للبقاء و الخلاص و هكذا يكون دور التجربة و التربية و الخزين الثقافي و الفكر المترسب في العقل ساعة الحيرة و الحاجة ..**
**و من هنا يمكننا معرفة مدى أهميّة و دور الثقافة و الفكر في حياة الأنسان و حضارته ..**

**و كما رأينا في المرة الأولى كيف إنها لم تقاوم سوى دقائق .. لعدم وجود علم أو ثقافة أو تجربة و لو بسيطة في عقلها لتدفعها إلى آلصمود و المقاومة ..**

**و السؤآل هو : كيف نقنع قيادات الأحزاب و البرلمان و أساتذة الجامعة ووو غيرهم من المثقفين و الكتاب بأن الحلّ يكمن في معرفة الثقافة الكونية أوّلا ثم نشره بين الناس بآلأضافة إلى الآليات و الخطط و البرامج الثقافية و المنتدائية !!؟ و كذلك محو التعصب و الأنفتاح على جميع الأفكار و الآراء للخروج بنتيجة طيبة! هنا تكمن الحيرة و المشكلة بشكل رئيسي!؟**

**و هكذا هو الأنسان كان و لا يزال في مجتمعنا و حتى في آلغرب خصوصاً المسؤول الحاكم و السياسي في أوساطهم لا يُعادي سوى الفكر و المفكرين و الفلاسفة خوفاً على منافعه الشخصية أو الحزبية!؟**

**بينما لو كان الأنسان ـ المجتمع مسلّحاً بآلفكر و العلم و الثقافة و الخبرات الأنسانية و تجارب غنية عدّة ؛**

**فأنه بآلتأكيد سيكون فاعلاً و منتجاً و مقاوماً و مصلحاً أيضاً و ناشراً للخير .. لبناء الحضارة و خدمة المجتمع .. من هنا كان السؤآل هو أهم محور لتراكم و ترسيخ الثقافة في فكر و روح الأنسان .. و لو أصرّ صاحبه على المضي في كسب الثقافة و العلم و المعرفة فأنه سيمتلك البصيرة بعد عبور مراحل معينة و كما بيّنا ذلك في موضوعات و كتب سابقة.**

**لهذا أكّدنا في (فلسفتنا الكونيّة) على أهمية و محورية و مركزية الفكر و دور الثقافة كجوهر في بيان و نشر حقيقة الأنسان, و ذلك الجوهر الأنساني الذي لا يتكون و لا يترصّع و لا يصبح ألماساً إلاّ بعد صبّ المعارف في وجودنا صبّاً, فقضية وجودنا كبيرة للغاية و يجب أن نعرف قدر و قيمة هذا الكون و المصير!**

**فما هي النظرة الكونيّة لبيان ذلك الموضوع ألاهم!؟**

**و قبل عرض دور و أهميّة (فلسفتنا الكونيّة العزيزية), سنُبيّن لكم أهمّ ألعوامل ألرّئيسيّة لظهور ألفلسفة أساساً كتمهيد لجواب السؤآل ألاهم أعلاه, و الذي يتعلق بماهيّة الصراع بين الخير و الشّر ؛ بين المادة و المعنى؛ بين الحق و الباطل, فما هي النظرة الكونية لهذا الصراع و هل سينتهي يوماً ؟**
**و أين و متى سينتهي!؟**

و هي

64.....

## فلسفة ألصراع الأزلي بين آلخيّر و آلشّر :

# فلسـفة ألصراع الأزلي بين آلخيّر و آلشّر :

## ألمعادلة الكونيّة في صراع الخير و الشر :

**ألصّراع بين ألخير وآلشّر كانَ و لا يزال قائماً منذ هبوط آدم(ع) على آلأرض بل و قبلهُ حصلت مع مخلوقات أخرى سبقتنا في مراتب الوجود و لعل بعضها ما زالت تتقاطع مع وجودنا ضمن مراتب كونيّة تعمل بقوانين و ذبذبات مختلفة عن الذي نحن عليه الآن كأمة وسطا .. فهناك أمم أخرى لا نعلم عنها سوى إشارات بسيطة للغاية ..**

**أساساً وجود الشرّ ليس أصيلاً إنما وجوده طارئ و ناتج لفعل الأنسان و المخلوقات, و بآلتالي فأن الشر من باب تحصيل حاصل من آلشيطان الذي قلّ من يعرف كيفيته و قواه و مدى تأثيره في الوجود كقوة مضادة للخير المطلق الذي يمثله الله تعالى و أهل الله .. و بآلمقال الشيطان و جنوده في البشرية, و هكذا يكون (الشّر) بآلضمن الكاشف عن الخير و الخير كاشف للشّر بعد المقارنة.**

**أما ماهية (الشّر) فإنها بآلتاكيد تتمثل بالشيطان كعنوان بارز و قواه الغيبية المؤثرة في بني آدم ..**
**أو يدخل بداخل المخلوق بحالة الوسوسة التي يُحدثها في صدر و وجود الأنسان ألمستهدف ..**
**أو يستطيع النفوذ إلى عقله ليصور له بعض الأمور و المناظر و الوقائع بظاهر جميل يجذب الناظر و المعتقد بها لأتباعها لنيل بعض الملذات الآنية, و يعاكس بنفس الوقت ماهية الخير داخلياً .. و هكذا للشيطان و (الشّر) وجوهٌ و تجلّيات عديدة بحسب آلموضوع المعني, يجب دراستها و معرفتها.**

**أما ماهيّة (الخير) ؛ فأنها تتمثل بكل حقيقية لها جذور فلسفية تؤدي إلى نتائج ثابتة و مريحة و صادقة و ترتبط في أصله بآلله تعالى منبع الخير و الأمان و الحب و القدرة و البقاء.**

**فلولا الأبيض ما عرفنا الأسود أو الصح و الخطأ و هكذا كان التضاد و الصراع قائماً بينهما من الأزل.**
**علّة و جذور آلصراع بين الشّر و الخيّر ما زال قائماً بسبب ألطمع و آلشّهوة و حُبّ ألظهور و التسلط, و الكفة آلرّاجحة كانت على آلدّوام لجانب ألشّر لتأصّله في وجود الأنسان و إرتباطه المباشر بآلحواس الخمسة التي تمثل أبواب مشرعة بين الجسد المادي و بين الروح التي إن مالت للطين فإنها تميل للرّاحة و آلسّكون وعدم البحث عن ألحقيقة و بآلعكس إن مالت للتقوى و الصلاح و التقرب من المعشوق الحقيقي فأنها تسموا لتتالق في فضاء الوجود و القرب ..**

**لهذا فكّرَ آلفلاسفة ألتّمهيد إلى تشريع قوانين ذات أساسٍ فلسفيّ لا مصلحيّ تَحِدُّ من سطوة ألشَّر و آلظلم و تُحقق العدل عبر معرفة فلسفة ألقانون على أساس ألعقل و آلنّقل .. تلك الفلسفة التي تُحقق السلام و الصلاح و المحبة و الأمن و العدالة في المجتمع.**
**تتصادم قوى الخير و الشر في الحياة و الوجود حتى داخل الفرد نفسه الذي يعيش صراعات لا تحصى،**

**نتيجة هذا التضاد المتأجج الذي يعتبر طبيعياً .. لإحداث مثل هذا التباين أو لنقل الميزان بين الرغبة و الامتناع و بين النور والظلمة وبين الكذب والصدق والحقيقة والضلال و القسوة والرحمة والعنف والسلام.**

**فطبيعة النفس البشرية مزدوجة لأنها خلقت من مادة كثيفة و روح شفافة و باستعدادات متساوية لقبول الخير و الشر, [فألهمها فجورها و تقوها, قد أفلح من زكّاها و قد خاب من دسّاها], و لو لم يسعى صاحبه نحو الخير أو أبقى نفسه بلا إتجاه و مبدأ فإن الصراع بينهما سيبقى دائماً، و هو كالقتال العنيف بين جيشين مع كل منهما سلاحه فأيهما غلب الآخر قهره و كان الحكم له.**

**طبيعة الإنسان .. بل البشر بتعبير أدق؛ جعل الله فيه قابلية الخير و الشر معاً وأعطاه العقل السليم، كي يُميّز به بين ما ينفعه و ما يضره؛ و ما يسبب طهارته أو تلوثه، و يستدل به (العقل) على الأمور الحسنة وعلى الأمور القبيحة بالجملة .. لا على التفصيل و قال الله تعالى ؛ [و نفس و ما سواها، فألهمها فجورها و تقواها، قد أفلح من زكّاها، و قد خاب من دساها] (سورة الشمس، آية 7-10).**

**إن النفس تأمر بما تهوى إلا أن يرحم الله تعالى من شاء من خلقه من اتباع هواها و طاعتها بينما هي تأمره بالسوء كما [إنّ النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي] (سورة يوسف/ 53).**

**لكن الحقيقة هي أن مسألة فجور أو تقوى النفس تعود في النهاية إلى المخلوق نفسه (الأنسان), و تحديد موقفه رهن بآلثقافة و الفلسفة التي يحملها و يسعى لهضمها و تطبيقاها بعد ما يعلم حقائق الأمور .. من هنا يأتي دور و أهمية الفلسفة التي ماتت للأسف في الأوساط العربية و الأسلامية و لم يعد لها دور لبناء الأنسان و المجتمع و بآلتاي الحضارة و العمارة و التطور و السعادة!**
**و السؤآل الآن هو :**

**لماذا ماتت الفلسفة وهي أمّ العلوم, ونعني (الفلسفة الكونية) لا (الفلسفة السفسطائيّة) أو ألأبيقراطية السائدة حتى في بعض البلدان العربية و الأسلامية لبعض الحدود!؟**

69.....

# لماذا ماتت الفلسفة في الوسط الاسلامي؟

## لماذا ماتت الفلسفة في الوسط الاسلامي؟

**ألسؤآل الآخر الأهم هو: لماذا ماتت الفلسفة في الوسط العربيّ و آلأسلاميّ بحيث أصبح أصحاب شهادة الدكتوراه شحاذين لأجل المعيشة؟**

**هذا .. خصوصاً إذا علمنا بأنّ جامعات الدّول العربية و الأسلاميّة خرّجت مئات الآلاف من حاملي الشهادات ألأكاديمية في مجال الفلسفة و مشتقاتها.**

**كشهادة الماجستير و الدّكتوراه و ربما (البوست دكتورين), بحيث أصبحت لدينا جيوش مجنّدة عاطلة عن العمل من أساتذة الفلسفة, و بلا فائدة او عمل أو إنتاج مفيد!**

**المشكلة إن دراسة الطالب للفلسفة, لا ينطلق ليكون عنصراً مبدعاً و منتجاً للأفكار و الآراء؛ بل ليحصل على وظيفة ليعيش من ورائه, و هذا لا إشكال فيه كون جميع الأختصاصات في بلادنا باتت هكذا, لذا يجب تعريف الغاية من الدراسة , خصوصا الفلسفة كأهم مادة دراسية لتطوير البلاد و تشكيل الحضارة الأنسانية – الكونيّة, و إلا فأننا سندور في دوائر مغلقة لا قيمة و ال أنتاج لها.**

**إنّنا في آلحقيقة نحتاج إلى (فلاسفة) و (حكماء) لا إلى (أساتذة الفلسفة) ألعاطلين عن العمل الذين يشحذون في المراكز و الجوامع و يقرؤون الفاتحة على الأموات في المقابر لإرتزاق لقمة خبز لمعيشتهم لأنّهم ليسوا بفلاسفة منتجين حقيقيين ولا يصلحون إلّا كمعلّمين لتكرار وإجترار المعلوم, بيد انّ العالم اليوم قد إنتقل من تلك المرحلة (التعليمية العقيمة) إلى مرحلة ألأبداع و البناء و التطور والحداثة, وفرق كبير بين (مُعلّم الفلسفة) الذي يُعيد و يكرّر دروس ونظريّات مَنْ سبقه من الفلاسفة كآلببغاء .. و بين (آلفيلسوف) الذي يبحث و ينتج و يقارن و يُبدع النظريات ألجديدة و يُحدّد ألخطط و آلمسارات والمناهج لنهضة ألأمم والناس و سعادتها!**

**بينما الفلسفة الغربية بآلمقابل لم تتوقف عن الأبداع و الظهور و التطور و الأنتاج و تحديد المناهج و الخطط لجميع المراحل الدراسية بدءاً بآلمرحلة الأبتدائية و إلى اخر المراحل الدراسيّة الجامعية إلى جانب الخطط الأقتصادية على مستوى دولها .. حيث برزت الفلسفة البنيويّة و روادها.**

**من ثم برز فلاسفة العلم و الفينومينولوجيا أو فلسفة الظواهر, كـ (هيدجر و غادامير), و أخيرا ظهر إلى الوجود الفلسفي فلاسفة ما بعد الحداثة وهم كل من؛ ميشيل فوكو ياما و جيل ديلوز و غواثاري و**

هارولد بلـوم و غيرهم, و هؤلاء هم الجيل الوارث للفلاسفة (الثلاثة) للنهضة الغبينما نلاحظ إنّ الفلسفة ألأسلاميّة ـ ألعربية غابت عن المضمار تماماً, فلم نعد نرى فلاسفة عرب معاصرين منذ سقوط الأندلس حتى اليوم و إن برز أحدهم كـ (محمد باقر الصدر) فسرعان ما يتمّ حصاره و خنقه و تكفيره و قتله من قبل أقرانه قبل الحكومات المدعومة من عموم المسلمين و حتى أساتذة الجّامعات(55)، و هذا شيء محزن و غريب و تردي نحو الحضيض!

من الممكن أن نشهد فقهاء ومراجع وأدباء وفنيين ومهندسين وأطباء و نُقّاداً معاصرين متمكنين؛ ولكن لم يظهر لدى العرب و المسلمين فلاسفة معاصرون, و الفلسفة أُمّ العلوم و أيّ علم بلا فلسفة يُعتبر علمٌ ناقص ليس فقط لا يُحقق هدفه بل يكون مردوده عكسياً و يتسبب في الفساد، وحتى من عَرفَ منهم بالفلسفة فإنهُ لا يعدو أن يكون مُترجما أو ناقلا أو مُعلّماً لأحد الاتجاهات الفلسفيّة, وهو ليس بأكثر من نسخة مشوّهة و ناقصة عن فلسفة غربيّة ـ شرقيّة حقيقية هادفة لتنظيم البرامج. كما ليس لديننـــــا فلاسفـــــة إسلاميّون و عرب لأنتاج المعرفة, لذلك تأخّرنا و أصبحنا في آخر قافلة التطور و النمو و التّمدن وحتى الحضارة والحداثة!

فهل يعود ذلك إلى صعـــــوبة ألـــدّرس الفلسفيّ؟
أم إلى سوء فهم و درك هدف ( الفلسفة ) أساساً!؟
أو ربما الأثنان معاً!؟

أم ليس كل ذلك .. بل يعـــود آلسبب إلـــى انقطـــاعنا عن فلسفتنا الأسلاميّة(علم الكلام) و العلوم الغريبة كعلم السيما و الكيميا و الجفر و غيرها من العلوم العـــربيّة القـديمة و إن كانت مشوّهة بسبب تحريم "علماء" المسلمين للفلسفة حتى نهاية القرن الماضي بسبب حالة التحجّر والجّمود العقليّ والفقهيّ في مدارسنا وحوزاتنا, بآلأضافة إلى عدم الرّغبة في النّظر إليها و وعي أبعادها؟

أم يعود الخلل إلى إشكاليّة الترجمة عن الفلسفة الغربية ؟

أم يعود إلى عدم نزاهة آلمثقف و المفكر و مُعلّم الفلسفة نفسه لفقدان الأخلاص و الكفاءة معاً, إضافة لتسلط و نفاق وكذب السياسي والحاكم كمنتوج لتلك الثقافة او الفلسفة الناقصة – الخاطئة أساساً .. لذا حين يطرح مشروعاً أو رأياً أو فكراً .. لا للبناء .. بل ليسرق أموال التخصيصات المتعلقة بذلك!

و هكذا الطبقة الأعلاميّة و التخطيطيّة و حتى أساتذة الجامعات عندما تطرح نظرية من إنتاج الآخرين

**لا تشير للمصدر الحقيقي, بل ينسبوها لأنفسهم, ممّا يُسبّب كارثة كبيرة بل كوارث لا تُحمد عُقباه لجهله بأسرار النظرية و ثوابتها و تفاصيلها و مراحل إدارتها و تنفيذها و تنظيم القوى الأنسانية و تعبئتها, ثم إنّ المسألة تتعدى مُجرّد عدم نزاهته بإدعائه لتلك المبادئ أو الفكرة العائدة لغيره زوراً و ظلماً؛ بل يتعدى الأمر ذلك أثناء ترجمتها (أيّ إعمال الفكرة ألمسروقة) على أرض الواقع فيعبث و يُحطّم المشروع و يبني بشكلٍ خاطئ, لعدم معرفته بآلتفاصيل و بِكُنْهِ و جَوهر تلك الفكرة(النظرية) فتحصل الإشكالات و الأخطاء و الخسائر الفادحة على كلّ صعيد, و كما هو الحال في معظم بلداننا؟**

**لذا فأنّ السؤال المطروح .. كبير و كبير جدّاً في المجال الحضاري - المدني, و من آلصعوبة بمكان الإجابة عليه بسهولة لا لكونه يتعلق بسرقة حقوق شخصية أو مؤسساتية بل لقضية الأمة و البشرية جمعاء، ربما لأنّ العقل العربي - ألأسلاميّ المعاصر – ألمُتحجّر عموماً – غائب و متخلف و مضغوط و تأبى الفلسفة أنْ تقلّد الآخرين أو تتطور و كما فعلت الإتجاهات الأخرى العلميّة و الإنسانيّةَ!**

**ربّما لأنّ العرب و المسلمين لم يَعُد لديهم ما يُمثّلهم, بسبب الظلم و الحالة الطبقيّة و آلتمييز ألكبير في آلحقوق نتيجة تسلط حكومات لا تفهم حتى معنى العدالة و المساواة و عمل الخير و الجمال!**

**أو لكون العرب ضيّعوا أنفسهم في ذلك آلانقسام ألمُضني بين تراث أصبح غريباً و معاصرة غربيّة غريبَة - فباتوا (لا من الذين آمنوا و لا من الذين كفروا .. بل من الذين عافوا الحمار و إنهزموا)!**
**لذا فإنّ ألعرب والمسلمين يعيشون آليوم غربة مضاعفة فلا هم غربيّون ولا هم عـرب ولا مسلمون!**
**لا أعلم ..ربّما لأنّ العرب لم يحن دور نهوضـــهم بعد بسبب إنشغالهم بـ(آلخرطات التسعة) و دورات (الحيض و المرحاض) و المرأة تخرج من بيت أبيها إلى زوجها و تخرج بثوب أبيض بعد الممات!؟**

**نسأله تعالى أنْ يهدي أمتنا و القائمين على إدارة مجتمعاتنا و جامعاتنا و حوزاتنا التي أنتجت حكوماتنا ألتي ظلّت طريقها بسبب أولئك "ألعُلماء" و نهج "آلحكومات" ألتي تديرها و تحكمها الأحزاب الجاهلة .. الفاسدة و بإصرار و بآلدم و المؤآمرات و القتل و النهب و الفساد و التكفير و آلتحاصص في سرقة أموال الفقراء بعد حدوث التباين الكبير و الفواصل بين الطبقات الأجتماعية نتيجة الثقافات الغير إنسانية التي نشرتها الأحزاب التي مالت مع الشيطان في جهادها و نهجها.**
**لذا و بكل إختصار و بلاغة: [لا يُغيير الله ما بقوم حتى يُغييروا ما بأنفسهم] .. بأنفسهم و من أنفسهم و العاقل المتأمل يدرك هذا المعنى!**

فالفضائل تتصل بالجانب العقلي و الروحي بينما الرذائل تتصل بالجانب الحسي للشخص(النفسي)، و لذلك فإنّ الإنسان بطبيعته يتّجه نحو الرذائل بحسب مشاعره و أحاسيسه التي تطفو على السطح واستجابة لدعوة النفس التي تأمره بالخطأ فيلبي الا إذا كان ذا عقل راجح فلا يميل الا وفق عقلانيته، لذا لا بد للفرد من أن يتكلف الفضائل وأن يدفع نفسه إليها، قال الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم): (تكلفوا فعل الخير، وجاهدوا نفوسكم عليه، فإن الشر مطبوع عليه الإنسان) والشر كامن في النفس من خلال طبيعة وجود الغرائز التي قد يحولها المناخ المنحرف إلى الشر.

هناك (خير و شر) كامنان في داخل النفس البشرية، و على المرء تحريك نفسه نحو الخير و عندما ينشأ في نفسه الصراع بين هاتين المعادلتين يحاول أن يضغط على عناصر الشر فيها، و أن يحبط بروحيته و عقلانيته تلك الغرائز ويحول كل طاقته باتجاه الخير، لا في اتجاه الشر (فإن الشر مطبوع عليه الإنسان) أي طبيعة متحركة في أصل تكوينه بنظامه الغريزي الذي ينفتح على الخير كما ينفتح على الشر، إذ هناك صراع في تكوين الإنسان بين العقل والغريزة والانتصار على النفس من الانتصارات في معركة الحياة.

و قال علي بن أبي طالب (ع): [الشّر كامن في طبيعة كل أحد، فإن غلبه صاحبه بطن، وإن لم يغلبه ظهر], يعني إنه إذا ترك الإنسان غريزته تتحرك باتجاه الشّر فلا بدّ من أن يتحوّل الشّر إلى حالة فعلية بعد ما كان حالة باطنية وكامنة في الأعماق، فطبيعة النفس البشرية تحمل في طياتها إستعداداً فطرياً لتقبل الأمرين الخير و الشر، وهي قابلة للتوجيه والتنمية نحو أي منهما، فهما ليسا متأصلين في هذه الطبيعة بل إنها قابلة لهذا أو ذاك بالتوجيه و التربية و الترويض الأيجابي والبيئة التي يعيش فيها الفرد الذي يجنح به نحو الخير أو الشر و هذا هو دور الأخلاق و الاستعداد الفطريّ.

تختلف نسبة ومستوى الشر من فرد لآخر والميل أو النزعة لها ما يؤججها باختلاف التربية والثقافة والبيئة والظروف المحيطة بها، تلك التربية التي ترفع مستوى الإنسان مبتعدة به عن الشر ومقربة من الخير، فالتربية السليمة تساعد على تنشئة أفراد أخيار يمتنعون عن فعل أي عمل شرير.

هذا التصادم بين الخير و الشر ما زال في كل أجزاء الحياة و الكون، و أصبحت فئة قليلة جداً في هذا الوقت من تقف في صف الخير بينما الأغلبيّة تقف في صف الشر لأنها تعودت على المعاصي و لقمة الحرام و الرواتب الحرام، وبات العالم عرضة لسيطرة الشر و الخضوع لقهر غير مسبوق.

إن ما هو أخطر من عالم اليوم, هو أن الأشرار باتوا يمتلكون المال و القدرة و أخطر الأسلحة و

**أشدها فتكاً لا بين الأفراد فحسب بل بين الأمم والشعوب حيث نرى فصولها واضحة على أرض الواقع، و يمكن القول إن البشرية في كل مرحلة كانت تفرز بعضاً من أبنائها هم غالبا من المفكرين في الفكر الإنساني و المثقفين يدعون إلى كبح جماح الشر في النفس و يسعون إلى تنمية بذور الخير و تقويتها في الفرد و المجتمع و بهذا يصبحون ضمير و أمل العالم.**

**هناك لوبيات ترتبط بقادة المنظمة الأقتصادية إلى جانب القائمين بالفساد و الأفساد المحلي بشتى الطرق و منها (السحر) لتخريب العلاقات الأجتماعية و آلعائلية و الزوجية و التي تُورط ألمصابين و تلهي الناس عادة عن عمل الخير أو رؤية مصيرها و مستقبلها و حتى حقوقها الطبيعية, و الحكومات بآلمقابل ترتاح لذلك و ربما تشجع على تلك الحالات ليخلوا لها الجو لأدامة الفساد و تعظيمه, فيقومون بنشر الفساد و منها أعمال السحر و الشعوذة و الدّعارة و اللواط و التزواج المثلي .. ممّا يتسبب بآلمشاكل الرّوحية و الجسدية و العوق الفكري و الروحي .. لكيلا يفكروا حتى بحقوقهم .. بل و لا يطالبوا بذلك .. فحين يفقد الأنسان حريته مع الكرامة و الحياء و الاختيار ؛ يفقد بوصلة حياته و لا يهمه شيئ بعد .. سوى ملأ بطنه و تفريغه من تحت إن أمكن .. و هكذا يوماً بعد آخر تخلوا الساحات و المراكز من العقلاء و المفكرين الذي تقع عليهم مسؤوليات كبيرة ما عادوا يفكرون بها و لا يناصرون مدّعيها , ليتسلط الظالمون و المجرمون على مقاليد الحكومات و المؤسسات لنهب أموال الفقراء و تحاصص المناصب و كما هو حال و واقع بلادنا الآن للأسف!**

**لذا فأنّ المطلوب مقابل هذا الوضع و المخططات الجهنميّة و الخراب و الفساد الذي إنتشر في بلاد العالم التوحد لدرأ تلك الحالات الخطيرة و المؤثرة على حياة الناس و علاقاتهم العائلية و الأجتماعية و مستقبل الأجيال القادمة البريئة.**

**و تلك هي المعادلة الكونيّة في صراع الخير و الشر قائمة و تتوسع بإضطراد .. خصوصاً و أن أهل الخير و الصلاح يتقلصون يوما بعد آخر لقوة الشر و تغلغله حتى داخل الأفراد ناهيك المجتمعات.**

**إلّا أنه مع كل ذلك الدمار و الفساد القائم و الذي يتوسع بكثرة و ينتشر في البلاد؛ هناك أناس .. و إن كانوا معدودين يقومون بدورهم رغم كل الحصار المفروض عليهم حتى لقمة الخبز, وهؤلاء هم النخبة التي يتصدرهم المفكرين و الفلاسفة لكشف و رسم معالم الطريق أمامهم ..**

**لذلك سنُبيّن لكم معالم الفلسفة و العوامل التي أدت لظهورها مع دورها في تغيير الواقع الفاسد الذي نعيشه اليوم!**

و هي

75.....

**أهمّ ألعوامل ألّتي أدّتْ إلى ظهور ألفلسفة أساساً :**

## أهمّ ألعوامل ألّتي أدّتْ إلى ظهور ألفلسفة أساساً :

**هناك جملة من الأسباب التي أدت إلى ظهورها .. و إليكم التفاصيل :**

**بما أن الفلسفة تتقدم على الثقافة .. لكونها العمود الفقري لترصين و كشف و كسب الثقافة, لذا لا بد من بحث هذا الأساس لتكون ثقافتنا مبنية على أسس فلسفية مبرهنة, و هناك عوامل و أسباب أساسية لظهور الفلسفة سنعرضها ثم نقيمها .. كمقدمة لطرح إلثقافة و كيفية إدارتها و العوامل جاءتنتيجة تطور الفكر الأنساني .. و هي :**

**– ألعامل ألسّياسيّ؛ و كيفيّة سعي ألفلاسفة لإنتقال ألحكم من آلسّلاطين و آلنُّبلاء (الأقليّة) إلى الحكم الدّيمقراطيّ (الأكثريّة) آلتي تسمح بالحوار و حرية الرّأي و التعبير و الجدل بعد أن كان منحصراً بالأقلية ألحاكمة.**

**- ألعامل ألأقتصاديّ؛ تمثّلتْ في تحوّل الأنشطة ألفلاحيّة و الرّعويّة و غيرها إلى الأنشطة ألصّناعيّة والتجاريّة، رافقتها بروز العملة النقدية كبديل عن المقايضة ثم التكنولوجيا الحديثة و مسائل الطاقة.**

**- ألعامل ألثقافيّ؛ من خلال إنتقال الفكر اليونانيّ من (الميثوس) عالم التفكير ألقائم على الأسطورة إلى (اللوغوس) عالم التفكير القائم على العقل؛ والذي سبّب زيادة الأنتاج و ازدهار المجتمعات بالعلوم ألدّقيقة كعلم الفلك؛ الرياضيّات؛ انتشار الثقافة بين الناس بسبب حوار الحضارات؛ شيوع ألكتابة الأبجدية؛ إستمرار ألبحث عن ألحقيقة؛ تطوّر ألفكر لدى الناس.**

**- ألعامل ألإجتماعيّ؛ تمثّل بوجود طبقات المجتمع الثلاث, و السعي للاستفادة من ثقافة ألحضارات الأخرى .. كالحضارة البابلية، والحضارة الفرعونية و الفارسية و الغربية و آلتي أدّتْ إلى تطوّر العلاقات الداخليّة و الخارجية و مسائل الحقوق.**

**لكن هذه الفلسفة التي ورثناها حتى (المرحلة السادسة) و رغم تنوع عوامل ظهورها لم تجدي البشرية كثيراً لعدم تناولها بوضوح لأهَمّ اصلٍ بخصوص حياة و مستقبل و كرامة البشر .. لذلك تمَّ إستغلالها من قبل المستكبرين في (المنظمة الأقتصادية العالمية) لتأمين وتحقيق مشاريعهم التي باتت**

77.....

**اليوم تُهدّد بتدمّر البشريّة و كل الأحياء إن لم تُعالج من الأساس!**

**أمّا لماذا ألفلسفة حتى(العصر ألفلسفيّ ألسّادس) لم تُحقّق ألأهداف ألّتي وُجِدَتْ لأجلها قبل آلاف ألسّنين, بل حدث العكس .. و الفساد و الظلم و الحروب أيضاً و إلى يومنا هذا!؟**

**هذا سؤآل كبير .. يُشكّل محور الأشكاليّة الفلسفيّة وآلجّدلية ألتأريخيّة آلتي كرّستُ حياتي لها, حيث لا تزال سائدة و فاعلة بسبب فقدان ألوعي وعدم تفعيل ألبعد ألفلسفيّ ألكونيّ ألّذي نحنُ بصدد بيان تفاصيله بعد إستنباطه من آلحقائق العلميّة والرّسالات ألسّماويّة ألتي تغييرتْ هي الأخرى بحسب مشارب و مآرب ألسّلاطين بدعم ألمبلغيين وأهل ألمنابر والمراجع ألتقليديون, لذلك فشلت رسالات ألسّماء لأنقاذ آلمجتمعات رغم تطور ألعقل والعلاقات الأجتماعيّة وآلحقوقيّة والسياسيّة والأقتصاديّة والعلميّة وسنُعرض التفاصيّل في هذه ألدّراسة التي أشرنا فيها إلى أنّ (وجود الله أصل الخير ألمُرتهن ظهوره بآلأخلاق العمليّة لعباده على أرض الواقع .. و يتحتم ظهوره بعد عبور المراحل ألسّبعة لتحقيق الآدميّة), فلسفتنا تختصر زبدة فلسفات ألفلاسفة من الأغريق وإلى اليوم, لأنها تسعى لتوحيد عالم ألنّاسوت بآلّلاهوت لوحدة ألوجود, و قيام عالم ألشّهود كواقع مرهون بوجود آلله ألّذي منه يستمدّ آلأحياء بقائهم؛**

**[My philosophy unites the world of manhood with theology]**

**تتشكّل فلسفتنا من ثلاثة أضلاع؛(الخالق؛ ألوجود؛ ألمخلوق) مع الأرتفاع كرابط للمحبّة بينها في آلمثلث لتقويم و إبراز جمال آلحالة ألمثلى بمقدار إرتفاع ألمحبّة أو إنخفاضها ولا ينفكّ عن بعض إلّا بفقد الرحمة و ألمحبّة .. و الفرد و العائلة و المجتمع و الوجود كوحدة واحدة بعد محو الكراهية و النفاق و توحد القلوب لدرجة الحالة المثلى .Optimal status**

**و الفلسفة الكونيّة تحقق أهدافها في ثلاث مجالات داخل المثلث الكونيّ, و هي:**

**طلب العلم؛**
**معرفة الجمال؛**
**عمل الخير و الأصلاح؛**

**وعمل الخير في نهجنا, هو[إسداء المعروف و مساعدة الآخرين و أداء كلّ عمل خير و خدمة الناس دون أن يستفيد فاعله بشيئ من ذلك!**

**و آلأخلاق ألعمليّة كإطار لأعمدة الفلسفة ألكونيّة ألدّالة على وجود ألله في آلمُعتقِدين؛ لا تتحقّق و لا تتفاعل عملياً إلّا مع التواضع و (آلمحبّة) آلتي تُحصّن ألأنسان من فساد ألفكر والآمال ألمحدودة بآلشّهوة و آلنّفس, و إلّا فهو مُلحدٌ لا يُؤمن إلّا بنفسه دون آلخالق ألعظيم ألّذي إتّخذه غطاءاً للعلو وآلفساد في آلأرض بظاهر ألأيمان وكما نشهد ذلك في حكومات ألأرض و أحزابها ألفاسدة.**

**من جانب آخر تتعارض الأخلاق و مقوّماتها مع آلعلم و التكنولوجيا خصوصاً بعد ما أُسيئَ إستخدام الأخيرة و كما نشهد اليوم, حين ركّزت الحكومات على آلتسليح و التكنولوجيا ألعسكريّة والفضائيّة والأتصالات مع تأجيج الحروب لصرف تلك الأسلحة لإستضعاف و قتل الأنسان و تعبيده من أجل الربح السريع ألذي يُخلّف وراءه كمّاً هائلاً من الفضلات الكيمياوية.**

**و تلك مسألة هامّة للغاية نبّهنا عن نتائجها ألخطيرة على حياة و مستقبل ألبشريّة تتعلّق بمسألة ألتّلوّث الطبيعيّ ألذي قد يُؤثر و ينهي ألحياة على الأرض, لإرتفاع درجة حرارتها بمعدل واحد درجة و هذا كثير جداً ومن المحتمل إرتفاع ألحرارة أكثر ليُسبّب تدميراً هائلاً, وهناك توقعات بإرتفاع الحرارة عليها إلى 4 درجات, مِمّا يعني إستحالة العيش عندئذٍ, إلى الدرجة التي لا يستطيع حتى أكبر ثريّ في العالم أنْ يحمي نفسه و يعيش في بقعة من الأرض مهما تحصّنت و أينما كانت بعد ما يذوب ألجليد و ترتفع الفيضانات و تنتهي الزراعة و الثروة السّمكية التي يعتاش عليها أكثر من مليار إنسان في هذا آلزّمن, كما إن النفط سينتهي وجوده .. بل لا بد من ذلك لأنه أحد أهم الأسباب ألمؤديّة لأرتفاع ألتّلوث و درجة الحرارة, و هناك ستّة دول ستلتحق بآلسّويد لتبديل مصادر الطاقة الحاليّة من البترول و المحروقات النفطية إلى مصادر الكهرباء و الطاقة الشمسية, و قد تعهدت 200 دولة قبل أشهر 2019م بتطبيق إتفاقية ألحفاظ على البيئة بتبديل ألطاقة البترولية بمصادر الطاقة الصّديقة, و من المتوقع إستبدال مصادر ألطاقة ألنفطية 100% في غضون أقل من عقدين من الآن حيث طبقت السويد تلك الأتفاقية كأوّل دولة و ستتبعها ستة دول أخرى بهذا المضمار في غضون السنوات القليلة القادمة.**

**لكن ما هو دور(ألفلسفة ألكونيّة) في هذه ألقضيّة ألمصيريّة آلكبرى؟**
**دور فلسفتنا إنحصر بطرح ألسّؤآل ألتّاليّ على آلعالم من خلالUN :**
**أي من خلال هيئة الأمم المتحدة .. لكونه يتعلق بمصير البشريـــة :**

**هل حياتنا مُهمّة؟**

**و إذا كانت مُهمّة و ورائها غاية تستحق ألسّعي لإدامتها؛ فماذا علينا أنْ نفعل للحفاظ على أرواحنا ألمُهدّدة بآلتلوث وآلموت و الأستعمار و الذل!؟**

**من هنا – من خلال السؤآل أعلاه - يُمكنكم أدراك أهميّة (فلسفتنا آلكونيّة) في أحد أهمّ جوانبها ألّتي تُريد تحقيق ألسّعادة عبر حياة هادئة خالية من الحروب و آلتلوث ألبيئي و آلنّفسيّ و المناخي الغير ملائم و درء الأمراض و البلاء و التّلوث الذي يسببه أصحاب الشركات و المصانع العملاقة التي تريد أن تربح كلّ شيئ بجشعها على حساب حياة و حقوق و مصير الناس الذي لا يعني لهم شيئاً .. لأعتقادهم بأنّ إلههم و حياتهم تختلف عن إله الناس الآخرين لأن الأموال بيدهم و الحكومات والأحزاب تابعة لهم في كلّ البلاد, و قادرون على أدامة الحياة بدونهم حتى لو تحقق (الكلوبل وورم) أيّ إرتفاع حرارة الأرض!**

**لكنهم نسوا بأنّ تلك الحرارة لا تترك حيّزاً أو مساحة من الأرض بمأمن من ذلك, حيث يستحيل معيشة الأحياء عليها وليس الأنسان فقط, و لا فائدة حينها من كلّ مال البنوك والشركات والحكومات!**

**لذلك و كما قلنا فإنّ دور و مكانة فلسفتنا الكونيّة تُعادل بل و تفوق أهمّيّة كلّ الأدوار ألفلسفيّة و العلميّة ألسّابقة التي مرّت عبر التأريخ, لأنها لم تكن متكاملة عبر العصور ألفلسفية ألسّتة ألتي بدأت بعصر (أوغسطين) مروراً بسقراط ثمّ أفلاطون حتّى أرسطو وصولاً للعصور الوسطى بقيادة (ديفيد هيوم) و (رينيه ديكارت) و (إيمانوئيل كانت) كأعمدة للنّهضة ألحديثة ألتي بدأت من آلقرون الوسطى عبر ثلاثة مراحل هي :**

**- (الثورة,**
**- النهضة,**
**- التنوير,**

**ثم أضيفت لها مرحلتان آخريان مع ظهور تقريرات فلسفتما الكونية مع بدء الألفية الثالثة, هما:**

**عصر المعلومات,**
**و**
**عصر ما بعد المعلومات,**

**لكنها نجحتْ فقط في تحقيق ألجّانب ألمدنيّ لبعض الحدود ... لأنّ المسافة لبلوغ النهاية طويلة !!؟؟**
**كما نجحت قليلاً و لبعض الحدود أيضاً من آلجانب آلحضاريّ, لكنها تغييرت مؤخراً و لم يبق لها أثر إيجابيّ في الواقع.**

**و نفس هذه التجربة الثلاثية قد مرّ بها الأسلام في بداية الدعوة ؛ حيث بدأ الرسول (ص) بدعوته السرية للمقربين و الأهل بادئ الأمر و كمرحلة أولى .. ثمّ طور العمل ليبدأ بدعوته العلنية للناس فكوّن مجموعة كبيرة نسبياً أهّلتهم لمرحلة أخرى ..**

**فهاجروا و وسعوا دعوتهم و شكلوا التجمعات, حتى تمّ الفتح الأخير و الكبير, ثمّ تشكيل الحكومة الأسلامية في المدينة المنورة ..**

**و تجدر الأشارة و على آلرغم من نجاحهم في الجانب المدنيّ – سواءاً الغربيون أو الشرقيون - إلّا أنّهم فشلوا في أهمّ ألجوانب ألحياتية ألمُتعلّقة بآلأخلاق و آلأهداف و آلغايات الأنسانيّة و دور و أهمّية العلاقات العائليّة و حفظ العلاقات الأجتماعيّة لعدم إنتباههم لها و إهمالهم لبيان ألعلّة و آلعلاج ألأمثل الذي ورد في الكتب السّماوية التي هي الأخرى أنحرفت على أيدي مدّعيها و أهل المنابر بسبب الجهل المقنع, بل بإختصار شديد:**
**[كل الفتوحات و التطورات لم تكن تمثل سوى الجهاد الأصغر, أما تحقيق الاخلاق الفاضلة فأنها تمثل الجهاد الأكبر].**

**لهذا لم يكن سهلاً إحداث التغيير فيها .. بل و فشلوا في درء المحنة التي نعيشها اليوم بسببهم على كلّ صعيد حيث تعقّدت الأمور, و من هنا يأتي ألدّور و آلأهمّية البالغة لفلسفتنا الكونيّة التي لولاها لضاعت جهود الأنسانيّة كلّها و في مقدّمتهم الأنبياء ثمّ الفلاسفة و من تبعهم لأحياء الأنسان على الأرض بعد تحقيق العدالة فيها.**

**و لتحقيق العدالة و المساواة و كرامة الأنسان في المجتمع ..**

**لا بُدّ من توفّر ثلاث مقومات, هي :**

**و جود القيادة (القائد) العارف الحكيم.**

**وجود الفكر الكونيّ الذي يتفاعل مع المجتمع من أوسع و أشمل الأحوال.**

**وجود النخبة الواعية المُتقّية المتصدية للتغيير .. و التي تعتبر محور و لولب التغيير, لأنها تأخذ على عاتقها نشر الفكر الكونيّ و في نفس الوقت تعمل كحلقة وصل بين العارف الحكيم من جهة و بين الأمة أو الشعب أو الجماعة المتوحدة من الجهة الأخرى لإحكام عملية التغيير, و إلا فأنّ عصرنا هذا سيمرّ مع هذا الفساد الممنهج كما العصور السابقة لنطوي سنوات عمرنا و عمر الجيل الذي معنا و الأجيال التي ستأتي. لتكون مجرد مرحلة تكرارية عبثية - قهرية دون تغيير حقيقي نحو قضية الخلافة الألهية أو على الأقل نحو الخير و السلام.**

**و سنشير بإختصار لأهمّ العناوين الشاخصة التي مثّلتْ [العصور الفلسفيّة الستّة] التي مرّ بها آلفكر الأنسانيّ حتى إعلان نظريّتنا الكونيّة التي عرضناها كختام للفلسفة في الوجود بإختصار هنا !**

**علمـــاً أنّنا ذكرناها تفصيلاً في كتابنا الموسوم بـ [محنة الفكر الأنساني], و كذلك فلسفتنا الكونية في كتاب [نظرية المعرفة الكونية] لمن يريد المزيد و التوسع في معرفة هذا الأمر الأهم.**

**و لتوضيح كيفية بناء الفكر و القواعد السليمة لإجراء عملية التغيير و نشر الخير بدل الشر و الفساد .. سنقوم ببان المراحل و العصور الفلسفيّة التي مرّت عبر التأريخ الفكري الأنساني.**

و هي

82.....

# ألعصور الفلسفية :

## ألعصور الفلسفيّة :

بعد دراساتنا الموسعة و قراآتنا المعمّقة بخصوص التأريخ و بآلذات ما يتعلق بآلفكر الأنسانيّ و أهمّ النّتاجات التي ظهرت و التي كلّفتني الكثير من المال و آلجهد و الوقت .. بل لا أجانب الحقيقة لو قلت كلّفني العمر كله مذ فتحت عيني على هذه الدّنيا اللعينة و الجميلة في نفس الوقت, حتى توصلت إلى أنّ قصة الفكر و الفلاسفة و التي هي قصّة الأنسان الحقيقيّ الهادف؛ قد تشكّلت من مراحل مختلفة حدّدتها و نظّمت فصولها أخيراً في ستّة مراحل حتى وصولنا المرحلة الأخيرة السابعة التي ظهرت أوانها مع بدء الألفية الثالثة, و لا بدّ لكل مَنْ يريد معرفة الحقّ و الوجود و سبب الخلق و صفات الخالق و المخلوق ؛ عليه أن يقرأ و بدقة تلك المراحل و القواعد ليبني حياته على أساس قويّ و منطلقات كونيّة قد تكون بداياتها صعبة نسبياً .. لكنها توصلك لساحل الأمان و السعادة و هذا هو المهم .. خصوصاً لو عرفنا بأن حياتنا لا تخلو أبداً من المكابدة و الحيف و الظلم, كطبيعة مرافقه لها من زمن آدم(ع) و للآن.

لقد تشكلت العصور الثقافيّة ألستّة بعد مراحل و صراعات و تزاوج بين الثقافات المختلفة .. هذا بعد ما إستطاع الأنسان العبور من مرحلة الصيد و البداوة إلى مرحلة الزراعة, ثمّ شيئاً فشيئاً مرحلة التمدن و الأستقرار في المدن, لتبدأ رسم و تشكيل المدنية و المعالم الحضارية نتيجة لتطور الفلسفة و العلاقات الأجتماعيّة و الاقتصاديّة و الزراعيّة ..

و الحضارة بشكل عام كما يقول سيغموند فرويد؛ [بدأتْ عندما قام رجل غاضب لأول مرّة بإلقاء كلمة بدلاً من حجر].

و قد أراد المفكر الكبير فرويد أن يُخبرنا بحقيقة عظيمة كما فعل ديكارت و إسبينوزا و نيتشه و غيرهم, سبقهم بذلك الأنبياء و المرسلين و الأئمة بكون (الفكر و الثقافة) أساس الحياة و الحضارة و لها الأهمية القصوى في تحقيق الحياة الآمنة ألسّعيدة, ثمّ توالت الآراء و النظريات و الأدبيات الراقية للتنظير إلى القواعد المطلوبة في الحياة البشرية, عبر عصور مختلفة و منوعة , لتبرز الفلسفة كعنوان عام لأدارة العلوم و المعارف, و البدايات كانت في آلغرب .. بأوربا, إلا أنه يمكن القول بأنّ علم الكلام هو المعادل الفلسفي في النظرية الأسلامية التي مرت هي الأخرى بمراحل و تطورات و عصور مخلفة.

و العصور الفلسفية التي حددها الفكر تشكّلت منذ بدء التأريخ و للآن من ستّة مراحل حتى ظهور (فلسفتنا الكونيّة) التي مَثّلتْ ألمرحلة السابعة و آلأخيرة كختام للفلسفة .. لأنقاذ ألعالم من الضياع و الجهل و الفساد الذي عمّ بلدان الأرض بأغطية و شعارات براقة و كأنها عناوين حقّ لكن يراد بها الباطل, و سنقدم لكم بإذن الله تلك العصور لتكون قاعدة لأنتخاب الأفضل و بآلتالي للخلاص من آلظلم و الفساد و هي :

- ألعصر الأوّل: تشير ألنّصوص ألتأريخيّة إلى أنّ بداية ألفلسفة ظهرت فِي آلقرن ألسّادس قَبلَ الميلاد, و هي ألفترة ألمُتزامنة مع ظهور ألألواح القديمة المتعلقة بألدّيانة أليهوديّة، وَتناوَلت تلك ألفلسفة مَواضيع عِدّة مِنها: (ألفلسفة آلسّياسيّة؛ والأخلاقيّة؛ وعِلمُ الوُجود؛ والمَنطِق؛ وعلمُ الأحياء؛ الرّياضيات؛ ألكيمياء؛ والبلاغَة؛ وعلمُ الجّمال؛ وغيرها مِنَ المَوضوعات)، وَتُمثّل هذه ألفترة بداية ألفَلسفة آليونانيّة, وَتَمّت فيها

**84.....**

**مُناقَشَةِ الكثير مِنَ القضايا: كعلمُ الوُجود و خلود النفس و أصل ألذات, و يطلق على هذا العصر (فلاسفة ما قبل سقراط), حيث شمل الفلاسفة اليونانيون كحكماء الإغريق السبعة ألبارزين ألذين نشطوا قبل ظهور نجم أوغسطين ثمّ سقراط و تلامذته.**

**- ألعصر الثاني: ألفلسفة الأوغسطينيّة, نسبة لأوغسطين, ولد في 354 ق.م وعرفت بعصر ما قبل سقراط.**

**- ألعصر ألثّالث: فلسفة سقراط.**

**- ألعصر الرابع: فلسفة أفلاطون.**

**- ألعصر الخامس: فلسفة أرسطو.**

**- ألعصر السادس: ألفلسفة الحديثة.**

**- ألعصر السّابع: ألفلسفة ألعزيزيّة (ألكونيّة) وتمّ إعلانها بداية ألألفيّة ألثالثة لتحقيق ألعزّة و الكرامة للنّاس بدل العبودية.**

**و الجدير ذكره : هي أن ألفلسفة بعصورها (الستة) و ملامحها الفكرية و الثقافية و الفنيّة التي وردت عناوينها أعلاه مع ظروف نشأتها ليست وحدها التي فشلت في هداية المجتمع البشريّ؛ بل الفشل شمل حتى الدّيانات التي سبقت الأسلام أيضاً و لم تنجح في القضاء على المنافقين و الأشرار و هداية و إسعاد البشرية للأسباب الذتية التي عرضناها آنفاً و كذلك لتشتتها و إنقسامها إلى مذاهب و فرق عديدة, كلّ منها تدّعي أنّها هي الفائزة بآلجنّة و البقية في النار, حتى المذهب الشيعي في الأسلام و الذي يُعتبر الأكثر إعتدالاً و قرباً من الحقّ من بين المذاهب؛ هي الأخرى قد إنجرفت وراء الأوهام و الأحكام القشرية و الطقوس الدينية التي ما أنزل الله بها من سلطان و خلط الدّين مع النفس و المصالح بسبب الكم الهائل من الرّوايات الضعيفة و المزوّرة التي ملأت حتى (الكتب الأربعة) التي تُعتبر أدق وأصحّ الكتب المعتمدة لدى الشيعة بحسب رؤية و تحقيقات العالم الكبير (السيد محمد علي الباقري) الذي ألّف كتاباً أورد فيه مئات الأحاديث ألمزوّرة والضعيفة في آلسّند أو حديث آحاد أو مبتور من تلك الكتب الشيعية الصحيحة.**

**و سنشير أيضاً .. لبعض آلنّصوص ألمُقدّسة لكونها دقيقة و تناسب الرّوح ألأنسانيّة ألعصريّة , لأنها بآلنتيجة صادرة من خالق الروح و العقل و الحكمة و العشق, ليمكننا التركيز على تحقيق الهدف ألمنشود عبر الأنتاج العلمي و الفني بطاقة الفكر المُولّدة للخيال - نقصد الفكر الباطن - للطبابة الكونيّة, و ألفكر ألباطن يُمثل الحركة آلأنتقاليّة للذهن من المجهولات(الخام) إلى فلاتر العقل الباطن لتحليل تلك المعلومات بعد الدراسات و المقارنات لتحقيق المقاصد التي ترتبط من جانب بآلنية و من الجانب الآخر تنتهي بآلكمال, و لا بدّ من تكريرها بواسطة العقل الباطن لتقويمها و إستعمالها بشكل أنفع و أجمل وأوفر, ليتحقق على أتمّ وجه, و هذه هي [عملية سير الباطن من المبادئ(المقدمات) إلى المقاصد(ألأهداف) و هو قريب من النظر و لا يرتقى أحدٌ من النقص إلى الكمال إلا بهذا آلسّير ألتّفاعليّ](7).**

**85.....**

**و لنا في قصص العرفاء و الأولياء عبرة و كما بيّنا ذلك سابقاً, حيث لا يدرك و لا يكتمل معاني و أسرار الوجود و تحقق الوصال مع ا لمعشوق إلّا بآلفكر و التفكر الباطني – القلبي ألذي يتأتى بآلعبادة و خلوص النّية و العمل الصّالح ألذي يتطلب التضحية بدون مقابل .. بحسب أوامر المعشوق ألذي قال في حديث قدسيّ عظيم يُبيّن المدى الكونيّ الذي من الممكن أن يصله الأنسان ـ الآدميّ .. هذا نصّه :**

**[مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْت سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ].**

**حديث متفق عليه و قد ورد ضمن الأحاديث القدسية, و أداء النوافل يكون بعد طهارة القلب الذي وحده يربط العبد بربه لا العقل الذي يفيد للحساب و الكتاب فقط.**

**و يقول الباري تعالى :**

**[أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور](8).**

**عن عليّ(ع) ؛ [فكر المرء مرآة تُريه حُسن عمله من قُبحه](9).**

**و قال(ع) ؛ [مَنْ كثرت فكرته حسنت عاقبته, و الفكر مرآة صافية و ا لفكر ينير اللب و الفكر جلاء العقول](6).**

**و عنه(ع) ؛ [فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة](7).**

**و عنه(ع) ؛ [أصل العقل ألفكرو ثمرته السلامة](8).**

**و عنه(ع) ؛ [ألفكر في غير الحكمة هوس](9).**

**و عنه(ع) ؛ [ من ترك الإستماع من ذوي العقول مات عقله](10).**

**و عنه(ع) ؛ [إضربوا بعض الرأي ببعض يتوّلد منه الصّواب](11).**

**و عن عيسى (ع) ؛ [كونوا نُقّاد الكلام](12).**

**و عن عليّ(ع) ؛ [من شاور الرّجال شاركها في عقولها].**

**و عنه (ع) أيضاً ؛ [ما خاب مَنْ إستشار](13).**

**و عنه (ع) ؛ [لا سُنّة أفضل من التحقيق].**

**و قال أيضا ؛ [ لا عمل كآلتحقيق](14).**

**و عنه(ع) ؛ [من طالت فكرته حسنت بصيرته](15).**

**و عنه (ع) ؛ [لا يحرز العلم إلا من يطيل درسه](16).**

**طبعاً هناك تعاريف عديدة .. لكنني إستخلصت تلك التعاريف لتطابقه مع حقيقة الفكر الذي يؤدي إلى تكوين ثقافة ذاتيّة معينة بحسب مراجعها, تُجدّد و تُحدّد مسير الأنسان و سعادته بواسطة القوة الباطنية التي تدفع و تُحرك آلذّهن بإتّجاه كشف معلومات جديدة و بآلتالي التخلص من الجمود و الركود لإيجاد حضارة راقية تحدّد ملامح المدنيّة.**

**و يوعز سيجموند فرويد نشأة الحضارة التي هي نتاج الفكر .. ثمّ الخيال في جوهره و إنطلاقتها ؛ بكونها كما أشرنا سابقاً إلى الفكر و الثقافة بتعبير دقيق و هام للغاية هو :**
**[بدأت عندما قام رجل غاضب لأوّل مرّة بإلقاء كلمة بدلاً من حجر].**

**و الثقافة بحسب تعريف تايلور, هو [ما يبقى في آلفكر بعد ما ينسى آلأنسان كلّ شيئ] (17).**

**فآلفكر الواعي و التأمل و التدبر ألعميق يُولّد ألخيال ألّذي يؤدي إلى آلمعرفة ثمّ الأيمان بوجود خالق عظيم يستحق أكثر من مجرد الأيمان و هو العشق بتطبيق أوامره!**

**فإما ثقافة إجتماعيّة – إقتصادية – سياسية – تربوية ضمن منظومة أخلاقية كونية كاملة و جامعة متحضرة على أساس الأيمان و الأدب و التقوى بإتجاه بناء الأنسان داخلياً لدفعه و المجتمع نحو الخير و العمل الصالح لتحقيق العدالة و الرّفاه؟**

**أو ثقافة و دِين طقوسيّ - شكليّ مبتذل بإتجاه دفع الأنسان نحو الطمع و الشهوة و التسلط و آلرّذيلة, و كما هو حال الأنسان المعاصر الذي لا يستسيغ سوى الحرام و الجشع و الطمع و التكبر و النهب, بعكس المفاهيم العلوية التي كانت وحدها تمثل الثقافة الكونيّة.**

**لهذا نطلق صفة الفيلسوف الكونيّ ثمّ العارف و آلحكيم(18) – كصفة ومرحلة أخيرة للمراتب الكونية لكونه يصبح خليفة الله في الأرض - على آلمُميّزين الذين يقتلون ذاتهم و يصمدون أمام المغريات و هوى النفس و يُشغلون أذهانهم على الدوام بمسائل فلسفيّة و حكميّة هامّة للوصال تُحدّد بآلنتيجة القوانين المدنية و**

**التكنولوجية و الاقتصادية والسياسيّة والتربويّة و الأجتماعيّة و الحقوقيّة و القضائية و غيرها لتحقيق الوصال مع المعشوق.**

**و الجدير ذكره أنّ ألذي يُسرع و يُفعّل عمليّة التفكير ثم التخيّل ثمّ الأنتقال إلى مرحلة الأنتاج العلمي المفيد لتحقيق ألوصال؛ هي التقوى و الورع لأسباب كونيّة بحثها القرآن في منظومته العقائدية الأيمانية و الأخلاقية .. أهمها؛**

**إبعاد العقل عن الأصابة بآلأمراض و عن الأجواء العنيفة لتمكينه من السفر الكوني لأستحالة السفر حتى الأرضي للمريض الذي يعاني القهر و حفظ مقادير كبيرة من الذاكرة لتعبئتها بآلأشياء المفيدة التي تفيد و تنقذ البشر من محنتها و مما إبتليت به من آلشّر و الشهوات, بعد تحصين العقل من الصور و المناظر و الأحاديث و الأفلام الفاسدة التي لا تغني و لا تنفع سوى آلظواهر وآللذات ألطارئة ألتي سرعان ما تزول و تترك ورائها آلآلام و الحسرة و حساب عسير في الدارين.**

**لذلك أوجب الله تعالى التفكير على المؤمنين و بشّرَ المتقين الصابرين في طريق طلب العلم لأنه تعالى [سيُريهم آياته العظام في الآفاق و في أنفسهم](19)؛ يعني فيما يخصّ اللطائف و الأسرار الخفيّة في الأنسان و آفاق الوجود في حال تحقق الأيمان بآلله تعالى و السلامة من الأمراض و حلول و ترسيخ الرّحمة فيما بينهم كشرط للسفر الكونيّ ألذي لا يناله إلا ذو حظ عظيم.**

**يقول الباري تعالى : [وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ](20).**

**و بذلك يكون العكس هو آلصحيح تماماً.**

**و لعلّ تلك الآية التي طبقها قوم سلمان المحمدي بعد الثورة ألأسلامية بدقة و ذكاء و إخلاص ؛ هي السّبب في نصرهم و تخطيّهم و إختزالهم لقرون و مراحل عديدة خطها الغربيون تحققت خلالها نهضة أوربا العلميّة ـ التكنولوجية؛ ليتمّ إختزالها بعقود قليلة ما جاوزت الأربعة عقود إستطاعوا خلالها تحقيق ما حقّقه الغرب كلّه بأربعة قرون كتخصيب الذّرة و التقدم في الفضاء و الصناعة و الزراعة و الأعمار و غيرها!**

**إن هذا النوع من الفكر ألمرتكز على القواعد العلويّة ـ الكونيّة أفقياً من شأنه تحقيق المعجزات في كل الأتجاهات بسبب ألسّعة و القابليّة و الشّموليّة و الخيال اللامحدود و الخصب المنتج الذي يمنحه العقل(الفكر السليم) لا (الفكر المريض) لحامله من خلال بُعديه (الباطني) و (الظاهري) , و على باقي الناس و منهم المسلمون ألأنتباه لمسالة هامّة, و هي ألتفريق بين آلخيال الحقيقيّ ألذي منبعه ذلك الذي**

**يتصف بالرّحمانيّة و الرّحيميّة و الحكمة و الإبداع وحتى صفة التواضع و المحبة التي تدلّل على(الحقّ) كلّه و حامله .. أيّ كان ذاك .. حيث تؤدي بحاملها إلى الوحدة و التآلف و المحبة بينه و بين الناس من جهة.. و بين (الهلوسة) و (الوهم) الذي منبعه وسوسة النفس و الشيطان ألرّجيم الذي يُريد زرع العداوة و الفرقة و الكراهية و الفتن و الغيبة و النفاق و التهم بين الناس لتحريفهم عن عبادة الله لغيره من الآلهة الذين يملؤون الأرض لاجل نهب الناس و إفلاسهم بشتى الوسائل و الطرق!**

**لهذا حين تشهد عائلة أو جماعة أو أمّة موحدة مسالمة متحابّة رحيمة .. أسعارها رخيصة؛ علاقاتها طيبة؛ تتعاون فيما بينها و تنبذ الغيبة و الكذب و النفاق و زرع العداوات و الفساد ؛ و تنشر الثقافة و العلم؛ فإعلم بأنها من أهل الرّحمن يقودهم أولياء الله, و إذا رأيت العكس – بل ربما يعادون مَنْ ينادي بآلعدالة و المساواة كما شعوبنا العربية و العراقية؛ فإعلم بأنّها من أهل الشيطان و يقودهم أعداء الله من الكفار و المنافقين, و هذا وضع معظم دول و مجتمعات العالم اليوم بقيادة حكومات و قيادات همّها الأول و الأخير سرقة الفقراء بكافة الأساليب و الوسائل الممكنة, و سنبيّن لكم في الفصول القادمة .. الفرق بين [(الخيال الخصب) و بين (الوهم)] أو [ألخيال بين الحقيقة و الوهم] ألذي يصيب الكثير من الناس بسبب الأمراض العقلية و القلبية و الغيبة و الفتن و حُب الدنيا بشكل جنوني في هذا الزمن!**

**إن البحث عن رؤية معرفية للثقافة كنظريّة تأسيسية بديلة لهذا المفهوم في العلوم الاجتماعية، و استيضاح ما إذا كانت صالحة ـ لأن تكون كذلك أم لا يحتاج منا أولا :**

**ـ إلى بحث نظريّ متسلسل حول حضور هذه المقاربة في الكتابات الفكرية المعاصرة، و تبيان مدلولاتها و تحديد حقولها و حدودها المعرفيّة، و ذلك بالربط بين الطرح النظريّ و التجسيد ألعمليّ و الواقعيّ من خلال اختيارنا لنماذج متميزة تعتبر تراكمات وامتدادات، سنعمل على تجميع خيوطها النظرية الناظمة، و تحليلها بما يقتضيه المقام. و لا بد للوقوف على المعرفة و الثقافة الكونيّة طرح العناصر الأساسية لإدارة المعرفة و إستراتيجياتها للتمهيد إلى طرح النماذج الثقافية للتعريف بآلفكر لمعرفة الملامح الكلية للثقافة و الغاية من دراستنا في هذا الكتاب الذي يتضمن بآلأضافة لما تقدم؛ المنظومة الفكرية و الثقافية و كيفية إدارتها.**

و هي

و هي

90.....

## ألعناصر الأساسية لإدارة الثقافة و إستراتيجياتها :

## ألعناصر الأساسية لإدارة الثقافة و إستراتيجياتها :

**نحاول في هذا الفصل إبراز عناصر إدارة الثقافة و المعرفة و التي يقوم عليها برنامج إدارة الثقافة في أي منظومة, و كذلك إستعراض أهم الأدوار التي تؤديها تلك العناصر, و يهدف هذا الفصل أيضاً إلى بيان إستراتيجيات إدارة الثقافة و المعرفة و مجالات تطبيقها و الأختلافات بينها, و الظروف الملائمة لكل منها.**

**في مجال إدارة الثقافة و المعرفة تبرز عناصر عدة و إستراتيجيات تختلف معالجتها تبعا لطبيعة عمل المنظمة و المنهج الذي تتبناه.**

**إن إستراتيجية إدارة المعلومات المتكاملة تعد أهم المكونات الأساسية التي يمكن أن تبنى أو تقوم عليها إستراتيجة إدارة المعرفة الناجمة و الناجحة.**

**و أساسها مشاركة المعلومات و المعرفة و توفير المزيد من أساليب الأتصال السهلة و السريعة و دعم سياسات المشاركة و المرونة بتبني الممارسات الأبداعية و تكامل التنظيم الرسمي و اللارسمي في المنظمة, و لعل أهم نموذج في هذا المجال هو بناء هياكل التعلم الفردي و التنظيمي و بناء ثقافة المشاركة المعرفيّة, و آلمدارس والجامعات و المراكز و المنتديات الفكرية و الشبكات الأعلامية هي المنطلقات الهامة التي لا بديل لها.**

**لذا يبرز أمامنا معرفتان هما:**

**أولاً : إدارة الثقافة و المعرفة .**

**ثانياً : إستراتيجيات إدارة الثقافة و المعرفة .**

**ألأول :**
**عناصر إدارة الثقافة و المعرفة .. و تتضمن أربعة أركان هي :**

**- ألخطط ألإستراتيجيّة :**
**- القوى البـــشريـــــة :**
**- ألوسائل ألتكنولوجية :**
**- العمليات الأجرائيـــّة.**

**فآلمؤسسة التنظيمية تحصل على المعلومات و الطاقة و النشاط و الإكتشاقات الجديدة في المجالات المختلفة من البيئة الخارجية .. و بإشتراك العناصر الأربة الآنفة, يتحدّد شكل و طبيعة الثقافة و المعرفة و**

**مقدار الحاجة لها.**

**ـ ألخطط ألإستراتيجية :**

**تعني إسلوب التحرك لمواجهة تهديدات أو فرص بيئية يجب أن تُؤخذ بآلحسبان نقاط قوتها و ضعفها داخلياً بآلنسبة للمشروع سعياً لتحقيق رسالة و اهداف المشروع.**

**و هناك مجالين لإستراتيجية إدارة المعرفة , حيث يُنظّر إلى الإستراتيجية على مستويين :**

**أـ المجال الأول : يبحث في الأساليب و الأدوار التنفيذية التي تقع مسؤوليتها على مسؤول إدارة المعرفة و تهدف إلى تطوير إستراتيجية معرفة المنظمة و منحها الصفة الرسمية غير المستويات التنظيميّة.**
**بـ ألمجال الثاني : يتمثل بضمان تطوير الخطط الإستراتيجية و تكاملها مع إستراتيجية المنظمة الأشمل و دراسة النتائج.**

**و ألخطط الأستراتيجية في إدارة المعرفة تختلف في معالجتها تبعاً لنوعي المعرفة , فآلأستراتيجية في مجال المعرفة الضمنيّة تتمثل بتنمية شبكات العمل لربط الناس ليتقاسموا المعرفة و التي تعبر عن الخبرة الفردية التي تقود إلى ألابداع المبني على المشاكل الإستراتيجية.**

**أما في مجال المعرفة الظاهرة, فأنها تتمثل بتطوير نظام الوثائق الورقيّ أو الأليكتروني و خون و تنسيق و نشر و إدامة المعرفة بقصد تسهيل و إعادة إستخدامها و الأستفادة منها من خلا تركيزها على تعظيم نوعية الوثائق و درجة موثوقيتها.**

**أمّا دور الإستراتيجية في إدارة المعرفة فيتحدد بآلتالي:**

**1ـ صنع المعرفة بآلتركيز على تأطير أو تبني الخيارات الصحيحة و الملائمة, و في إدارة المعرفة يتم تبني الخيارات القصيرة الأمد لطبيعة المعرفة المتغيرة , لأن الخيارات طويلة الأمد لا تكون ملائمة في حالة التغيير السريع.**
**2ـ توجه المنظمة إلى كيفية مسك و معالجة موجوداتها الفكرية مثل الإبتكار و القدرة و الأبداع على الأتصال و المهارة و الجنس.**
**3ـ تسهم الإستراتيجية و خاصة في مجال المعرفة الضمنية بتنمية شبكات العمل لربط الناس كي يتقاسموا المعرفة.**

**4- تسهم الأستراتيجية بتحديد مناطق الأهمية الإستراتيجية للمنظمة فيتم التركيز عليها لجمع المعرفة حولها.**
**5- تقوم بوضع الأسبقيّات و ضمان إيجاد برامج إدارة المعرفة فضلاً عن تحديد السياسات لأدامة رأس المال الفكري والمحافظة عليه في المنظمة والعمل على بث برامج إدارة المعرفة داخل المنظمة أو المؤسسة.**
**6- إن إختيار المنظمة لستراتيجية معينة سواء أ كانت (تنويع ؛ تركيز ؛ دفاعية ؛ هجومية) يدفع بإتجاه توليد معرفة جديدة.**
**7- تسهم في تحديد المعرفة الجوهريّة و المحافظة عليها.**
**8 - تسهم في تأسيس و تعظيم المعلومات و المعرفة و جعلها قريبة جداً و متوازنة مع المعرفة المطلوبة في الصناعة و تهيئة الكادر المؤهل للتنفيذ و تدرس تفاعل المعرفة و المعلومات و آليات تحسين عمليات الأنتقال و التحول بينهما.**
**9- ألإستراتيجية كإطار عمل لإدارة المعرفة تحدد طبيعة روابط المنظمة و صلاتها لتطوير معرفتها بين أن تكون عملية إستراتيجية كما في التحالفات مع مراكز البحث و التطوير القطاعية و الجامعات أو مع المنظمات المماثلة.**
**10- القوى البشرية ؛ و هو العنصر الثاني في إدارة المعرفة و الثقافة, و يعد الجزء الأساس في إدارة المعرفة كونه يتضمن الأساس الذي تنتقل عبره المنظمة من المرعفة الفردية إلى المعرفة التنظيمية التي تنشط فيها ذاتها بإتجاه المشاركة بتلك المعرفة و إعادة إستخدامها .. لتحسينها أيضا.**

**إن الذي نعنيه في (القوى البشريّة) في برامج إدارة المعرفة هو :**

**- كادر أنظمة المعلومات.**
**- كادر إدارة المعرفة.**
**- كادر البحث و التطوير.**
**- مديروا الموارد البشرية.**
**- مديروا الأقسام الأخرى.**
**- قادة فرق المشاريع.**
**- الأفراد المساهمين في عمليات إدارة المعرفة.**

**و بذلك تصبح القوى البشرية المكون الأساسي و الرئيسي في برامج إدارة المعرفة و يستحيل العمل بدونهم, و تلعب العوامل النفسية و الصحة الروحية و الجسدية دوراً كبيراً في إدارة المعرفة و هذا بحد ذاته يخلق نوعا من التنافس في جانب المدخلات و إهتماماً من جانب المدخلات, لكونهم يقومون بخلق المعرفة كجزء من عملهم و يتكون هؤلاء من مهندسين و محللين في المجالات المختلفة, و هم يوفرون الموجودات أو الموارد عير المادية التي تصبح حيوية للنجاح و النمو التنافسي. خصوصا لو تم تفعيل الجانب التنظيمي و الاجتماعي بين الأشخاص, و لكونها ممارسات فكرية معقدة تستلزم إدارة كفوءة**

**للمعرفة و إستراتيجيات معرفية تتلائم و إستراتيجيات أعمال المنظمة.**
**إن دور الأفراد (القوى الإنسانية) في إدارة المعرفة تسهم بصيرة الأنسان في إغناء المعرفة المتوافرة في المعلومات من خلال تنظيم المعلومات و في كيفية ربطها مع بعضها البعض و عبر التقييم المستمر للمعلومات المحفوظة في الأنظمة التقنية.**
**تقييم المعلومات الداخلة و ربطها مع الشبكة الكلية المتوفرة من المعلومات كي يجري تحويلها إلى معرفة و يكون من أبرز أدوارهم تحديد .. إلى مَنْ سيجري توصيل تلك المعرفة.**

**و يلعب المدير العام للمنظومة بدور أساسي في إدارة المعرفة الريسة لكونه القائد في كل البرنامج , إذ عليه القيام ببناء و تحديد علاقات عمل مع الأدارة العليا و مع العاملين في الأقسام الأخرى و هذا الدور يسمح له بآلمشاركة في بناء الإستراتيجية من البداية.**

**يجب أن لا ننسى بأن الخبرات التي تعد أكثر إصالة من المعلومات المكتسبة من خلال التعليم الرسمي أو الأعلام أو وسائل الأتصال الأليكترونية المختلفة, و يجب الأنتباه للمهارات المتميزة على جماعات قليلة نسبياً سمات يختص بها المورد البشري دون الموارد الأخرى.**

**ألعنصر الثالث في إدارة المعرفة:**

**- العوامل و الوسائل التكنولوجية :**

**تلعب التكنولوجيا دوراً مهماً في إدارة المعرفة سواءا في توليد المعرفة و إكتسابها أو نشرها أو الأحتفاظ بها , و بآلتنسيق مع المصادر الأخرى للمعرفة , فمثلاً تؤدي التكنولوجيا دورا كبيراً بآلتنسيق مع الموارد البشرية و جمع المعلومات و تبويبها و ترتيبها بحسب المطلوب عبر برامج متطورة على جهاز الحاسوب, و تبرز التطبيقات التكنولوجية في مجال الحاسوب تبرز في ثلاث تطبيقات مهمة هي :**

**معالجة الوثائق؛ لخصوصيّات الحاسوب الكبيرة في الجمع و التنظيم و التخريج و الأستفادة من أنظمة دعم القرار ..**

**و تفيد في دعم عملية الأبداعات.**
**تسهم بتقليص مدة عملية الأبداع.**
**تقديم الأختبارات السريعة و التقارير و الوثائق للأبداعات الجديدة.**
**تسهيل الأتصالات و المباحثات و الخبرات.**
**توفير الزمان و الدقة في تبادل المعلومات.**
**توفير إستثمار معتدل للمعلومات بهدف تسهيل المحادثة و سرعة إنجاز الكثير من الأمور التي تحتاجها العلميات الطبية و الهندسية و الفضائية و حتى الإدارية و الأمنية.**

**- تعريف القوى الأنسانية و تثقيفها بمدى ضرورة المعرفة المرمّزة و التي يمكن إستخدامها من خلال التنقيب عن المعرفة في الوثائق و المكتبات الأليكترونية, و المسألة المعلوماتية و تبادل الخبرات ليست تقنية خالصة فقط .. بل يرتبط نجاحها بكفاءة الفرد (الموظف) و دقته و أخلاصه أيضا.**

## دور العوامل التكنولوجيا في إدارة المعرفة :

**كما أشرنا التطور التكنولوجي تسبب بتعزيز الإمكانية للسيطرة على المعرفة الموجودة و التي جعلت منها سهلة و ذات كلفة أقل و متيسرة و سريعة للغاية.**

**كثّفت التكنولوجيا من سرعة و كثافة التفاعل البشري لتوليد معارف جديدة.**
**ساعدت على تسهيل و تسريع و تبسيط كل عمليات إدارة المعرفة من توليد و تحليل و خزن و مشاركة و نقل و تطبيق البحث و الإسترجاع و المقارنات المختلفة بدقة و بنتائج مبهرة, إلى جانب تشكيل ورشات عمل مختلفة في المجالات المختلفة و في تبادل المعلومات لحظة بلحظة .. و في مناطق جغرافية مختلفة بإتجاه البناء الحضاري و المدني الصحيح و الدقيق و الأقل كلفة.**

## و المرتكز الرابع و الأخير هو :
## العمليات الأجرائية(التنفيذية) :

**حيث توفر العملية المهارة و الحرفة و اللتان تعدان من أهم مصادر المعرفة و يتم المحافظة عليها عبر المكانة و التي يتم تحقيقها من خلال العملية, و من القضايا الإستراتيجية للعملية التي تبرز في المجالات التالية :**
**- فهم السياق التنافسي للمنظمة,أي معرفة ما إذا كان يتم التركيز على النوعية أم الكلفة, و كذا على الأمانة أو الكفاءة بآلنسبة للأشخاص.**
**- كشف ما إذا كانت (العملية) تركز على التصاميم القابلة للنسخ و التكرار مثلاً .. أم على التغيير المستمر للتصميم.**
**- تحديد ما إذا كانت الممارسة العملية : تشمل تحديد مدى التصنيع .. هل هو نهائي أم نصف مصنع, تركز المنظمات المعتمدة على المرعفة في (عصر ما بعد الصناعة) في مجال العملية على :**
**إقتراح التغيير المستمر للعمل في (المجتمعات ما بعد الصناعة), من البدوي / الصناعي إلى المعرفي / الخدمي.**

**- تصنيف نوع العمل المعتمد غالباً على إستعمال الإتصال المسند حاسوبياً و بتكنولوجيا المعلومات و التي ترتبط بآلنشاطات لما يسمى بآلصناعات المعرفية, خلاصة الكلام دول (العملية) في إدارة المعرفة يبرز بآلنشاطات التالية:**

و هي

**96.....**

**1- تتضمن العملية في ظل التطورات التكنولوجية ؛ تطوير ممارسات العمل الجديدة التي تزيد من الترابط المتبادل لأفراد فريق العمل الواحد.**

**2- العمل المعرفي يرتبط بنشاط صناع المعرفة (نولج ووركز) الذين يشغلون مراكز متقدمة في قسم العلمليات و تعكس خبرتهم بقوة في تصميم عملهم و إنتاجهم.**

**3- تسهم العملية بتطوير البرامج الرسمية التي تبني المشاركة بآلمعرفة و الأبداع من خلالها و تحديد الأدوار و المهام للمشاركة الفردية و الجاعية في برنامج إدارة المعرفة.**

**4- توفير العملية قياس النتائج و تراقب عملية التقدم بتنفيذ البرنامج و تعطي مؤشرات لتقليل الكُلف و تحقيق سرعة الأستجابة.**

و هي

98.....

## إستراتيجيات إدارة المعرفة :

## إستراتيجيات إدارة المعرفة :

**هذا المفهوم يعني إدارة المعرفة بأبعاد متعددة , و يعود السبب إلى أن الإستراتيجية عمل معرفيّ أولاً , فضلاً عن أن المنظمات تعمل في بيئة تنافسية سريعة التغيير بما يجعلها تهتم بتقويم المعرفة و تمايزها لأجل البقاء و النمو ثانياص , و من المؤشرات الأساسية في إستراتيجية إدارة المعرفة :**

**ألأبعاد الأربعة الأساسية للمعرفة ؛ الأكتشاف ؛ الأستثمار ؛ ألتحديد و التعلم من جديد و التي تستفيد منها المنظمة لتحقيق أهدافها.**

**إستخدام عمليات المعرفة للوصول إو إكتساب المعرفة الجديدة لتحقيق الأهداف الستراتيجية.**
**ألعناصر الأساسية للعلاقات ألشفوية بين المفاهيم في المنظمات المعرفية.**
**أنشطة إنسانية في بيئة تنافسية متغيرة.**
**عملية التطوير و الحفاظ على التوافق الإستراتيجي بين أهداف المنظمة و قابليتها و فرصها السوقية المتغيرة.**
**نافذة إستراتيجية كوصف قدر محدد من الوقت الذي تتطابق فيه موارد المنظمة مع فرصة سوقية معينة.**
**و سيلة أو خطة تتبناها المنظمة لتحقيق التوازن بين البيئة الخارجية و بين قابليتها الداخلية.**

**و هناك إستراتيجيات مختلفة لإدارة المعرفة و هي :**

**Codification strategy- الإستراتيجية الترميزية :**

**و يتمحور هذا النوع حول الحاسوب (الكومبيوتر) و يجري بموجبها ترميز و خزن المعرفة في قواعد منظمة يمكن الوصول إليها بسهولة و يسر ساعة الطلب.**

**Personalization strategy- الأستراتيجية الشخصية**

**ترتبط هذه الإستراتيجية بآلشخص الذي يتولى تطويرها و تجري المشاركة فيها من خلال الأتصال المباشر بين الأشخاص و هي لا تلغي دور الحواسيب (الكومبيوتر) و لكنها تعدها أدوات مساعدة للأشخاص في توصيل و المرعفة و ليس في خزنها , و تركز على الحوار بين الأفراد و ليس على الموضوعات المعرفية الموجودة في القواعد, و الميل إلى أي من الإستراتيجين ليس إعتباطيا و إنما يعتمد على الطريقة التي تخدم بها المنظمة زبائنها, و ا لأشخاص الذين تستخدمهم, و النموذج الاقتصادي الذي تتبعه.**

**و المنظمات عادة لا تستخدم إحدى الإستراتيجيتين و تهمل الأخرى , فأغلب المنظمات الناجحة إستخدمت**

**الإستراتيجيّتين معا و لكن بنسب متفاوتة, فتستخدم إستراتيجية واحدة مهيمنة و الأخرى داعمة , و الأستراتيجية الشخصية تلائم المنظمات التي تنتج منتجات ذات معدلات تغيير عالية , أما الترميزية فتلائم المنظمات المصنعة للمنتوج حسب الطلب, كما بينا بعض التفاصيل عن ذلك فيما سبق.**

**و من الإستراتيجيّات الأخرى :**

**إستراتيجيات جانب العرض مقابل إستراتيجيات جانب الطلب ؛**
**إستراتيجية الرافعة ؛**
**إستراتيجية التحقق ؛**
**إستراتيجية التوسع , و غيرها.**

101.....

# ما هي متطلبات إدارة المعرفة؟

## ما هي متطلبات إدارة المعرفة؟

**يعتقد أكثر الباحثون : إنّ إدارة المعرفة هي عملية و نماذج و برامج و إستراتيجيات للتطبيق أكثر من كونها فلسفة أو ثقافة أو مبادئ للتعلم , و إن كانت هي شاملة لها ضمنياً .**

**هذا التصور يحتم على المنظمات ألأنتباه إلى جملة تحديات للتنفيذ و محاولة ألأجابة على عدد من الأسئلة حول مَنْ المسؤول عنها و ما التحديات التي تواجه المنظمات حولها و ما دور مدير المعرفة الرئيس أو (المدير العام للمؤسسة)؟**

**و ما هي ألخرائط المعرفية كأحد المتطلبات لتنفيذ البرنامج و منهجية رسم هذه الخرائط؟**

**و ما هي آلخطوات العملية و العلمانية التي تتخذها المنظمات لأدارة المعرفة ؟**

**و ما هي العوامل الحرجة للنجاح أو الفشل في تطبيقاتها؟**

**يمكن تصنيف عمليات إدارة المعرفة من خلال ممارسة عمليات الأعمال كتوصيف الطرائق و الأدوات التي تسهم في تعزيز العمليات الجوهرية لها, و التي حدّدها الأنموذج بست عمليات كما في النقاط الواردة ادناه و العمليات هي:**

**تحديد أهداف المعرفة.**

**تشخيص المعرفة.**

**توليد المعرفة.**

**خزن المعرفة.**

**توزيع المعرفة.**

**تطبيق المعرفة.**

**و نوعية تلك المراحل تتفاعل مع تصميم ستة من الحقول المتضمنة؛**

**عمليات المنظمة المتفاعلة,**

**تقنية المعلومات,**

**و القيادة,**

**و ثقافة التعاون,**

**و إدارة الموارد البشرية,**

**و السيطرة.**

**و هكذا نستخلص من النماذج المعروضة أنها و إن إختلفت بأساليبها إلا أنها إجمعت على معالجة الموضوع المحوري؛ موضوع [إدارة المعرفة] برؤية موحدة تظهرها على إنها عملية من مراحل متعددة تتكامل مع عمليات الأعمال في المنظمة و تتطلب التغيير في هياكلها و أنظمتها الداخلية و بما يشيع ثقافة المشاركة بآلمعرفة و التعلم , و عكست تلك النماذج إتفاقاً على عمليات إدارة المعرفة الجوهريّة, و هي بيت القصيد في هذا الفصل و سنُبيّن تلك النماذج بإذن الله.**

## نماذج إدارة المعرفة :

**قدّم عدد من الباحثين النماذج الآتية لإدارة المعرفة حسب قناعاتهم و إستدلالاتهم :**

**1- نموذج (دارلنك 1996م), حيث أشار إلى نموذج البنك الكندي التجاري CIBC لإدارة المعرفة و آلذي يركز على مفهوم الثقافة المعرفية و نشر قيم المعرفة ليستفيد الناس منها.**
**2- نموذج (إيزن بورك 1996م), لإدارة المعرفة من خلال أربع نقاط, هي:**

**- توضيح هدف إبتكار المعرفة التنظيمية و كيف تتطابق المعرفة مع إستراتيجية الأعمال الشاملة للمنظمة معإدراك ضرورة تكوين الهيكل الذي يدعم إبتكار المعرفة.**

**- تطوير المعرفة الظاهرة بإعتماد هياكل عمل متقدمة تسهم في تطوير إستراتيجيات المعرفة مثل التعلم ألتنظيمي.**

**- بناء هياكل التعلم التنظيمي و مستوى المعرفة لتنفيذ الأستراتيجيات لتكوين خطط لسد فجوات الأداء بين رؤيا معرفة المنظمة و بين أدائها الحالي.**

**- تكوين نظام التغذية العكسية لقياس النجاح في الجهود, و تأمين البيانات لتعديل الأستراتيجيات بشكل مستمر.**

**و هناك نماذج عديدة و مطبقة في كثير من المنظمات و المؤسسات المالية و الصناعية منها:**
**- نموذج إدارة الموجودات الفكرية مكون من خمس خطوات متلاحقة , تعود النظرية للسير (دانيال 1997م).**

**- نموذج منظمة عمليات المنتوج, و العائدة للخبير الكندي دفن بورت هندسن, و هي جزء من(الهاج بي).**
**HP**
**, و هي منظمة البروسسنك بركتسس.**
**(PPO).**

و هي

107.....

**أسئلة تخصّ (الإستراتيجيّات)؛ لفهم أعمق للموضوع بالأجابة عليها :**

108.....

## أسئلة تخصّ (الإستراتيجيّات)؛ لفهم أعمق للموضوع بالأجابة عليها :

**1- ما هي العناصر الأساسية لإدارة المعرفة؟**
**2- بيّن مجالي إستراتيجيات إدارة المعرفة.**
**3- إذكر أدوار الإستراتيجية في إدارة المعرفة.**
**4- ما المقصود بآلأفراد في برامج إدارة المعرفة؟**
**5- ما الأدوار التي يؤديها الأفراد في إدارة المعرفة؟**
**6- ما دور التكنولوجيا في إدارة المعرفة؟**
**7- ما أهداف إستراتيجيات إدارة المعرفة؟**
**8- ما أهمية إستراتيجيات إدارة المعرفة؟**
**9- ما مفهوم إستراتيجية إدارة المعرفة؟**
**10- بيّن ألمداخل الإستراتيجية لإدارة المعرفة.**
**11- ما هي أهم مبادئ إدارة المعرفة؟**
**12 – ما هي أبرز أخطاء إدارة المعرفة؟**
**13- ما هي الأبعاد الأربعة للممارسين لإدارة المعرفة؟**
**14- ما هي إستراتيجيات الأبعاد الخمسة ؟**
**15- ما هي الإستراتيجيات الأربعة التي تسهم في تعزيز الأبداع؟**

و هي

110.....

## نماذج عربية – إسلامية لإنتاج ألمعرفة :
## نموذج مالك بن نبي

## نماذج عربيـة – إسلاميـة لإنتاج ألمـعرفـة :
## أولاً : نموذج مالك بن نبي : مشكلة الثقافة :

هناك نماذج عربيّة مشابهه بشأن إنتاج الثقافة المعرفية في إدارة المؤسسات المختلفة, نبدأها كما وعدنا بنموذج المفكر العربيّ؛ (مالك بن نبي) بإذن الله.

### أولاً : مشكلة الثقافة و الأنتاج المعرفيّ :

لا يمكن الحديث عن الرؤية المعرفية للثقافة بدون استحضار المفكر الجزائري مالك بن نبي صاحب كتاب "مشكلة الثقافة" الصادر باللغة العربية سنة 1959م. فقد شغلته قضية الثقافة وظلت حاضرة في جل إنتاجاته وإسهاماته الفكرية على اعتبار أنها جوهر المشكلة الحضارية التي يمرّ بها العالم الإسلامي، ولذلك حاول أن يصل إلى فهمها وإيجاد حلول لها منذ أن ألّف أوّل كتاب تحدّث فيه عن الثقافة، وهو كتاب (شروط النهضة) الصادر باللغة الفرنسية في باريس عام 1948م.

سينطلق مالك بن نبي في كتاباته من قاعدة مفادها أن كل تفكير في مشكلة الإنسان؛
[هو تفكير في (مشكلة الحضارة)] التي يمكن تحليلها إلى ثلاث مشكلات أولية هي :

[مشكلة الإنسان،

مشكلة التراب (الشروط المادية).

مشكلة الوقت](21),

و كلّ تفكير في مشكلة الحضارة هو في الأساس تفكير في مشكلة الثقافة، باعتبار أنّ (الحضارة) في جوهرها مجموعة من القيم الثقافية المحققة التي تنتج التمدن بحسب المقومات المتعلقة بتلك (الحضارة).

إذن مصير الإنسان رهن دائما بثقافته(22) و بآلتالي اتجاه الحضارة التي ترسمها تلك الثقافة كمحصلة تشبه المعادلة ألجبرية التي تتكون من متغيرين هما :

ألمبدأ الأخلاقي ؛

و الذوق الجّمالي, كما يعتقد بذلك مالك بن نبي(23).

و لا يمكن تعريف أو فهم أو حل مشكلة الثقافة ما لم ننظر إليها من خلال زاويتين: الأولى في ضوء حالتنا الراهنة المعيشة وهي سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي، والثانية؛ تحدّد حسب مصيرنا و هي إيجابيّة

**تصلنا بمقتضيات المستقبل(24)، إذن فالأمر يتعلق بعمليتين هما:**
**الهدم**
**و**
**البناء.**

**فإذا كانت الأولى ترتبط بالإرث الثقافي المتخلف .. وجب هدمه وتحطيم الوضع الموروث عن عصور التخلف و التبعية و الظلم و الدكتاتورية، و تصفية عادات المجتمع و تقاليده و إطاره الخلقي ممّا فيه من عوامل فتاكة و ركام سالب، لأن تصفية الأفكار الميتة و تنقية الأفكار المميتة يعدان الأساس الأول لأيّة نهضة حقّة(25), فإن الثانية ترتبط بضرورة البناء بتحديد محتوى الثقافة وعناصرها الجوهريّة التي تصل المجتمع المتطلع إلى التقدم بمقتضيات المستقبل، و هو عموما يدور حول الإجابة عن السؤال التالي :**

**[كيف يتمّ إنتاج المعارف و الثقافة]؟**

**هذا ما سنسلط الضوء عليه في الفصل القادم بإذن الله.**

و هي

113.....

**إنتاج ألعلم و آلثقافة؟**

**115.....**

## إنتاج ألعلم و آلثّقافة؟

**إبتداءاً يجب أن نعلم بوجود فرق كبير بين (العلم) و (الثقافة), فآلعلم مساره محدود و ينتهي عادة ما بآلأختصاص بعد الدراسة و الحصول على أعلى شهادة و هي الدكتوراه, يعني يصبح خبيراً في مجال تخصصه دون التخصصات الأخرى, لكن ليس بآلضرورة أن يكون مثقفاً, لأن الثقافة شيئ آخر.**
**الثقافة تعني الأحاطة بمجالات واسعة من العلوم و التخصصات في حدود معقولة لا أختصاصية, تلك هي أهم خصوصية في الفرق بينهما, و هناك فروقات أخرى لا مجال لبيانها هنا تفصيلا, و قد تطرقنا لها في موضوعات أخرى.**

**أقرّ (مالك بن نبي) و بعد 20 عاما على صدور الطبعة الأولى من كتابه "مشكلة الثقافة" في مقدّمة الطبعة الثانية : [بأن الأفكار التي عرضها حول فكرة الثقافة كانت غريبة في الوسط الثقافي العربي]، إذ لم يسبقه إليها دارس عربي من قبل، و ذلك لأنه تناول القضية من زاوية جديدة متميّزة عن أطروحات علماء الاجتماع الغربيين .. السائدة في هذا المجال.**

**وفي اعتقاده أن السرّ في غرابة الأفكار التي توصل إليها يمكن إرجاعها إلى عاملين:**

**1- لأن هذه الأفكار لم تتوخ منهج الدراسات الغربيّة في الموضوع لأسباب منهجية؛**

**2- لأن الأفكار المعروضة ليست في جوهرها إلا امتدادا و شرحا تحليليّاً من ناحية؛ و تركيبا من ناحية أخرى للأفكار التي قدمها في أحد فصول كتابه (شروط النهضة)، و الذي نشر منذ ربع قرن تقريباً باللغة الفرنسية، أيّ عندما كان الموضوع بكراً لا بالنسبة للعالم الإسلاميّ فحسب، بل أيضا في بلاد الغرب(26).**

**إنّ منطلق فهم الواقع و مشكلاته – و من بينها مشكلة الثقافة - يتحدّد على قاعدة التمايز و الاستقلال الثقافيّ، فكل تفسير للثقافة لحدّ الآن يمكن ردّه إلى مدرستين :**

**المدرسة الغربية :**
**و هي المدرسة التي ظلت وفية لتقاليد عصر النهضة، وهي ترى عموما أن الثقافة ثمرة الفكر، أي ثمرة الإنسان, و المدرسة الماركسية التي ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع(27).**

**بمعنى آخر تقوم المدرسة الأولى على فلسفة الإنسان، التي تتأسس على النزعة الفردية الحاكمة على الثقافة الغربيّة – كما الشرقية لبعض الحدود، و المؤثرة في تكوين رؤيتهم للثقافة، و حيث ستعرف الثقافة على أنها تراث "الإنسانيات" الإغريقية اللاتينية، بمعنى أن مشكلتها ذات علاقة وظيفية بالإنسان.**

**و المدرسة الثانية :**
**هي المدرسة التي تقوم على فلسفة الجماعة، أيّ تنهل من تلك النزعة الاجتماعية الحاكمة على الثقافة**

الاشتراكية، والمؤثرة في تكون رؤيتهم للثقافة، و لهذا يعرفون الثقافة في البلاد الاشتراكية كما يقول ابن نبي على أنها ذات علاقة وظيفية بالجّماعة.

و يرى (ابن نبي) أن هذين التعريفين يعدّان من الوجهة التربوية مشتملين على فكرة عامّة عن الثقافة، دون تحديد لمضمونها القابل لأن يدخله التعليم في عقلية الجماعة، ولذلك سيرى ضرورة الربط الوثيق بين الثقافة والحضارة، عندها يمكن الحديث عن الثقافة كنظرية في السلوك، أكثر من اعتبار الثقافة نظرية في المعرفة(28).
و النتيجة لا يمكن تصور تعريف للثقافة من زاوية نظرية فقط .. بل لا بد أن يضاف إليه البعد العملي (السلوكيّ) أو التربويّ.

إن مالك بن نبي بهذا التحليل لا يرى في التعريفات المطروحة للثقافة سواء منها ما عبر عن وجهة النظر الغربية أو الماركسية التي أشرنا إلى بعضها سابقا ما يدعو إلى الاعتراض، أو أن قصورها يعود إلى خطأ فيها، وإنما لأن مضمونها لا يمكن أن يعطينا مفتاح حل المشكلة في الظروف النفسية والزمنية للمجتمعات العربية والإسلامية.

فمن التحليل النفسي للثقافة، إلى التركيب النفسي للثقافة، ومن الكشف عن الفروقات بين الثقافة والعلم، إلى الكشف عن الارتباط بين الثقافة والحضارة، واعتباره الدين أساس قيام المجتمعات والحضارات لذلك وجب البحث عن أصلها الديني الذي بعثها(29)، و بعد مناقشات و مقاربات مستفيضة و ناضجة لأفكار و تصورات حول الثقافة تنتمي لمدارس فكرية و فلسفية رأسمالية و ماركسية مختلفة، ينتهي ابن نبي إلى تعريف عملي يصفه بالشامل، فالثقافة بحسب شروط مالك بن نبي .. تعني:
[مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه](30).

أو بعبارة أخرى: [الجو المشتمل على أشياء .. ظاهرة مثل الأوزان والألحان و الحركات وعلى أشياء باطنة كالأذواق والعادات والتقاليد, بمعنى ؛ هي الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين ويطبع الفرد فيه بطابع خاص، يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر](31).

سنوات بعد ذلك سيعرفها بشكل شعري بأنها:

[الجو المتكون من ألحان وأنغام ونغمات و روائح و سكنات وأضواء، ومن جوانب مظلمة، إنها هذا الجو الذي تتفتح فيه النفس، و تشعر بوجودها في إطار عام](32).

و بهذا التعريف تصبح الثقافة كما يرى ابن نبي الرأسمال الأوّلي في الوسط الذي يولد فيه الفرد ، و المحيط الذي يشكل فيه طباعه وشخصيته، والذي يعكس حضارة معينة، ويتحرك في نطاقه الإنسان المتحضّر(33).

و يعتبر ابن نبي أن هذا التعريف النقدي للثقافة، يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان، و فلسفة الجماعة، أي مقومات الإنسان، و مقومات المجتمع، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة انسجام هذه المقومات جميعاً في كيان واحد، تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية(34).

**إن تعريف الثقافة بالتحديد الإيجابي الذي أشرنا له سابقا يجب أن يقوم على تحديد العناصر الجوهرية التي تعد ضرورية تماما للمركب الاجتماعي للثقافة و هي :**
**- عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية؛**

**- عنصر الجمال لتكوين الذوق العام؛**

**- منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام؛**

**- الفن التطبيقي المُوائم لكل نوع من أنواع المجتمع أو الصناعة على حد تعبير ابن خلدون(35).**

**إن الثقافة بمفهومها المتكامل و المتوازن يتم تصورها في صيغة بيداغوجية هي كل هذا جميعاً : فهي تركيب متآلف للأخلاق، والجمال، والمنطق العملي، و الفن الصياغي(36).**

**وما يمكن ملاحظته أن ابن نبي يعتبر أن الاختيار الثقافي الذي انتهت إليه الحضارة الغربية، بتقديمها للذوق الجمالي على المبدأ الأخلاقي في سلم ترتيب القيم، أحدث في الثقافة الغربية انفصالا عن الثقافة الإنسانية، كما أحدث خللاً منهجيا أدى إلى قلب القيم، وإلى نتائج خطيرة على مصير الحضارة الغربية نفسها، وعلى الإنسانية عموماً.**

**فقد أدت النزعة الجمالية إلى الاستعمار، والإباحية والعبثية، وتفكيك الروابط التي تحفـظ المجتمع من الانحلال، وإلى تمــركز الإنســان. ويضرب مثلا بظاهرة الاستعمار باعتباره "ظاهرة ثقافية" تعبر عن نمط ثقافة معينة قائمة على السيطرة، فالعقل الأوروبي المحكوم بإطار ثقافي قدم الجمال على المبدأ الأخلاقي في ترتيب القيم وبهذا الترتيب أثر في علاقة الإنسان الأوروبي بالإنسانية ونتاجاً لذلك ستصبح كلّ ثقافة سيطرة في أساسها تسود فيها القيم الجمالية على القيم الأخلاقية.(Culture d'empire) (37).**

**إن استقراءنا لفكر مالك بن نبي وما تميز به منهجه من تكامل و توازن، يجعلنا نخرج بخلاصة مفادها :**

**[أن مشكلة التخلف التي يعيشها العالم العربي و الإسلامي؛ هي مشكلة ثقافة حضارة، و التفكير في مشكلات التخلف أيّ في مشكلات الإنسان؛ هو تفكير في مشكلة الحضارة و الثقافة، و على أساس هذه الرؤية التي تعطي الأولوية للتغيير الثقافي .. يجب أن نخطط مشاريع التنميّة ألمستدامة, إنْ على مستوى الفرد .. أو المجتمع.**

**إن مشكلة (الثقافة) التي يطرحها مالك بن نبي يمكن تحديدها وفق مقاربتنا عبر ثلاثة مستويات:**

**المستوى الأول :**

**حيث إن هذا المستوى المعرفي بتجاوز التكديس إلى البناء و هدم الأفكار المرسخة لما يسميه بالقابلية**

للاستعمار(38) لدى الفرد، والتي تتحدد من خلال أنواع أهمها: الفكرة الميتة وهي الفكرة التي خذلت أصولها وانحرفت عن نموذجها المثالي ولم يعد لها جذور في محيط ثقافتها الأصلي و تعبر عن الجانب الذي يسميه بالاستعمار و الجانب الذي يطلق عليه القابلية للاستعمار(39), و الفكرة القاتلة هي الفكرة التي فقدت شخصيتها و قيمتها الثقافية بعد أن فقدت جذورها التي ظلت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي [أي تلك الأفكار التي نستعيرها من الغرب](40).

ألمستوى الثاني :

و هو المستوى السلوكي و يحدده مالك بن نبي من خلال المنطق العملي والصناعة وتحقيق الفائض في الواجبات على حساب الحقوق(41) و توجيه رأس المال(42)، و الفاعلية(43).

فالثقافة إذن ..

هي التي تُحدّد السلوك الفعّال حيث يتحقّق الإنسجام بين سلوك الأفراد و أسلوب الحياة في المجتمع، و تنشأ رقابة بين الطرفين؛ رقابة طبيعيّة إذا إختلّ شيء ما في سلوك الأفراد تنشأ ردود الأفعال في أسلوب الحياة لإيقاف الانحراف أو الخطأ في السلوك والعكس بالعكس(44), و هذا التكوين ينشأ مع الطفل منذ اليوم الأول في المهد بل ما قبله – قبل تشكيل النطفة(45).

المستوى الثالث :

و هو المستوى الوجداني .. أيّ التوجيه الأخلاقي و العناية بالذوق الجمالي واستحضار الفكرة الدينية المركبة التي يمكن لها أن تبني الإنسان ليقوم بدوره في بناء الحضارة(46).

فالدّين هو وحده الذي يستطيع أن يؤسس مجتمعا و ليس العلم(47), كما أنّ المجتمع لا يقوم على غير المبدأ الأخلاقي الذي يقوم ببناء عالم الأشخاص، الذي لا يتصوّر بدونه عالم الأشياء، و لا عالم المفاهيم(48), و المجتمع الذي تأسس و تكونت وحدته على أساس أخلاقي، يتطلب صورة و مظهراً؛ يتطلب تنظيمه الشكلي من حيث ملبسه و معاشه و ترتيب أشياء بيته.

ألأشياء التي تتصل بالقيم الجّمالية، لذا لا بد من الثقافة أن تمدّنا بالذوق الجمالي و تنمي فينا هذا الذوق(49).

هذا و سنقدم لكم نموذجاً و منهجاً آخراً بعد عرضنا لمنهج إبن نبي حول مفهوم الثقافة و أعادة البناء الفكري للأمة, بإذن الله

و هي

120.....

## منهج نصر محمد عارف : نحو إعادة بناء ألمفهوم :

## منهج نصر محمد عارف : نحو إعادة بناء ألمفهوم :

يرى مالك بن نبي في كتابه مشكلة الثقافة(50)، أنّ مشكلة تعريف الثقافة في البلاد العربية تقع في الثقافة نفسها التي لم تكتسب قوّة التحديد بعد نظرا لجدتها، على اعتبار أنها لم ترد في كتابات ابن خلدون مثلا، ففكرة (مفهوم) الثقافة المستورد من أوروبا سيدفع بالكثير من الكتاب إلى أن يقرنوا دائما كلمة الثقافة مكتوبة بحروف لاتينية ، كأنما يبتغون بهذا القول: إن كلمة ثقافة لا تكتب إلا بهذا الوضع Culture.

و هؤلاء المؤلّفون يعلمون دون ريب ما يفعلون، حين يقرنون الكلمة العربية بنظيرتها الأجنبية. فالكلمة جديدة، أي أنها وجدت بطريقة التوليد، و الغريب أن الكاتب الذي صاغها قد اختارها من بين عدد من الأصول اللغوية من مثل: (علم، أدب، فهم، أدرك، ثقف...) تلك الكلمات التي تدل صورتها على طابع الروح الجاهليّة(51).

سنوات بعد ذلك، سيعمل المفكر المصري نصر محمد عارف على تفصيل هذا الأمر؛ إذ سيربط في كتابه: "الحضارة ـ الثقافة ـ المدنية: دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم" الصادر سنة 1994م أساس المشكلة بحركة الترجمة التي حصلت حسب رأيه مع بداية الاتصال الفكري والمعرفي، الذي حدث في طور انحطاط العالم الإسلامي خلال القرون الأخيرة، وحيث حدثت حركة ترجمة واسعة تم فيها اختيار كلمات عربية نزعت من جذورها وسياقها لتعبر عن ألفاظ أجنبية جاءت بعد ذلك بكل دلالاتها وجذورها، وجوانبها المنظورة وغير المنظورة لتزيح المعنى العربي جانبا وتحل محله تماما، فلا يبقى منه غير الوعاء الخارجي(اللفظ).

لم يختر من العربية اللفظ الذي تتساوى دلالاته أو تقارب دلالات اللفظ culture فالمترجم لكلمة (كالجر) الأوروبي، وإنما تمت الترجمة طبقا للمقابل اللفظي في معناه الخارجي ألعام و المتداول.

و قد أدى ذلك إلى طمس الدلالات الحقيقية للمفهوم العربي، واستبدال دلالات أوروبية بها، بحيث لم يعد من المفهوم العربي غير لفظه، أما جوهره ومعناه فلا علاقة لها بالمظهر أو الوعاء اللفظي(52).

فرغم استخدام لفظ "الثقافة" العربي إلا أن المعاني والدلالات المقصودة من وراء اللفظ كلها نفس معاني الغربيّ، و كأن هذا المفهوم الأجنبيّ قد نسخ كلّ المعاني العربية للثقافة أو حلَّ culture ( دلالات مفهوم) محلها، بل أكثر من ذلك سينتقل نفس الاستشكال الذي عرضنا له سابقا بين مفهومي الثقافة والحضارة لدى الغرب إلى العالم العربي والإسلامي، وهنا سنجد أنفسنا أمام نوع من الخلط والتشويه بل والتلبيس في المعاني، فقد ترجم مفهوم الثقافة إلى لفظين عربيين غير مترادفين أو حتى قريبين في الدلالة والجذر اللغوي، حيث ترجم إلى"ثقافة" مرة وإلى "حضارة" مرة أخرى و ثالثة يترجم إلى الاثنين معا. فيقال إن ( culture) هي الثقافة و الحضارة (53).

**إن الاستخدام الأجنبي الشائع لمفهوم الثقافة في القرنين الأخيرين ألقى بظلاله على اللفظ الإسلامي وأصابه بالكثير من دلالاته و معانيه، فغالبية المفكرين و الباحثين المنطلقين من إطار مرجعي عربي إسلامي أصيل يبحثون في المصادر الإسلامية الأصلية عن الجذر اللغوي العربي الأصيل و يذكرون دلالاته الأصلية، ثم ينتقلون فجأة لاستعراض المعاني والدلالات الأوروبية للمفهوم دون تحليل للدلالات الأصلية و ما يمكن أن يستنبط منها. وكأن ذكر الجذر اللغوي العربي للمفهوم نوع من تبرئة الذمة، أو نوع من التبرك باللغة العربية و إقناع للذات بأن الكاتب لم يزل ملتزما بأصوله ينطلق منها ولا يتخطاها، أو تغطية للانفصام الثقافي، أو محاولة متعمدة للتسويغ و إضفاء الشرعية على الدلالات و المعاني الأوروبية للمفهوم و ذلك بذكرها و كأنها مستنبطة من اللفظ العربي غير دخيلة عليه، كمحاولة لنسخ الدلالات الأصلية للمفاهيم واستبدال دلالات أوروبية بها في عملية هادئة تضفي على نفسها التجديد و الأبداع و القبول(54).**

**إن إعادة بناء المفاهيم و تأصيلها و توطينها حسب نصر محمد عارف تقتضي 5 إجراءات معرفية, على الشكل التاليّ :**

**1- بالبحث عن دلالات المفهوم في لغته الأصيلة التي صك وحمل بدلالاته ومعانيها ومن ثم الوصول إلى تجريد للمفهوم بحيث يعبر عن حقيقته وجوهره وماهيته بعيدا عن أي التباس بخبرات أو دلالات لحقت به في تطوره؛**

**2- بتتبع تطور المفهوم في بيئته الأصلية و كيف تمّ سحبه من معانيه اللغوي إلى معاني اصطلاحية معينة، وهل هناك اتساق بين الاثنين أم إن المفهوم تجاوز تماما الدلالات اللغوية وحمل بدلالات أخرى؛**

**3- بالتركيز على واقعة الترجمة واختيار مقابل عربي لهذا المفهوم وهل تمت ترجمة للمعاني والدلالات أم للفظ في معناه الظاهر فقد وذلك من خلال تجريد دلالات اللفظ في لغته الأصلية له وتجريد الدلالات العربية للفظ والمقابلة بينهما في صورتهما المجردة بعيداً عن التعريفات والمصادقات.**

**4- بتتبع تطور المفهوم في الفكر الإسلامي - الأنساني التالي لترجمته و مدى التغيير الذي لحق باللفظ، و هل ظلّ اللفظ العربي محافظاً على دلالات المفهوم الأجنبي أم الدلالات الأصلية في اللغة العربية أم مزيجا منهما؟**

**5- بالعودة إلى الدلالات الإسلامية الأصيلة للمفهوم الإسلامي الذي وضع كمقابل للمفهوم الأجنبي وتوضيح المعاني والدلالات الحقيقة له ومقارنتها بالدلالات المعاصرة لهذا المفهوم التي هي دلالات المفهوم الأجنبي نفسها، وذلك تمهيدا لمحاولة إعادة تعريف المفهوم العربي، أو تنقيته مما لحقه من ظلال المفهوم الأجنبي، وصولا إلى المعاني والدلالات الأصيلة للمفهوم العربي(55).**

**وبهذا المنهج المعرفي سيحاول نصر محمد عارف إعادة بناء وتأصيل مفهوم الثقافة من جديد، إذ سينطلق**

**123.....**

**بداية من المعاجم والقواميس العربية القديمة ليحدّد المعاني اللغوية المرادفة كالحذق و الفهم و الضبط والظفر بالشيء والفطنة والذكاء و ثبات المعرفة و التهذيب و التشذيب و التقويم و التسوية و الأتقان من بعد الإعوجاج، ثمّ راح بعدها يتلمّس دلالات هذا المفهوم ألمعرفيّة المتميزة.**

**و هكذا خلص إلى أن المضمون المعرفي لمفهوم (الثقافة) في اللغة العربية ينبع من الذّات الإنسانية و لا يغرس فيها من الخارج، إذ يعمل على تنقية الفطرة البشرية و تشذيبها و تقويم اعوجاجها ثم دفعها لتوليد المعاني ألذاتية الكامنة فيها، و بإطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف التي يحتاج إليها الإنسان طبقاً لظروف بيئته و مجتمعه و علاقاته السياسية و الأقتصادية الخارجية و الداخلية، لتستقيم وقيم الإنسان نفسه.**

**كما أن هذا المضمون يحيل إلى معاني البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل وكل القيم التي تصلح الوجود الإنساني وتهذبه وتقوم اعوجاجه بشكل متجدد دائم لا ينتهي أبدا، وهو لا يحمل في ذاته أحكام قيمية تحدد نوعية الثقافة، فجميع الثقافات تنتظم على الدرجة نفسها من القيمة الإنسانية.**

**كما أن (مفهوم الثقافة) غير مقيّد أو مُخصّص، فهو عامّ للإنسان و الجماعة, و المجتمع يشتمل على جميع أنواع ألفعّاليّات و الممارسات الإنسانيّة بمختلف درجاتها(56).**

**هذا و سنقدم لكم منهج عربيّ إسلاميّ آخر لعبد الوهاب المسيري, بعنوان ؛ تحيزات الثقافة إن شاء الله.**

و هي

125.....

## نموذج عبد الوهاب المسيري:

## نموذج عبد الوهاب المسيري:

**هو نموذج مشتق من المنهج الغربي؛**
**تحيّزات ألثقافة :**

**تخصص المفكر المصري عبد الوهاب المسيري (1938م- 2008م) في (الصهيونيّة) بموسوعته الضخمة عن اليهود و اليهودية و الصهيونية و قدّم نموذج تفسيري جديد مؤلف من ثماني مجلّدات ضخمة؛ إلا أنّ اهتمامه إتّجه أيضا إلى فهم و نقد الحداثة الغربيّة و ما بعد الحداثة, راجع بحثنا الموسوم بـ [عصر ما بعد المعلومات]، و قد حاول المسيري تأصيل المفاهيم و صياغة المصطلحات بحديثه مثلا عن الماديّة الصلبة والمادية السائلة و الجماعات الوظيفية و الحوسلة و العلمانية بشقيها الشامل و الجزئي، و الخريطة أو النموذج الإدراكي والمعرفي وغيرها في محاولة منه لبناء مشروع فكري للحداثة الإسلامية؛ سينثر بذوره التربوية في مجموعات من القصص والأشعار التربوية التي خصصها للأطفال.**

**و لعل من أبرز القضايا التي تناولها عبد الوهاب المسيري، و التي لها علاقة بتأصيل المفاهيم في العلوم الاجتماعية و الإنسانية؛ هو إشكالية تحيز المفاهيم الناتج عن تركيبية الظاهرة الإنسانية وفعالية العقل الإنساني وعلاقة اللغة بالإدراك، فالعقل الإنساني لا يتلقى الواقع بشكل مباشر سلبي، و إنما يبقي و يستبعد و يؤكد و يهمش حسب خريطته الإدراكية(57).**

**و كان من نتائج ذلك أن تم استيراد معظم المفاهيم المستخدمة في هذه العلوم من الغرب، وأدمن الباحثون العرب والمسلمون عملية نقل المفاهيم دون إعمال فكر أو اجتهاد، ودون فحص أو تمحيص، وأصبحت العلوم الإنسانية العربية عقلها في أذنيها؛ تنقل آخر ما تسمع من مصطلحات غربية بأمانة وموضوعية دون إدراك للمفاهيم المتحيزة الكامنة(58).**

**فالمفاهيم ـ و من بينها مفهوم الثقافة ـ تنبع من تجارب تاريخيّة و نماذج تحليلية و رؤى معرفية و وجهات نظر غربية، متمركزة حول الذات الغربية، وتحتوي على تحيزات إمبريالية وعرقية، ومرتبطة بسياقها الحضاري الذي نشأت فيه، ولذا فهي مستقرة فيه وتفي بالغرض الذي سكت من أجله لدرجة معقولة، ولكن كل هذا يضع حدودا حضارية وتاريخية على فعاليتها خارج سياقها. ومن هنا قصورها إن نقلت إلى سياق حضاري جديد، عن الإخبار عن ظواهر نابعة من ظروف حضارية أخرى ومن سياق آخر, بل إن المصطلح المنقول في هذه الحالة قد يكون مصدراً لدلالات لا توجد في السياق الجديد، و ستاراً يخبئ جوانب من الظواهر التي ترد فيه(59).**

**يتضح إذن و بالتحديد أن أصل مشكلة تحيز المفاهيم يعود إلى علاقة الدال بالمدلول، و هي علاقة أبعد ما تكون عن البساطة حسب عبد الوهاب المسيري، فالدال الذي يستخدمه المرء، حتى قبل أن يدخله في علاقة مع المدلول؛ ليس أمرا واضحاً محدّد المعالم، و إنما هناك معناه الظاهر، و تضميناته الكامنة، و هناك ظلال المعاني التي يكتسبها من خلال الدوال المترادفة أو شبه المترادفة معه، ثمّ هناك كذلك علاقته بالدوال الأخرى داخل و خارج النص, و هناك عشرات الأبعاد الأخرى للدّال في حدّ ذاته.**

**أما المدلول في حدّ ذاته، فهو في غاية التركيب, فقد يكون حالة عاطفية، أو حالة عقلية، أو حالة عاطفيّة - عقلية، أو حالة عاطفية أصلها ماديّ؛ أو حالة ماديّة أصلها عاطفي؛ أو حالة ماديّة أصلها مادي؛ أو حالة مأساوية – ملهاوية – تاريخية - رعوية(60).**

**بهذا المعنى تصبح عملية الربط بين الدال و المدلول(العلة و المعلول) عملية محفوفة بالمخاطر، فهي ليست سهلة إطلاقاً ولا آلية و حتمية، بل عملية تمرّ عبر الزمان و المكان الإنسانيين, فالعلاقة بين البنية اللغوية التي ينتمي إليها الدال، و البنية التاريخية أو الاجتماعية التي ينتمي إليها المدلول علاقة مركبة إلى درجة كبيرة.**

**إن مزاوجة (ألدّال بالمدلول) حسب قاعدة المسيري إختيار و اجتهاد و تحيز(61), و عملية مزدوجة تتضمن تحيز السياق و تحيز من قام بصياغة هذا المفهوم، و من هنا فمسوغات هذا التحيز أمران:**

**أولاً : لأن كل دال متجذر في تشكيل حضاري فريد، له لغته المعجمية والحضارية الفريدة، و لذا فالدال (وحقله الدلالي) مرتبط بسياق حضاري محدد، ويشير إلى ظواهر بعينها دون غيرها.**

**ثانياً : لأنّ الدّال بطبيعة الحال لا يشير إلى مدلول خارجي و حسب، و إنما يحتوي أيضا على وجهة نظر من سكه و زاوية رؤيته و اجتهاداته(62).**

**و قد قام عبد الوهاب بتقسيم التحيّز إلى عدّة أنواع من بينها : التحيّز الكليّ والتحيّز الجزئيّ؛ التحيّز الواعي والتحيّز الكامن؛ التحيز التلفيقيّ و التحيّز داخل التحيّز، والتحيّز إلى الحق والتحيّز إلى الباطل، بل بلغت مساعيه الاجتهادية في التحيز ذروتها عندما اقترح رفقة عدد من زملائه، فكرة عقد مؤتمر دولي حول إشكالية التحيز في أواخر العقد الثامن من القرن الماضي، وتأسيس علم جديد باسم فقه التحيز له آلياته و مناهجه و مرجعيته الخاصة(63).**

**و لم يكتف عبد الوهاب المسيري بالتأطير النظريّ لهذا العلم فقط، بل اجتهد في البحث عن تطبيقاته في واقع العلوم الاجتماعية والإنسانية عندما حاول تتبع وضبط تحيز مجموعة من المفاهيم كالأسرة والتدين والماسونية والصهيونية وعصر النهضة وعصر الاكتشافات والحرب العالمية الأولى والثانية ومعاداة السامية والعلمانية والحروب الصليبية وحركة تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها والعقلانية وغيرها(64).**

**إلا أن تصفحنا لمجموعة من مؤلفات المسيري لم تجعلنا نقف على محاولة وافية و مستقلة لدراسة مفهوم الثقافة من منظور معرفي تحيزي، و بالمقابل فكلّ ما عثرنا عليه هو تعريف للثقافة أوردته سوزان حرفي في كتابها (الثقافة و المنهج)، والذي هو عبارة عن تجميع لسلسلة الحوارات التي أجراها عبد الوهاب المسيري منذ ستينيات القرن الماضي إلى حدود سنة 2005م مع مجموعة من الصحفيين و الإعلاميين و المتخصصين و الطلبة و الباحثين.**

**في مستهل جوابه عن سؤال مرتبط بطبيعة دور الاستعمار في الغزو الثقافي حيث عرّف الثقافة باعتبارها: ذلك المشترك المجتمعي التي يشارك كل أفراد المجتمع في صنعها أو التعبير عنها عبر مدة طويلة من**

**الزمن، أو هي المنظومة العقائدية والقيمية والأخلاقية والسلوكية للمجتمع، فهي التي تشكل خريطته الإدراكية وتحدد مجال إدراكه ووعيه وأنماط الشخصية فيه، الثقافة هي النظارة الملونة التي يرى أفراد المجتمع العالم من خلالها، وهي وعاء هويته ومصدر تماسكه. علاوة على كل هذا تعبر ثقافة المجتمع عن نفسها من خلال منتجاته الحضارية المختلفة، سواء كان الطعام أم الدواء أم الغناء أم الرقص أم وسائل الإنتاج(65).**

**ومن خلال هذا التعريف نجد أن عبد الوهاب المسيري يربط ضمنيا بين الأبعاد المادية و الروحية للثقافة، فهي منتجات المجتمع المادّية و هي أيضا جوانبه الرّوحية الدّينيّة والأخلاقيّة، فالإنسان بهذه الرؤية التكامليّة منتج و نتاج للثقافة؛ فاعل و منفعل؛ مؤثر و مؤثر فيه.**

**إلا أن أخطر وظيفة تملكها الثقافة هي قدرتها على تشكيل خريطة الفرد الإدراكية .. أو ما يسميه بالنموذج الإدراكي أو المعرفي، أي تلك الصورة التي تحضر في عقل الإنسان ويتصور أنها تعكس الواقع، ومن خلال هذه الصورة يقوم بترتيب المعطيات التي تأتيه، فيهمش البعض و يركز على البعض الآخر(66).**

**وإذا اعتبرنا أن جذور مفهوم الثقافة هي غربيّة أمكننا الحديث عن تحيز لمفهوم الثقافة بحيث أن هذا المفهوم وعند نقله إلى اللغة العربية نقل النموذج المعرفي الغربي بكل ما يحمله من قيم كامنة مستترة في النماذج المعرفية والوسائل والمناهج البحثية التي توجه الباحث دون أن يشعر معها، و إن شعر بها وجدها لصيقة بالمنهج لدرجة يصعب معه التخلص منها(67).**

**و يمكن أن نتصور شكل ومضمون الثقافة الغربية إذا علمنا بأن النماذج المعرفية تدور حول ثلاثة عناصر أساسية: الإله و الطبيعة و الإنسان، و من خلال الإجابة عن التساؤلات الكلية والنهائيّة التالية:**

**ما الهدف والغاية من الوجود في الكون؟**

**هل الإنسان مادة وحسب, أم مادة وروح؟**

**أين يوجد مركز الكون؟**

**هل كامن فيه أم مفارق له(68)؟**

**و هل هناك نهاية لهذا الكون أو حدّ ينتهي عندها الوجود؟ وهذا أمرٌ لم يتأكد منه حتى عقل آلبرت آينشتاين!**

**و يكشف لنا عبد الوهاب المسيري عن النموذج المعرفي الغربيّ باعتباره نموذجاً مادياً حلوليّاً و أحدياً، و أن جوهر الواحدية الماديّة ؛ هو أن تصبح كل المخلوقات خاضعة تماماً لنفس القانون المادي الصارم، و أن يسود منطق الأشياء على الأشياء و الإنسان، و أن هذا هو نفسه حجر الزاوية في المشروع المعرفي الغربي : ثمّة قانون واحد و ثقافة واحدة و إنسانية واحدة، و لذا فثمّة نموذجاً واحداً للتطور(69).**

**إن حصر عبد الوهاب المسيري لتحيزات الخريطة الإدراكيّة أو النموذج المعرفي الغربي(70) سيجعلنا نجتهد معه للكشف عن تحيزات مفهوم الثقافة، والذي نتيجة لذلك ستصبح عناصرها:**
**- ذات طبيعة واحدية مادية في مقابل جوانبها الروحية واللامادية والإنسانية؛**

**- ذات طبيعة عامة وموضوعية على حساب ما هو خصوصي وذاتي؛**

**- ذات طبيعة محسوسة ومحدودة وكمية على حساب جوانبها اللامحدودة وما لا يقاس والكيفي؛**

**- بسيطة وواحدية متجانسة على حساب جوانبها المركبة والتعددية وغير المتجانسة.**

**هذا و سنقدم لكم منهجاً آخر منسوب للسيد محمود الذاوي بعنوان:**

**[ أنسنة الثقافة و مؤشر الرموز الثقافية كأدوات للتحليل الثقافي ].**

**الخلاصة : إن معنى الثّقافة هو المعادل لمعنى آلفقه , بمعنى وقف على الشيئ و عرفه و فقهه, و كما جاء في المُنجد و غيره من المعاجم و القواميس ألعربية.**

و هي

131.....

## أنسنة ألثّقافة و آلرّموز الثّقافيّة كأدوات للتحليل ألفكريّ :

## أنسنة آلثّقافة و الرّموز الثّقافيّة كأدوات للتحليل ألفكريّ :

**يمثل موضوع تأصيل الثقافة و محاولة إيجاد نظرية ثقافية خاصة بالمجتمعات العربيّة والإسلاميّة الهاجس الأول لعالم الاجتماع التونسي محمود الذاودي.. كما كانت تلك المشكلة همّنا الأول منذ أواسط القرن الماضي و للآن حتى عرضنا لفلسفتنا الكونية العزيزية مع بدء الألفية الثالثة, كنظرية كونية لتحديد جميع المسارات الأنسانية الهادفة لتحقيق السعادة.**

**و يُعد كتابه (الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلاميّة واغتراب العلوم الاجتماعية) خلاصة حصاد لبحث ) إمتدّ على مدى عقد و نصف من الزمن (1990-2005)، و محاولة بحثية اولية Basic Research برؤية نقدية حاول من( culturology) للمساهمة في بناء أرضية متينة لما يسمى حالياً بِعِلم الثقافة خلالها إعادة النظر في المفهوم المتداول للثقافة بهدف تحسين حظ هذا العلم في كسب و تعزيز رهان المصداقية العلميّة(71), و بالإعتماد على رؤية معرفيّة إسلاميّة أفضت إلى إنتاج نظرية خاصة تعتبر مؤشر الرموز الثقافية مرجعية قويّة للتنظير حول الهموم الثقافية في المجتمعات البشرية، و انعكاساتها الميدانية على شخصية الأفراد والهويات الجماعية للشعوب(72).**

**فقد لاحظ محمود الذاودي بأن العلوم الاجتماعية والإنسانية الغربية المعاصرة أهملت مؤشر الرموز الثقافية إهمالا شبه كامل في دراستها للظواهر الثقافية و الاجتماعية بسبب الإيبستيمولوجيا الوضعيّة التي لا تعترف بهذه المؤشرات كأدوات للتحليل(73)، و تعمل في مقابل ذلك على تشيّيء( positivisme) الثقافة بدراستها مثلها, مثل بقيّة الأشياء الماديّة دون القيام بجهد معرفي جاد للتعرف على الجوانب الخفيّة التي تتميز بها الرموز الثقافية.**

**و بهذا الإغفال/ الغياب لحضور اللمسات الميتافيزيقية في منظومة الرموز الثقافية تكون العلوم الاجتماعية المعاصرة – رغم ادعائها- بعيدة عن الموضوعية(74). objectivité.**

**كما نبّه آلسيد محمود الذاودي إلى أن القلة القليلة من علماء الأنثروبولوجيا و الاجتماع هي التي نظرت إلى الجوانب الخفية من الثقافة، إلا أن إشاراتهم مع ذلك كانت نادرة و مبهمة و غامضة، ففي كتاب " مفهوم الثقافة" لوايت و دلينغهام(75) سَتَرِدْ لو تُراجع ؛ تعريفات للثقافة تعتبرها عنصراً بشريّاً فوق العضوي (organic - super) ، أو أسمى منه كما ذهب إلى ذلك كل من عالم الاجتماع هربرت سبنسر Herbert)، أو هي تلك الأشياء غير البيولوجية Alfred Kroeber وعالم الأنثروبولوجيا ألفريد كروبر Spencer Edward) كما ورد على لسان عالم الأنثروبولوجيا إدوارد تايلور (Non biological things) كما Exrasomatic things) الذي قدم أفضل تعريف للفكر، أو هي أشياء غير جسدية (B.Taylor أو هي تلك الأشياء الخارجية المتجاوزة( Leslie White) سماها عالم الأنثروبولوجيا ليسلي وايت Suprabiological لبيولوجيا الإنسان (76).**

**و ينطلق محمود الذاودي من مسلمة مفادها أن هوية الإنسان هوية ثنائية: بيولوجية و فيزيولوجية من جهة، و رموزية ثقافيّة من جهة أخرى.**

**إلا أن هذا الجانب الأخير يبقى الطرف الأبرز والأكثر حسماً في تحديد هوية الإنسان، ومن ثم فهم الإنسان و تحديد المؤثرات على سلوكه بسبب مركزية الرموز الثقافية في تلك الهوية, وهذا التحديد الهوياتي سيفضي بمحمود الذاودي إلى تعريف الإنسان بكونه : كائناً رموزيّاً ثقافيّاً بالطبع(77).**

**و تعتبر نظرية محمود الذاودي المعرفيّة في الثقافة ؛ أن مفهوم الرموز الثقافية يشكل الإطار السوسيولوجي النظري و الفكري الذي يسمح بالتعمق في فهم وتفسير طبيعة معالم التخلف الآخر، وبعبارة أخرى يمثل مفهوم الرموز الثقافية مرجعية قوية للتنظير حول الهموم الثقافية في المجتمعات البشرية وانعكاساتها الميدانية على شخصية الأفراد والهويات الجماعية للشعوب. فالإطار الفكري الذي يحمله هو تأسيس سوسيولوجي يؤهل بحق الباحثين الاجتماعيين الجادين - في اعتقاده مفهوم الرموز الثقافية - على التعامل بكفاءة ويتعمق مع أهم ما يمتاز به الجنس البشري ألا وهي الرموز الثقافية(78).**

**ويقصد محمود بالرموز الثقافيّة اللمسات الميتافيزيقيّة أو الجوانب المتعالية للثقافة Transcendental ككل معقّد يشمل مؤشرات اللغة و الفكر و العقيدة و المعرفة/العلم و القوانين و القيم والأعراف الثقافية و الأساطير وغيرها(79).**

**و لشرح مستفيض لما يعنيه باللمسات المتعالية/الميتافيزيقيّة للرموز الثقافيّة تُورد أربعة خصائص مميزة:**

**أولا :**
**طول أو سرمدية حياة الرموز الثقافية قد لا تصل إلى درجة الخلود، فاللغة مثلا، و هي أمّ الرّموز الثقافيّة، ولها قدرة على إطالة أو تخليد حياة الأفراد و الجماعات البشرية، و من ثمّ فهي مهيأة أكثر من غيرها على حمل ومضات عالم اللامحسوس وفقا للرؤية المعرفية الإسلاميّة - الأنسانية لعالم الرموز الثقافيّة للإنسان. و يُمكن ذكر و تحديد أربعة ملامح في تشخيص الملامح الميتافيزيقيّة للّغة كرمز ثقافي يتميّز به الجنس البشري:**

**- الفكر البشري لا يكتب له الاستمرار والخلود الكاملان دون أن تحتضن مضمونه اللغات المكتوبة، فما كان لفكر .. كل من إخناتون و سقراط و أرسطو ثمّ ابن رشد و الغزالي و ابن خلدون و روسو و ديكارت و هيوم و غيرهم من المفكرين والعلماء و فوقهم الفلاسفة .. ما كان لأفكارهم أن تتمتع بمدى حياة طويلة من البقاء بدون تسجيله في حروف و كلمات اللغات البشرية المتنوعة التي تؤهله لكسب رهان حتى الخلود؛**

**- أما على مستوى الحفاظ وتخليد التراث الجماعي للمجموعات البشرية؛ فإن للّغات دوراً بارزاً بهذا الشأن، فاللّغات المكتوبة على الخصوص تُمكن المجموعات البشرية من تسجيل ذاكرتها الجماعية و المحافظة عليها و تخليدها رغم اندثار وجودها العضوي والبيولوجي ككائنات حيّة ورغم تغييرها للمكان وعيش**

**134.....**
**أجيالها المتلاحقة في عصور غير عصورها, فمحافظة لغة الضاد محافظة كاملة على النص القرآني خير مثال على مقدرة اللغة التخليدية بالنسبة لحماية الذاكرة والتراث الجماعيين من واقع الفناء المتأثر كثيرا بعوامل الزمن والبيئة والوجود الجسمي العضوي البيولوجي لذات تلك المجموعات البشرية؛**

**- لقد تحسنت مقدرة الرموز الثقافيّة على السماح للإنسان بالتمتع بنوع من الخلود بسبب استمرار توالي الاكتشافات التقنيّة في ميدان الإلكترونيات المتقدمة؛ فتسجيل الصوت والصورة عبر عملية الترميز (الحية) Codification يعد مثالا حياً على مقدرة الرموز الثقافية على تخليد الكلمة و الصوت و الصورة. للكائنات الحيّة و الموجودات الجامدة.**

**- لا تقتصر هذه الأبعاد المتعالية/الميتافيزيقية للغة المكتوبة فقط، بل إن الاستعمال الشفوي للغة يقترن هو الآخر بدلالات متعالية/ميتافيزيقية. أفلا يلجأ البشر من كل العقائد والديانات إلى استعمال الكلمة المنطوقة في تأملاتهم الكونية وتضرعاتهم وابتهالاتهم إلى آلهتهم أو إلى أي شيء آخر يعتقدون في أزليته أو قدسيته؟ بتميزه باللغة عن بقية الكائنات يستطيع الإنسان أن يحرر نفسه من العراقيل المادية لهذا العالم ويقيم علاقات وروابط مع العالم المتعالي/الميتافيزيقي.**

**فبالمقدرة اللغوية ينجح بنو البشر في فكّ حصار المشاغل الدنيوية والآنية, وهكذا يصبح لقاءهم بالبعد الميتافيزيقي في شتى مظاهره أمراً لا مفرّ منه، فهم يرونه في أحلامهم و يحفل به خيالهم و يلتقون به عن قرب في تجاربهم الدّينية على الخصوص(80).**

**ثانياً :**
**تملك الرموز الثقافية قوّة هائلة تشحن الأفراد و المجموعات بطاقات ماردة كبيرة تمكن أصحابها من الانتصار على أكبر التحديات بكلّ أصنافها المتعددة، ذلك أن عنفوان هذه الطاقة يستلهمها الإنسان من عالم الرموز الثقافية التي تستمد بدورها قوتها من عالم السماء لا من عالم المحسوسات كما ترى إبستمولوجيا الثقافة الإسلامية. ومن هنا يأتي المدلول الميتافيزيقي لقيم الحرية والعدالة والمساواة كرموز ثقافية قادرة على شحن الأفراد والجماعات بطاقات ماردة جبارة، فمصدر إرادة الشعوب الحقة يكمن في عالم الرموز الثقافية، فعندما يجمع الناس أمرهم للدفاع عن الحرية والمساواة والعدل والاستقلال واحترام الذات وغيرها يصبح رد فعلهم كرد فعل القدر الذي لا مرد له, و هذا ما يفسر لجوء الناس إلى الحديث عن المعجزات في بعض الأحداث الفرديّة أو الجماعيّة التي تدخل سجّل التاريخ بالرغم من عدم توفر المعطيات والأدلة الماديّة لذلك(81).**

**ثالثاً :**
**الرموز الثقافية لا وزن ولا حجم لها كما هو الأمر في المكونات البيولوجية الفيزيولوجية للكائنات الحية وعالم المادة الجامدة. وهو ما يؤهلها للاتصاف بالأبعاد المتعالية، ويجعل عالمها مختلفا عن كل من العناصر البيولوجية الفيزيولوجية وعالم العناصر المادية، كما يعمل من جهة أخرى على تسهيل عملية نقلها ونشرها عبر المكان والزمان. ينطبق هذا بصورة مجسمة كاملة على استعمال وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، فما يرسل في لمح البصر بهذا الأخير من رسائل و وثائق كان يحتاج في الماضي القريب**

**إلى أيام أو أسابيع أو شهور حتى يصل إلى (المرسل إليه) بسبب إرساله بالبريد الجوي أو البري أو البحري(82).**

**رابعاً :**
**في مقال نشر له على موقع المركز السوداني للبحث العلمي بتاريخ الخميس 20 يونيو 2013، تحت عنوان :**

**[مقاربة عربية في مركزية الثقافة في هوية الإنسان], أضاف محمود الذاودي فيه خاصّية جديدة إلى نظريته في الرموز الثقافية، فالرموز الثقافية لا تتأثر بعملية النقصان عندما نعطي منها للآخرين كما هو الأمر في عناصر عالم المادة، فإعطاء الآخرين خمسين ديناراً من رأس مالنا و قنطارا من قمحنا و عمارة من عماراتنا... كلها عمليات تنقص ممّا هو عندنا من ممتلكات مادية – للمزيد راجع بحث للدكتور ناصر الغزواني بعنوان : [بين الحضارة و المدنية ألاسلام نموذج].**

**أما إذا عَلّمنا (مَنحنا) الآخرين شيئاً من معرفتنا و علمنا و فكرنا و عقيدتنا و قيمنا الثقافية و لغتنا ؛ فإن ذلك لا ينقص شيئاً من كلّ واحد من رموزنا الثقافيّة هذه, بل آلعكس يزيدها و يزكو عليها.**

**و تخلص نظريّة محمود الذاودي المعرفية في الثقافة إلى أن تميّز الإنسان يعود من ناحية إلى الرموز الثقافية باصطلاح العلوم الاجتماعية و الإنسانية الحديثة، و الى نفخة روح الله في الإنسان من ناحية أخرى كما جاء في القرآن(83)، تلك النفخة مكّنته من التميز و السيادة و التفوق على باقي الكائنات في هذا الكون، يضاف لذلك الكرامة الألهية التي فضلته على كثير من خلق الله في هذا الوجود.**

**و بذلك يمكن الاستنتاج بأن الرموز الثقافية هي جزء من النفخة الرّوحية الإلهية الثقافية الخاصة التي نفخها الله في آدم إلى جانب الكرامة التي أهدته الحرية و الأختيار, وأنّ مزج الطين بالنفخة الرّوحية الإلهيّة الثقافية في خلق آدم جعل آدم مزدوج الطبيعة : مادة و روح في التركيبة الأزدواجية لطبيعة الأنسان.**

**. Transcendental و بهذا المعنى تكون الرموز الثقافية حبلى بالعنصر الميتافيزيقي المتعالي ألكونيّ.**

**تمثل هذه الرؤية المعرفية للرموز الثقافية صلب المنظور الإسلامي البديل لتعريف و دراسة ظاهرة الثقافة كعلم مستقل بذاته حسب محمود الذاودي، و هو الإطار الفكري الرئيس و الشرعي الذي ينبي تأصيل علم Paradigmeاجتماع الثقافة فيه في الوطن العربي و الإسلامي بصفة عامة(84).**

**و هكذا يظهر ممّا سبق أنّ مفهوم الثقافة ظل و لا يزال، أسير النظرة الغربية، ولو لبس مسوح الحضارة العربية واكتسب دلالتها، وهذا ما ظهر في إشكال ترجمته العربية، بل وفي انتقال نفس التباسه مع مفهوم الحضارة إلى العالم العربي والإسلامي؛ كل هذا جعل منه مفهوما ضبابيا متذبذبا مستلبا، يستبطن الرؤية الغربية إن بشكل ظاهر جلي أو مضمر خفي.**

**لذا، فإن بعض الجهود النقدية التي أوردنا بعضها لكلّ من مالك بن نبي، و نصر محمد عارف، وعبد الوهاب المسيري، و محمود الذاودي و أبو زيد و غيرهم؛ تعتبر جهوداً رائدة قامت بدور مضاعف عبر الأصعدة الواردة أدناه .. رغم تخلفنا الواضح في نفس الوقت عن ركب الأدارة التكنولوجية الحديثة :**

**الأوّل :**
**هو مساءلة المفهوم نقديا كما هو مستعمل حاليا، ومحاولة استنباته في البيئة العربية الإسلامية، بتخليصه من كل شوائب الترجمة والتبعية للفكر الغربي، اصطلاحا وأسلوبَ نظر. بإبداع تصورات جديدة لمفهوم الثقافة تستدمج الخصوصيات الحضارية للفكر الإسلامي؛**

**ألثاني :**
**هو تفعيل مفهوم الثقافة ضمن رؤية شاملة متوازنة كأفق للبناء الحضاري، بفتحه على أبعاد الفعل الإنساني؛ فالمشترك بين المبدعين الأربعة، هو أن الثقافة بمفهومها الحضاري الجديد، عنصر أساس للنهوض المنشود، ومنطلق للإبداع الإنساني. بهذا يصبح أي حديث عن الثقافة العربية والإسلامية، في قلب كل نقاش حول قضايا النهوض والتجديد الحضاري.**

**كما أشير أخيرا أنني بصدد الاشتغال على صياغة وبناء مفهوم عملي جديد للثقافة يستفيد من كل التراكمات النظرية والنقدية السابقة، ويستجيب لحاجات مجتمع الإعلام الذي أصبحنا نعيشه، إذ يستحضر العلاقة الجدلية التي أصبحت تربط بين الثقافة ووسائل الإعلام من جهة؛**

**و دور الإعلام التنمويّ الذي يستهدف التغيير الاجتماعي و الحضاري من جهة أخرى ، و ذلك من خـــلال الأجتهاد في إبداع مجموعة من المؤشرات الثقافيّة لتوضيح هذه القضيّة الهامّة التي تعتبر مفتاح العلوم و الأنتاج العلمي الذي مبدئه و منطلقه الخيال الخصب و الرؤية الإستراتيجيّة البصيرية لبناء الحضارة الكونية المطلوبة إن شاء الله.**

و هي

138.....

## دور ألأنتاج العلمي والثقافي و المعرفي في الحضارة :

## دور ألأنتاج العلمي والثقافي و المعرفي في الحضارة :

**مُقدّمة فلسفيّة حول الجذور و الآليات التي تنتج الثقافة كنهج لبناء الحضارة و أساسها فلسفة الأخلاق كطريق للحياة .**

**مقدمة عن آلجّذور و آلأسباب و الظروف التي رافقت آلأنسان عبر التأريخ حصرناها في ثلاث فلسفات أطّرتْ سلوكه و وضعه الأجتماعي – ألسياسي – ألأقتصادي – ألتربوي – ألسّلوكي و الأخلاقي, و قد كلّفهُ الكثير من الجهود و آلزّمن و الأموال و التضحيات, كانَ أمَرّها تلك التي كسبها بآلتجربة و أحياناً خوض غمار الحروب, و كان أسهلها عن طريق التقليد, لكن أسماها و أرقاها عن طريق الفكر و البحث و التأمل التي على أساسها تبنى الحضارات!**

**و بيان المراحل التأريخيّة ألعامّة لتلك الفلسفات بآلشكل ألتالي:**

**ألأولى: كانت ما قبل آلتأريخ, حين نشأ في الطبيعة نشأةً بشريّة حيوانية, و كان فكره – إن صحّ التعبير – مقتصراً بتلبية حاجاته المادية, من أكل و شرب و لباس و مأوى دون أن يكون واعياً تماماً بما يطلب, و كان وضعه شبيهاً بآلطفل أو الحيون, و لم يرتق إلى حالة الوعي لذاته إلّا بعد تجربة طويلة, هذا الوعي بآلذات شكّل نقطة ألتّحول ألجّذريّة في حياة الأنسان ليدخل مرحلة جديدة أخرى.**

**ألثانية: و هي مرحلة وعي الذّات, و آلأرتقاء ألفكري, بإعتبار ألفكر هو آلاساس ألمُحرّك للانسان, له حاجات تضاهي و تفوق حاجات آلجسد ألماديّة كآلحاجات الرّوحيّة و آلمعرفيّة و آلأدراكيّة, إلغاء الحيرة و آلقلق, إثبات ألذّات, ألتّخلص من آلدهشة و آلتناقض, و لهذا يقول أرسطو و من قبله افلاطون إنّ الدهشة منطلق الفلسفة, و ما كان الأنسان ليكون إنساناً لولا ألمعرفة, و لولا الوعي ما كانت المعرفة, لذلك كانت فلسفة هذه المرحلة هي البحث عن الحقيقة كحاجة روحية يطلبها الوعي.**

**و إستمرت العلوم و آلفلسفات تتطوّر بفعل التطور الفكري للأنسان حتى دخل عصراً جديداً نعيشه اليوم بكل تفصيل و ختمناه بآلفلسفة الكونية كختام للفلسفة.**

**ألثالثة: و هي الفلسفة المعاصرة, حيث لم يعد فيه الأنسان يبحث عن الغذاء المادي أو حتّى الروحي فقط .. بل اصبح مشاكساً لهذا العالم و طموحاً حدّ ألتّجاوز و بشكلٍ غير عادل و معقول, حتى بات يقف ندّاً لهذا العالم!**

**لقد وصل الانسان المعاصر بعد هذا حدّاً خطيراً و هو يتساءَل؛ هل تستحق الحياة أنْ نحياها؟ سؤآلٌ يَنمّ عن آلترفع على هذا العالم!**

**140.....**

**معتقداً أنّه هو الذي يُشرّف الحياة بوجوده و ليس العكس!**

**لذلك لا بُدّ أن يخضع وجوده لقراره, بعد ما أيقن بأن العالم لم يعد طوع يديه لسيطرة مجموعة هم أبعد ما يكونوا عن القيم و المثل و الأخلاق الأنسانية يتحكمون برقاب ألناس !**

و هي

142.....

## نداء الفلاسفة و دورهم في إنقاذ العالم:

## نداء الفلاسفة و دورهم في إنقاذ العالم:

توحّد الفلاسفة الحقيقيون – الكونيّون على نهج واحد لأنقاذ البشريّة, لهذا يُصدّرون كل سنة بياناً للعالم يحدّدون فيه الأولويات و الخطوط العريضة للواقع و ما تعانيه البشرية مع إضاآت للحلّ الأمثل, يفترض بآلحكومات و آلمراكز و المساجد و المدارس و الجامعات و الحوزات والمنتديات دراستها و الأهتمام بها.

لقد إستغربنا كثيراً لنداء بعض الليبراليين ألفرنسيين خلال العقدين الماضين(نهاية القرن الماضي) بدعوتهم لحذف فرع الفلسفة و حتى الأدبيّات كأختصاصات من الجامعات الفرنسية و حتى الغربية عموماً لأنتفاء دورها في الحياة الاجتماعية الحديثة التي حلّت محلها التكنولوجيا و العلوم الطبيعية و الطبية ـ المادية بحسب إعتقادهم و الحال أنّ كلّ ما توصّل إليه الغرب هو بسبب الفلسفة, بل ثقل الفلسفة و الفلاسفة كانت و للآن خصوصاً في فرنسا مهد الثورة و النهضة الأوربية و الغربية مشهودة, و أن تلك الدعوة بمثابة صرخة لتدمير القيم وذلك القليل الذي تبقى من ألعدالة و آلأخلاق ألأنسانيّة التي وحدها تُحصّن المجتمع من الانحراف و الضياع .. على كل حال و لعل تلك الصّيحات هي التي هزّت بنيان الأخلاق و القيم في الغرب بحيث أثرت في الشرق أيضا إلى حدّ بعيد و للأسف.

و لولا آراء الفلاسفة و جهودهم لكان الأنسان يعيش للآن في فترة القرون الوسطى المظلمة !
لكن مع هذا كلّه ؛ لا زالت (الفلسفة) مهمولة في جميع الأوساط, و تعتبر من العلوم الغير المفيدة!

لقد أطّر الفيلسوف شوبنهاور نظريته من هذا المنطلق بعد ما تصور ان الأنسان يدور في حلقة مفرغة, و هو في الحقيقة إتهام لنظام العالم, و نفي لارادة الحياة و تشريع مناقض لها, إنها فلسفة الأدانة ألتي أدت به للتشاؤم! و الواقع إنّه قد يكون مُحقّاً في ذلك فلن يتفاءل إلا شخص ساذج لم يدرك حقيقة الوضع الأنساني و خفاياه و اسراره!

و لما جاء "نيتشه" وجد باب التطاول مفتوحاً أمامه لادانه نظام العالم, فصرخ كآلمجنون منادياً" إنّ الله قد مات"! و " هبّوا لتلبية غرائزكم و إستمتعوا بما لذّ و طاب .. لقد مات الحارس او الجلاد أو آلرّقيب(ألأله), هذه الفلسفة هي فلسفة غير مقبولة في العصر الراهن لدى العقلاء, و أن فلسفة شوبنهاور التي مهدّت الارضية لفلسفة نيتشيه هي ثورة روحية فكرية متشائمة مهزومة و عاجزة عن التاقلم مع الواقع, لذلك حاول نيتشيه أن يأتي بحلٍ للموضوع.

و كان حلّه هو تلبية لصوت الطبيعة في الوجود الانساني, صحيح أن جذور فلسفة شوبنهاور هو بحث في الغزائز وآللذة و لكن هدفه كان سامياً و هو الظفر بآلسّكينة, و واضح أن هذا الهدف هو هدف روحيّ, و أن الهدف الذي شخّصه "نيتشه" لا يتلاءم مع جذور المشكل لكونه عاد بآلانسان إلى المرحلة الحيوانيّة و كأنّه ردّ فعل سلبيّ ضد حرمانٍ طال أمده .. أو كإنتقام ضدّ آلجّلاد(ألأله) تعالى عما يصفون, و بذلك حذف "نيتشه" و معاصريه جميع آلقيم ألسّماوية و أعتبروها خطيئة و سلاحاً للضعفاء!

بَيْدَ أنّهُ لا خلاف على دور ألأخلاق ألسّماويّة(ألقرآنيّة) بإعتبارها تختزن ألمعايير ألمثلى و آلقيم ألأنسانيّة ألعليا للأرتقاء في طريق ألحقّ و العدالة .. لتحقيق ألتكامل ألأنسانيّ ألذي معه يُحقّق الأنسان درجة(ألآدميّة) في وجوده, فيتخلص من الوضع آلبشريّ بعد آلأنتقال إلى آلحالة ألأنسانيّة و التخلص من البشرية الحيوانية .. كمقدمة لتحقيق السعادة في آلمُجتمع ألأنساني.

ذلك أنّ آلأخلاق ألآدميّة فقط – و ليستْ ألأنسانيّة أو البشرية (85) – وحدها تُحقق المساواة و ألعدالة وتسبب شيوع المحبة والتواضع والذوبان في الحقّ و إلغاء كافة أشكال الخلاف و العداء و البغض والغيبة والنفاق والنميمة كغاية تتطلّع إليها آلبشريّة نتيجة ظلم الحكومات والأمبراطوريات .. لذا جميع المستضعفين اليوم يطلبون التغيير إبتداءاً في مسيرها و كدحها بعد مشوارها الطويل من آلمآسي و الدّمار و آلأستغلال و آلحروب بسبب تسلط أصحاب الدنيا و آلمال و الشركات على مُقدّرات العالم!

ألعدالة هي محور الفلسفة الكونيّة و آلرّمز ألأخلاقيّ - ألأسمى لمؤشر ألسّعادة و الأمان في آلمجتمع, و من مصاديقها ألأساسيّة :

1- ألمُساواة في آلمعاملة ألأنسانيّة(كتعامل ألرّسول"ص" مع آلرّعيّة)

2- ألمُساواة أمام آلقانون(كحكومة عليّ"ع" في آلكوفة).

3- ألمُساواة في آلحقوق ألطبيعيّة(كمعايير مثلث ماسلو).

4- ألمُساواة في آلحياة ألآخرة(كموازين وردت في ألقرآن ألكريم).

أنّ آلعدالة مع وضوح تعاريفها و معاييرها كما أشرنا؛ قد تعرّضتْ للتشويه منذ بدء ألتأريخ بسبب مكنونات ألنفس و آلغرائز ألأنسانيّة ألتي حاولت تسيسها دائماً, ذلك التسيس الذي يأخذ بُعداً خطيراً إذا لم يُهذب طبقاً للمعايير الأخلاقية المطلقة!

لعلّ آلأنحراف ألأساسي ألأول بدأ بموقف ألشّيطان ألذي لم يعدل في قراره أمام عظمة ألباري و إرادته, حين حكّم عقلهُ و كبريائه و حسده أمام عدالة الباري تعالى و رفض آلسّجود لآدم(ع) ألذي كان يُريد أن يقول:

[لو تدري يا شيطان بآلنار ألذي يكوي وجودي لسجدّتَ لي ألف مرّة و مرّة], هذا مع وجود إشارات قرآنية إلى أنّ مُقدمات الأنحراف ألأخلاقي سبقت موقف الشيطان في سلالات سَبَقَتْ سلسلة أبينا آدم(ع) في هذا آلوجود كما تُؤكد ذلك بعض الآيات القرآنية و بدلالة قصّة ألمَلَكَين "هاروتَ و ماروتَ" و هبوطهم في أرض بابل(راجع ألتفسير ألعرفاني للشيخ ألانصاري – ألجزء الأول)!

**145.....**

**و توالت ألحوادث على أبناء آدم(ع) بعد هبوطه إلى آلأرض كفرصة لترميم الأوضاع من جديد و ظلّتْ ألعلوم و آلفلسفات تتطور كناتج لتطور الفكر الانساني كما بيّنا مراحله فيما مضى .. إلّا أنّ مشكلة آلأنسان ما زالت مستعصية و لم يستطع ألعبور إلى مرحلة الآدميّة رغم نجاحاته على آلمستوى النّظري في ذلك إلى حدّ مّا!**

**و رغم نجاح آدم(ع) في آلأمتحان ألنّظري حين تَعَلّم آلأسماء من آلخالق ألعظيم كانت ألملائكة تجهلها .. ثمّ نبوءته بها و بمكنوناتها و أسراها للملائكة .. لكنه – أيّ آدم(ع) – سقط في آلأمتحان ألعمليّ حين تعرّض لهُ بأكْلِهِ من آلشّجرة ألممنوعة و ما برء آلشّيطان يُوسوس لهُ لأغوائه, و لم يستطع ألسّيطرة على نفسه, و تلكَ هي آلحقيقة ألمرّة لأصل الشّر(ألمُرّ) و ألمُتجذّر في آلبشريّة ألمحكومة آليوم بآلمآسي و بآلسّياسات ألماديّة عبر آلشركات و آلبنوك و آلمؤسسات ألكبرى و بين آلمُثل ألأخلاقيّة ألسّماوية ألمُهملة آلتي أنزلها الله و آلتي لم تدركها آلقلوب ألتي تاهتْ و سط ذلك آلضجيج ألدّيمقراطي ألعولمي – ألغربي بآلذات!**

**إنّ ألمشروعيّة ألسّايكلوجية للأخلاق ألطيبة تهدف إلى آلهيمنة على آلنزعات ألنفسية ألمنحرفة و آلشذوذ ألّلاإنساني من خلال منظومة تُسيّر ألأنسان نحو خلق كمالاته و وضعه بآلاتجاه ألسليم, و بتحقيق هذا الأمر تكون آلنتيجة إيجابية لصالح ألمجتمع ككل, ذلك أنّ القانون ألوضعي ألمُتمثل بآلحقوق و آلواجبات و آلمحاسبة و آلتأنيب – مهما تسامى – لا يفي هذه الأمور من خلال عدم وقوعه تحت هذه آلسلطة.**

**هذا بغض النظر عن مدى فاعلية القانون و قدرته على فرض قوّته ألذّاتية ألّتي تفقدها بآلأساس لعدم إرتباطها بآلغيب, و لهذا نرى أنّ تلك آلمجتمعات ألتي تفقد ألسّلطة ألقانونيّة تتحوّل إلى شبه غاب تعمّ فيها آلفوضى و آلدمار لكونها تعودت على آلرّقيب ألحسّي ألمُتمثّل بآلقانون و لم تتّصف بآلرّقيب ألذاتي ألمُتمثل بآلأخلاق لفقدان ألرّقيب ألغيبي, و من هنا تبرز ألحاجة ألأساسية لتطبيق ألقانون ألأخلاقيّ كدافع تحمله آلنفس للحدّ من وقوع ألانحراف و تجاوز ألسّياسات ألأستكبارية ألظالمة.**

**و سنعرض أسباب و جذور الإنحرافات الأخلاقية لدى البشر:**

و هي

147.....

## جذور آلأنحرافات ألأخلاقيّة لدى آلبشر :

## جذور آلأنحرافات ألأخلاقيّة لدى آلبشر :

ليس من آلسّهل أن يُسخّر الأنسان ذاته لغيره و يقدم العمل الصالح و الخير للآخرين بعد معرفة الجمال و قوانينه و قبلها كسب العلم و المعرفة, لذلك كثيراً ما تحصل ألتقاطعات و آلظلامات و تضارب ألمصالح بين بني آلبشر كأفراد و كيانات نتيجة تعاظم الذات و شيوع الجهل و الركون للدنيا نتيجة الفهم الخاطئ لفلسفة الوجود و الحياة و الأنسان!

هذا إذا عرفنا بأن الطبيعة الإنسانية ملهمة ببذور الفجور و الأنتصار للنفس في كل الأحوال ما دام يجهل تلك الحقائق التي أشرنا لها, فأن 33 صفة مشينة و معيبة تبقى ترافق البشر ما لم يتزكى منها عبر الوسائل المبيّنة في فلسفتنا الكونية.

و صمام الأمان في درء هذا الأنحراف ألخطير هي تحكيم ألرّقابة ألألهية عبر نظام ألهيّ رقابيّ, فآلله تعالى وحده ألضامن لما قد يخسره الأنسان سهواً أو عمداً في علاقاته و تشابك مصالحه مع آلناس في هذا آلعالم ألمعقد جدّاً, لذلك فآلمؤمن ألذي يعمل آلصّالحات لا يخاف ظُلماً و لا هظماً بوجود آلرقابة ألالهيّة.

و من هنا فقط يتعمّم آلصلاح و آلخير و آلأمن و السعادة في آلمجتمع ألأنساني, و الفضل الأكبر يعود إلى الرسالات السماوية التي أنبئتنا بخبر السماء و عرضوا لنا و للعالم المبادئ الصحيحة لهداية الأنسان و بناء العائلة و المجتمع بإعتبار العائلة المركز الأول الذي فيه تتحقق سعادة الأنسان إن كانت عائلة محترمة و مؤمنة أو شقاء الأنسان إن كانت العائلة منحرفة و فاسدة, هذا هو العامل الأوّل.

أما العامل الثاني : فهو الأيمان العرفاني ـ الفطري بوجود الله و محاولة الحفاظ عليه, و لا تجد المبادئ و النهج الذي يوصلك لذلك الأيمان المعرفي – الكوني إلا عن طريق دراسة الفلسفة الكونية خصوصا كتاب (أسس و مبادئ المنتدى الفكري)!

و الحقيقة المؤلمة عبر التأريخ و بعثة الأنبياء ؛ أن جميع الرسالات السماوية هي الأخرى أصيبت بمحنة بل بمحن عويصة و أبرزها تحريف تلك الكتب السماوية المقدسة و رغم إن القرآن خاتمها؛ لكن طلاب الدنيا منعوا إبتداءاً حتى كتابتة وتفسيره خصوصاً ما يتعلق بأسباب النزول كمفتاح لفهم تفاصيل و علل الآيات و السّور و كذلك إطلاق الحرّية لتأسيس المذاهب المختلفة لتشتيت المسلمين و تفريقهم و كما هو الحال اليوم في جميع الأديان و خاتمها (الأسلام) الذي وصل عدد الفرق و الطوائف فيه إلى أكثر من 70 فرقة و طائفة .. و هكذا تمرّ أمتنا وا لعالم بمحن كثيرة, علينا على الأقل و كواجب؛ معرفتها لدرأ ما نتمكن من الأنحرافات التي حدثت فيها بسبب طلاب الدنيا و الحكم و المناصب و الشهوات المختلفة و حُبّ الدولار و الرواتب الحرام, أوْلئك المرتزقة النفعين لا يعرفون حتى لماذا يُحب الدولار و هل يوصله للهدف .. بل لا يعرف حتى الهدف , لجهله بآلأسئلة (المصيرية الستة) مع أجوبتها بآلتأكيد!؟

لذا و من أجل فهم تلك الحقائق الكونيّة العظيمة؛ يجب مراجعة (نظرية المعرفة الكونيّة), و (فلسفة الفلسفة الكونية), للوقوف على التفاصيل الدقيقة, و يمكنكم أيضا مراجعة بحثنا الموسوم بـ :

(الأصل المُر للبشريّة), للوقوف على الحقيقة المرة و إمتلاك الوعي للتخلص من الأنحراف و الشّر الكامن بذاتك و بشكل طبيعيّ و تكوينيّ, مذ خلقلك الله تعالى و أودعك فيك بذور الخير و الشر .. و قد تتعاظم إن لم تسعى لترويض نفسك و التخلص من الآفات الأخلاقية و التي كانت هي السبب في محنة الرسالات السماوية و شهادة الأنبياء و المرسلين على أيدي الذين لا يريدون الحقّ أن يحكم بسبب تلك الصفات السلبية التي تعاظمت في وجودهم من دون السعي لتهذيبها و علاجها بالمعرفة التي تأتي عن طريق القراءة و البحث لكونها العامل الأول و الأقوى لهداية المجتمع و تحصينه من كيد ومكر الحكام و السياسيين الذين يمتلكون الأجهزة والوسائل التي تساعدهم على تزييف الحقيقة و بآلتالي تجهيل الناس لسرقتهم بكل سهولة و إنسيابيّة, بحيث يسرقك و تخرج في اليوم التالي و تصفق أمامه و هو يضحك عليك, و هذا هو حال الشعوب و الناس في كل بلاد العالم شرقه و غربيه للأسف نتيجة تكاثر الفرق و الأحزاب و الأئتلافات اللاهثة وراء المناصب و الأموال و التسلط!

بإعتقادنا, إن الأسباب الأساسية التي أدّت إلى الأنحرافات الفكرية؛ هي ظهور الفرق الكلامية المختلفة إبان أول محنة كبيرة واجهت الأمام عليّ(ع) في دولته الكونية العادلة تمثلت في ثلاث طوائف رئيسية هي : (القاسطين) و (المارقين) و (الناكثين), ثم تفرعت و تشتت العقائد بعد ظهور الفرق الكلامية المختلفة!

حيث برز المعتزلة و المرجئة و غيرهم, و كان السبب الأوّل يتعلق بتلاعب الحكام الأمويون و من سبقهم من الخلفاء حين تلاعبوا بنصوص .. بل بألأصول الأسلامية, فإضطر بعض المسلمين الذين إشتبكت عليهم الأمور كآلبصري و واصل بن عطاء و أمثالهم إلى دراسة جديدة و جدية لأصول الأسلام و تحديد الكثير من المفاهيم التي تشوهت في الأسلام نتيجة أفكار و سياسة السلاطين, و تلك الجامعة أطلق عليهم بآلمعتزلة و في مقابلهم المرجئة من الذين لم يثبتوا على أوصياء الرسول (ص) بعد شهادته أو وفاته, خصوصا بعد معركة صفين التي كانت أوّل معركة بين المسلمين و المسلمين بسبب إنحراف الولاية عندهم و إنقسامهم!

ألأصل الآخر للأنحراف الذي إبتلي به المسلمون .. بغضّ ألنّظر عن أصل الشّر ألمُتجذّر في وجود ألبشر كغريزة طبيعية متأصلة فيه .. بدأ حين أمتدّ و تطور علم الكلام كما ألمحنا لتصبح منظومات عقائدية و أجتماعية, خصوصاً في مسألة "خلق آلقرآن" و كانتْ من إبتكارات ألمُعتزلة (86) نهاية القرن الاول الهجري, و هي آلقضية ألتي وصمتهم بآلضّلال و آلأبتداع .. مع ملاحظة أنّ ليسَ كلّ ألمعتزلة إعتقدوا بذلك!

كما سبقتْ(محنة القرآن) محنة آلرّسالة ألمسيحيّة إبان آلقرون ألوسطى وهكذا اليهودية حين إستغل ألقساوسة الأمّة بإسم آلمسيح, وكذا الحال مع الديانة اليهودية حين تمّ تزوير ألكثير من الأسس والمبادي

ألأخلاقية و آلأنسانية و الأجتماعية فيها , لتنعكس الصورة الحقيقية لتلك الديانة السماوية كما المسيحية و هكذا الأسلامية بسبب طبيعة و أهواء البشر الذي يريد تسخير كل شيئ لمصالحه و هوى نفسه للأسف.

و خلق آلقرآن في مصطلحهم يعني أنّه حادثٌ و ليس بقديم و أصيل, و كونه كلام الله أوحاه إلى عبده ألمصطفى محمد(ص) ألذي جسّدهُ عبر آلآيات و آلسّور بحسب آلحوادث و ألوقائع التي كانت تقع, و لم يكن في علم الله محفوظ, يعني أهميّة ما ورد فيه ليس مقدساً كما يدّعون!

لقد إعتقد ألمعتزلة بأنّ آلحوادث كانتْ لها دورٌ في هذا آلأمر حتّى قال أحدهم :
[ألقرآن منبعٌ ثقافي مثلهُ كآلرّواية و ديوان آلشعر].

و قد ردّ ألأشاعرة و آلماتريدية و آلأثنا عشرية هذا آلمنطق ألذي يُفترض صدقهُ .. جهل الله تعالى عمّا يصفون بما يكون من شأن عباده.

إنّ آلغرض ألمكنون من وراء كلّ ذلك هو سوء آلنيّة, لأنّ إفتراض (خلق ألقرآن) يعني عدم ثبات أحكامه و بآلتالي عدم وجوبها و لزومها و تطبيقها من قبل البشر .. بمعنى لا حلال و لا حرام و لا أحكام شرعية مطلقة و ثابتة بهذا المنطلق و التعريف المغرض, و لو قلت بأن القرآن مخلوق فهو كسائر مخلوقات آلله تعالى .. ربّما يخطئ و يصيب و...إلخ؛ و بآلتالي ألقول بإعجاز القرآن يكون غير واقعياً, لأنّ آلمخلوقات فاقدة لآليات ألأعجاز.

هذا آلنمط ألأخلاقي ألّذي تبنّته ألحكومة الأمويّة كسياسة عامة إلى جانب نظرية المرجئة أي (التفويض الألهي)؛ قد مهّدَتْ لسُبل ألتّسلط على آلنّاس عبر آلتلاعب بأصل آلفكر ألأسلاميّ لأبعاد ألأمّة عن آلأخلاق و سلب إرادتهم لإحكام قبضتهم على آلسلطة عبر ضرب ألأسس ألأخلاقيّة الثابتة من آلجذور مُعتمدين بذلك على نصوص ألمعتزلة في نفي صفات ألذات ألألهية حيث أبطلوا أن تُشاركه في آلقدم, بل مستحدث, و من هذا آلنفي إعتبروا آلقرآن مخلوقاً .. أيّ مُحدثاً و بآلتالي غير ملزمين بإتباعه كما ورد!

و هكذا تزامنتْ محنة ألأخلاق مع محنة خلق القرآن مع إدراج نظرية المرجئة التفويضية بتأريخ 218هـ / 833م بشكلٍ رسميّ و شرعيّ, و كانت بداية خلافة ألمأمون ألعباسي ألمؤشر ألأوضح ألذي حاول من بعدهم خلال ترويج تلك آلنّظرية؛ من إثبات سيطرته على آلسّلطة ألدّينية و آلقانونية و السياسية معاً على آلمدى ألفقهي و آلثّقافي, و كانتْ تلك آلمحنة أيضاً من أبرز أسباب فرض ولاية ألعهد على الأمام آلرضا(ع) و هو الوصي الثامن من أوصياء رسول الله بآلحق و الأمام ألسلطان في سلسلة ألخلفاء ألأثني عشر ألصالحين من بعد آلرّسول(ص) و كلهم من قريش.

فآلجذور الفكرية و النظريات الفلسفية في علم الكلام كانت لها الأثر الأكبر في رسم الأخلاق و السياسات المختلفة, والتي إمتدت ليومنا هذا .. خصوصاً نظريات الجبر و التفويض للمعتزلة و الاشاعرة, و قد تحدثنا عنها في كتب و موضوعات سابقة, و سنشير إلى البعض من تلك الجذور التي ظهرت أثناء خلافة الأمام علي(ع) و إستغلها الحكام الأمويون ثم العباسيون فآلعثمانيين و إلى يومنا هذا .. حيث إنبثقت منها نظرية الدولة الميكيافيلية و غيرها كثير من المسمّيات الوضعية ..

**151.....**

**و من أبرز المخاطر التي تسببت بها الفرق الكلاميّة و من بعدهم الأحزاب المختلفة المتسمية بعناوين و لافتات متباينة؛ هي تشويه الأخلاق و جعلها بلا أهميّة .. و السبب هو أن الأنسان حين يفقد أخلاقه و قيمه لا تبقى للحياة و للكرامة عنده قيمة فيفقد شرفه و حريته و إختياره, مما يسهل على الحاكمين و قيادات الأحزاب التلاعب به و تسخيره بحسب خططهم و أهدافهم التي تتركز على تنمية مصالحهم و بناء شركاتهم و توسيع رقعة السيطرة على الأرض و حتى الكواكب المحيطة بها.**

**و لعل هذا الأمر – أمر ممانعة الناس و عزوفهم عن القراءة و المطالعة و كسب الثقافة و تحليل القضايا و الهدف النهائي منها .. بسبب أفكار و ثقافة القيادات الحزبية و العشائرية و التسلطية و الدكتاتورية – التي مانعت و تمانع عرض الحقائق و المعارف أمام الملأ و بآلتالي تتسبّب بمحو الأخلاق و الكرامة و القيم!**

**هذا هو السبب الأول في فشل رسالات السماء في تحقيق العدالة على الأرض, حيث تمادوا حتى في قتل المصلحين و الأئمة و الأنبياء و الأوصياء و الشهداء .. و الذين بلغ عددهم مئات الآلاف بل ملايين الشهداء إلى يومنا هذا, و تلك الحقيقة – أيّ محاصرة و قتل المصلحين و الفلاسفة مع عوائلهم – ما زالت قائمة, حتى تكاد لا تجد مكاناً لفيلسوف أو عارف حكيم في بلاد العالم حتى الأسلامية منها, لأن المغرضين من الأنظمة و الحكام و أصحاب الشركات و المصالح لا يرتاحون لهم لكونهم يتسبّبون في نهاية المطاف بعد نشر الوعي و المعرفة و الحقّ ؛ إلى مطالبة الناس بحقوقهم و كرامتهم, و هذا ما لا يريد الحكام تطبيقه, بل يحاولون العكس من ذلك ليستمر فسادهم!**

**خلاصة الكلام : ألثقافة هي القوّة الكونيّة الوحيدة التي تحقق الحرية و الأختيار و السعادة للناس .. و هي التي تحدّد مصير المجتمعات ؛ خيراً إن كانت(المجتمعات) مثقفة و واعية .. و شرّاً إن كانت(المجتمعات) جاهلة و غبيّة, و كما هي حالها اليوم في بلاد العالم!**

**و بآلتالي الحكمة الكونية تقول :**
**[لا يُستعْبَد شعب يقرأ]!**

**و الرسالة الإسلامية؛ هي الرائدة في مسألة حثّ الناس على العلم و الثقافة و التفقه في أمور الدّنيا, و إن أوّل آية نزلت كانت بهذا الشأن و بكل وضوح و بلا تعقيد أو دوران أو تفسير, قوله تعالى: [إقرأ ...] , لأن المعرفة هي السبيل للفلاح و السعادة و العارف بزمانه لا تهجم عليه اللوابس.**

**لذلك – يعني بسبب التأكيد على الثقافة و العلم و التطور - كانت و لا تزال آلحضارة الإسلامية هي أكبر حضارة عرفتها البشرية, إنتقلت و تفاعلت و تطورات و طورت العالم و يعود الفضل في التطور التقني و التكنولوجي الحاصل اليوم إلى ذلك الكشف العظيم للأرقام الحسابية على أساس الزوايا الهندسية!**

**فما هي قصة ألأرقام آلأسلاميّة على أساس الهندسة البشرية!؟**
**في الحقيقة رغم إني ذكرت (مسألة الأرقام) في كتاب سابق بعنوان: [أسفارُ في أسرار آلوجود ج3 – ح7], إلا أنه من المناسب جداً بيانه و توضيحه هنا لأنها مسألة ترتبط بكل العلوم و الثقافة و التطور و بعصر ما**

**152.....**

**بعد المعلومات, و إلى آخر الزمان وهي :**

**أولاً : مسألة ألأرقام آلعربية – التي يستخدمها العالم و الغرب أليوم بشكل خاص و كذلك الدول ألعربية و الأسلامية – هي في الأساس من نتاج بحوث ألعالم الأسلامي ألخوارزمي و البتاني , حيث إن الغرب, أي (اليونان القديم) لم يكن يعرف سوى رسم آلخطوط في آلحساب, أو عند تعداد كميات معينة, هذا كان مستخدماً إلى ما قبل النهضة الأوربية بستة قرون .. لكن علماء المسلمين إبتكروا طريقة هندسية حدّدت بموجبها آلأعداد ألمستخدمة آليوم في بلاد الغرب و الشرق عندما تمّ إستخدامها بدل الأرقام(الخطوط) اللاتينية آلقديمة .. حيث أعتمد علماء المسلمين – أكرّر علماء المسلمين - لكلّ عددٍ من الأعداد المعروفة؛ 1و2و3و4و5و6و7و8و9و10 زاوية هندسية تعطي قيمة الرّقم, فمثلاً رقم واحد يتحدّدَ بزاوية واحدة إنحصرت بين خط الرأس و بين آلعمود, و الرّقم 2 عبارة عن زاويتين متجاورتين متعاكستين و الرقم 3 عبارة عن ثلاثة زوايا, زاويتان منها بإتجاه واحد في آلأعلى و آلأسفل و آلزاوية آلثالثة في الوسط بعكس إتجاه الزاويتين كما هو واضح من الشكل و رقم 4 يحتوي على اربعة زوايا كما هو واضح و هكذا.**

**و للمزيد يمكن مراجعة المصادر العلمية العديدة بشأن ذلك, أما الأرقام العربية ألحاليّة فهي أرقام هنديّة إستبدلها المغول بعد حملتهم على البلاد العربية بدل الأرقام العربية – ألأنكليزية الحالية – كما إن بلاد المغرب و تونس و الجزائر و ليبيا لم تُغير تلك الأرقام لأن حملة التتار و المغول لم تصلهم حيث توقفت في مصر كما يعلم الجميع و لذلك ما زالت تستخدم آلأرقام العربية - ألأنكليزية, و تجدّر آلأشارة إلى أنّ أساس العلوم الحديثة بما فيها الكومبيوتر نفسه تعتمد على تلك الزوايا و آلارقام بالخصوص رقم واحد و صفر – ألدائري – كأساس في ألـ "باينر" هذه واحدة من الأكتشافات آلكبيرة و العملاقة و التي تكفي لأنّ يكون للمسلمين الذين تنوروا بآلقرآن و بفكر أئمة أهل البيت(ع) - تكفي لأن تكون مفخرة عظيمة لهم حتى زوال الدّنيا إلى جانب إكتشاف العدسات و فنون الطب و الفلك و غيرها, و نكتفي بهذا الاستدلال العلمي على دور و مكانة الحضارة الاسلاميّة في تقدّم البشرية و رقيّها, كما إن علماء المسلمين غير العرب لم يكونوا علماءَ إلا بعد إسلامهم!**

**فمن قبل كانوا مجرّد طلبة علوم أو أناس عاديين لم يذكر التأريخ أنهم كانوا قد إخترعوا شيئاً سواءاً من الأيرانيين أو غيرهمً, و حتى لو كانوا علماء قبل إعتناقهم للأسلام فهذا لا يُقلل من شأن الأسلام بل بالعكس يُدلل على إنّ الأسلام دين لا يتقبله و لا يعتنقه إلا آلعلماء قبل غيرهم!**

**كما إن ترجمة كتب أفلاطون و سقراط و أبيقراط و غيرهم ليست منقصةٌ! بل إستفاد منها المسلمون حيث لا تزال حوزة النّجف في العراق تعتمد ألمنهج آلسقراطيّ في آلمنطق كأساس لدراستاتهم ألعلميّة, بل أن علماء آلمسلمين إستحدثوا (علم الكلام) مقابل (آلفلسفة) .. أو بالأحرى كتعبير عن (الفلسفة الأسلامية) للدلالة على قدرة الفكر الأسلامي و إصالته, حيث تسمى في اليونانية بـ "ألأوثولوجيا", و هذا الأقتباس علامة إيجابية على تفاعل علماء المسلمين مع الحضارات الأخرى و إستيعابهم لها بل و التأثير فيها إيجابياً, و تعتبر منقبةٌ و ميزةٌ و حسنةٌ و شارةٌ على إستيعابهم و قدرتهم على تعلم و هضم كل العلوم ألقديمة و الحديثة و النتاج آلأنساني في كل عصر و مصر و آلحضارة في الحقيقة لا تنسب لشخص معين أو لجماعة معينة أو حتى لدولة دون أخرى, لكن المسلمين عرفوا حقاً حضارة علمية وفكرية إمتدت من القرن الثامن الميلادي إلى غاية القرن الخامس عشر وكان أوجها العلمي الأكبر - أو ما يُسمّى بالعصر**

الذهبي الإسلامي الحقيقي بين القرن (ألتاسع و القرن الثاني عشر)، و ما زالت تلك الحقبة تبزغ بنور فكرها الى اليوم خصوصاً في الميادين الفكريّة و الفلسفية(علم الكلام) التي ازدهرت خاصة في الفترة العباسيّة حيث عرّفت الحضارة الاسلامية حريّة فكرية كبيرة جداً و إحترام الرأي و الرأي الآخر, و ساهمت في تخريج العديد من الفلاسفة و المفكرين و العلماء و المبدعين و الناقدين، حيث كان الفلاسفة يتناولون مواضيع هامّة كالدّين و اللغة و الشعر و الجنس و الموت بطريقة منطقية و كانوا يتجادلون حولها بكل أنفتاح دون ضغط ممارس ضدّهم من طرف السلطة العامة بإستثناء الموالين لنهج أهل البيت (ع) حيث كان الخصام مستمراً حتى خلافة عمر بن العزيز(رض), و كانت المعاكسات تحدث أحياناً أو تجد بعض المعارضة من حُراس البلاط أو المقدس و لكنهم لم يَجرّوا وراءهم آلشعوب نحو نبذ المفكرين مثلما هو الحال اليوم بل كان للمفكرين دورهم الرّيادي في قيادة الأمّة الإسلاميّة بغض النظر عن فكرهم أو دينهم أو إيمانهم .

ولكن ما يجب أن يعرفه المسلمون و غيرهم؛ أنّ الحضارة لم تكن إختراعاً أو إسلامياً و لا العلم كذلك، لأن آلعلوم والحضارة تنتقل بين الأمم بفعل التناسخ و التناقل، فكلّ حضارة هي قاعدة للحضارة الأخرى, فالأكيد أن المسلمين لو لم يجدوا قاعدة فلسفية و فكرية فيما وصل إليهم من علوم الأمم التي غزوها والتي يتاجرون معها وكذلك كتب الفلاسفة الإغريق لما وصلوا هم كذلك لتشييد الحضارة الإسلامية, خصوصا و قد صرّح الرسول الخاتم(ص)؛ [إطلبوا العلم و لو كان في الصّين], بمعنى الحضارة لا تتكامل لوحدها من قبل شعب أو أمة لوحدها؛ بل لا بدّ من تزاوج أفكار و رؤى و نظريات الآخرين مع بعضها البعض, ليكون الناتج جيداً و هاماً .

فعندما نلقي نظرة للعلم فلا نجده اختراعاً اسلامياً محضاً مثلما يروج له في العالم الاسلامي اليوم فقد سبقت حضارة ما بين النهرين (ميزوبوتاميا) في العراق جميع الرسالات السماوية تقريباً, حيث شهدت بلاد ما بين النهرين قبل أكثر من 8 آلاف عام ولادة القانون و العلمانيّة و الكتابة معاً قبل ، وحضارة الفراعنة في مصر التي ما زالت تحيرالعلماء اليوم قبل أكثر من ستة و جميعها سبقت الاسلام، فمن تطور الطب لدى الصينين الى تطور العمران لدى البيزنطيين و الرومان الذين شيدوا أطول الطرق، وحضارة المدينة لدى البابليون ثم لدى اليونانيين حيث أسسوا حتى النظام الديمقراطيّ و الأنتخابات قبل آلاف السنين .

و هكذا إرتكزت الحضارة الاسلاميّة على الحضارات الاخرى و إكتسبت حضارتها عن طريق الترجمة أو الأتصال المباشر من قبل التجار و المستغربين أو الاحتلال المباشر، فهذا ابن رشد الذي يشرح و يقوم بترجمة كتب أرسطو الذي كان مولوعاً به حتى سُمّي بالشارح، و انتشرت الموسيقى و الموشحات الاندلسيّة و الحرية الدّينية و الفنون المختلفة، فنجد المسيحيين واليهود والصابئة واليزيديين والملحدين وغيرهم يعيشون بسلام وبتساوي الحقوق مع المسلمين في العراق إلى اليوم، و الحرية الجنسية التي كانت تزين الحضارة فنجد شعر و قصائد الغلمانيات و المساواة و كانت المرأة تلعب دورها في تنمية الحضارة حيث كان أغلب المسلمين والمسلمات و من يعيش معهم من القوميات الأخرى يجيدون الكتابة والقراءة مما جعل عملية التثقيف سهلة جداً لدى المفكرين و المثقفين آنذاك و بلغ سيل المعارف في المجتمع الاسلامي فيضاً على رؤوس المسلمين فتعمقوا في الفلك و السيمياء و الكيمياء و الجفر و ترجموا روائع الأدب الفارسيّ و تراثهم وعلى رأسها (ألف ليلة و ليلة) و أخذوا الاقواس في الهندسة عن البيزنطيين فأدخلوها في المساجد و في ابواب المنازل و تطورت الالبسة بما يتماشى مع الزخم الثقافي الذي عرفته الأمّة

**الإسلامية, لكن هذا كلّه قد لا يعدل الأكتشاف العظيم الذي يخص الأرقام العربية عبر الزوايا الهندسية و لا ضير في ذلك, بيد أن القرآن آلكريم قد ورد فيه مبادئ كبيرة و كثيرة حول الأستدلال و المنطق و الفلسفة و العلوم و آلفنون و هذا ما طرحه المفكرون المعاصرون أمثال ألفيلسوف على شريعتي و الأمام الراحل و الفيلسوف الصدر الأوّل و آلمطهري و غيرهم حتى من علماء الغرب, حيث لم يكن بإستطاعة العلماء السابقين في آلصدر آلأول من الاسلام من إستنباط ذلك, كما أنّ نهج البلاغة و آلحكمة و روايات أهل البيت(ع) فيها إشارات و حتى نظريات و دراسات عديدة لقواعد الرياضيات و الجبر و الكهرباء و الفلك بجانب العلوم الأدبية و الأخلاقية و العرفانية و آلأصولية, و لا مجال لبحثها هنا.**

**إن قرأءة المعجزات ليست كقراءة قوانين الكهرباء أو الذرة ألبسيطة, حيث لا تحتاج سوى إلى إستخدام رقم 1 و 0 ألتي يعود الفضل في كشفها إلى علماء المسلمين كما أشرنا و ليس للغرب فيها فضل أو دور بل العكس كانوا متخلفين في هذا المجال الأهمّ, و كذا بعض المعادلات الرياضية و الفيزيائية لتصل إلمطلوب بسهولة و يسر.**

**و هكذا علينا أيضاً التفريق بين مسألة الحضارة و المدنية, فهناك فرق كبير بينهما كما ألمحنا سابقاً, فالحضارة تشمل مجمل الأتجاهات الثقافية و الأدبيّة و الفنيّة و العقائدية و النظريّات العلميّة؛**
**أما (آلمَدنيّة) فإنها تشمل آلمواد و آلآلات و البنايات و آلتكنولوجيا و إعمار المدن, و لذلك قد يمكنك آلقول بأن الغرب تقدمت في مجالات المدنيّة .. لكن ليس بالضرورة أنها تقدمت في المجالات الأجتماعية و الحضاريّة الأخرى كالعفة و الشرف و الأستقامة و الأدب و الأخلاق و العلاقات الزوجية و العائلية.**

**أمّا تخلّف العرب عموماً فهو حقيقة لا يمكن نكرانها و له جذور بدأتْ من "السقيفة" للتآمر على آل البيت(ع) و سحب البساط من تحت أرجل الأمام علي(ع) لإبعاده عن الخلافة, و أقولها بإختصار لو كان "الغدير" قد وقع لما إختلف سيفان في الأسلام, و لكان وضع آلمسلمين بغير ما هم عليه الآن من التشتت و التخلف و الجوع و تسلط الأحزاب و العملاء و الحكام المجرمين عليه.**

**و لا بأس على المعنيين بأن يُراجعوا قرار الأمم المتحدة ألصادر عام 2002م حول إنتخاب حكومة الأمام علي ألأسلامية كأفضل حكومة عادلة و نموذجيّة منذ بداية التأريخ و حتى يومنا هذا للأقتداء به, للتفاصيل: راجعوا كتابنا الموسوم بـ [مستقبلنا بين الدِّين و الدِّيمقراطيّة] الفصل الأول و الفصل السّابع و الثامن, و أظنها كافية لتعطيك بُعداً و أفقاً جديداً في نظرتك لجوهر آلحضارة الأسلاميّة الحقيقيّة التي تتمثّل بخط أهل البيت(ع) .. لا بخط أهل الغدر و النفاق و القسوة و الشدة و الذبح و الأرهاب آلذي مثّله الوهابيون و الطالبانيين و الزرقاويين و أجدادهم من قبل.**

**و ستبقى الحضارة الأسلاميّة رغم كلّ المآسي آلتي أحاطت بها بسبب أبناء الطلقاء و السقيفة و الإستكبار ؛ ستبقى بقيادة نهج أهل البيت (ع) و آلمرجعية الدّينيّة العليا إلى جانب الفلاسفة و الحكماء ستبقى أعظم و أكبر حضارة عرفتها البشريّة على الأطلاق و بإعتراف أهل العلم و الأختصاص, و هيئة الأمم المتحدة و الدولة الأسلاميّة خير شاهد على ذلك.**
**كل ذلك الأنجاز و التقدم و الصمود؛ إنما تحقق لأن قوم سلمان المحمدي و المسلمون يقرؤون و يقرؤون و لا يشبعون لأنها منهومة لا يشبع منه, لأنهم يطمعون في وصول القمة في يوم ما و إن وعد الله آت!**

**و القراءة بآلمناسبة و كما كتبنا على أول صفحة في هذا الكتاب رغم أهميّتها كما قدّمنا ؛ إلّا أنها تُمثّل المرتبة الأولى في صرح الفلسفة الكونيّة للتألق و الفوز بآلسعادة في هذا الوجود, فهناك سبعة مراتب على الأنسان العاقل – الهادف في وجوده .. عبورها بكفاءة للوصول إلى شاطئ الأمان, و المراتب هي:**

**قارئ – مثقف – كاتب – مفكّر – فيلسوف – فيلسوف كونيّ – عارف حكيم**

**فتأمل نفسك أيها القارئ العزيز في أية مرحلة أنت الآن .. لأننا نعلم بأنّ أكثر الناس يعيشونَ خارج تلك المراتب الكونيّة للأسف؛ بل معظمهم لا يعرفونّها , و لا يعرفون حتى دور القراءة و المطالعة و هذا لا يختصر على الأميين الأبجديين و في بلادنا فقط؛ بل يشمل حتى الذين حصلوا على شهادات علمية مختلفة في مجال الطب أو الهندسة و القانون و غيرها و في كل البلاد .. و للأسف الشديد.**

و هي

157.....

# محنة الرسالات السماوية

## محنة الرسالات السماوية :

بإعتقاد إن أكبر محنة واجهت البشرية منذ وجودها و للآن ؛ هي محنة الأنبياء و المرسلين و بعدهم الفلاسفة .. الذين كانت رسالاتهم لأنقاذ البشر و الخلق من الظلم و الضلال .. و التيه !

فكان الحكام و الأنظمة على طول الخط و كما أشرنا تحاول حجب الثقافة و الفكر الأصيل خصوصا الكوني عن الناس لسهولة قيادتهم بآلاتجاه الخاطئ لصيد ما تمكن من صيده من حقوق الناس عموماً ..

و لعل هذا الأمر – أمر ممانعة الناس و عزوفهم عن القراءة و المطالعة و كسب الثقافة السبب في ذلك يرجع لأفكار و ثقافة الحكومات و القيادات الحزبية و العشائرية و التسلطية و الدكتاتورية – التي تمانع عرض الحقائق المعارف أمام الملأ لتسليحهم بآلمعارف و بآلتالي تتسبب بمحو الأخلاق و الكرامة و القيم؛ هذا هو السبب الأول في فشل رسالات السماء في تحقيق العدالة على الأرض, بل و قتل المصلحين و الأنبياء و الأوصياء .. و الذين بلغ عددهم بمئات الآلاف, و تلك الحقيقة – أي قتل المصلحين و الفلسفة – ما زالت قائمة, بحيث تكاد لا تجد فيلسوفا في بلاد العالم, لأن المغرضين من الحكام و أصحاب الحكم و السلطة لا يرتاحون لهم لكونهم يتسببون في نهاية المطاف بعد نشر المعرفة و الحقّ ؛ إلى مطالبة الناس بحقوقهم و كرامتهم منهم, و هذا ما لا يريد الحكام تطبيقه .. بل يحاولون العكس من ذلك !!

## تأثير ألجذور الفلسفية(الكلامية) على آلنّظريات ألأخْلاقيّة و حتى السياسية :

ذَهَبَ بعض آلفلاسفة أمثال "جان بول سارتر" و "إنجلز" من أنّ آلمشروعيّة ألأخلاقية جهة يطغى عليها آلطابع ألنسبي و آلألتزام بها يُعتبر أمراُ مُخالفاً لمتطلبات ألواقع, فآلمنظومة ألأجتماعية ألأخلاقية في دول أمريكا آلجنوبية تختلف عن منظومة ألمجتمع ألأوربي, و من هنا لا تكمن أيّة ضرورة في بناء ألنفس ألأخلاقي!

أمّا "عمانوئيل كانت" فقد قدّم مفهوماً سامياً لذلك, حيث آمن بأن الأخلاق صفة .. تكوينها يُوجب العمل دون تفضل, و هذا ما يطلق عليه بمفهوم الواجب, فأنّ عمل الخير عند "كانت" واجب على آلنفس و ليس تفضلاً منها, و على الأنسان أن يتّسم بهذه الصفة كموضوع ذاتي يُرافق آلنفس اينما حلّتْ, كما يرى "كانت" أن آلتفاخر بآلعمل ألأخلاقي ليس من آلأخلاق, و قد لاقت هذه النظرية إستخفافاً من جانب الأطراف العلمانية, حيث إتّهم البعض هذه النظرية بأنّها مثالية النزعة و تمثل ألأتجاه الديني المسيحي في بعض جوانبه, و يرى آخرون إستحالة تطبيق هذا المشروع ألنفسي لعدم إتفاقه مع الواقع الموضوعي, ما دامت النسبية تحيط بهذا الجانب.

إنّ رفض القيم الأخلاقية العامة للكثير من المتبنيات السياسية ألمرتبطة بآلتوجه الليبرالي العلماني بآلأضافة إلى الفلسفة الألحادية, لذلك فأن المفهوم الأخلاقي يقف بوجه الكثير من النظريات الفلسفية الخاطئة كآلمذهب ألتجريبي و الحسي بآلأضافة إلى الوجودي, ذلك أنّ المتبنيات السياسية نتاج للأفكار الفلسفية!

**159.....**

**يقول "جان بول سارتر" في كتابه (ألوجودية ص60) في معرض جوابه لسؤآل أحد مريديه :**
**[أنتَ حرّ في الأختيار فإختر بنفسك, أن أية نظرية أخلاقية شاملة لا تستطيع ان تهديك لعدم وجود علائم و بشائر في الحياة توضح الطريق إلى سواء السبيل]!**

**و هذا التصريح ألذي أقرّه سارتر يصور مدى التنافي العلمي بين نظريته ألوجودية و المفهوم ألأخلاقي, فتجريد الحياة من هذا المحتوى ليس إلا دعماً لشريعة الغاب إلّا أنّه لم يجدْ سبيلاً ثانياً للأخذ به كبديل عن هذا آلأتجاه, و لو إعتقد سارتر ببعض ألمفاهيم ألأخلاقية لأنهارتْ نظريته ألوجودية برمتها كونها تنطلق من الجانب الأحادي للانسان و لا تؤمن بآلمبدء ألتعميمي ألشامل, لذلك كتب يقول كما جاء في كتاب (الوجودية صفحة89) :**

**[ألوجودية ليست إلا جهداً لأعتماد ألألحاد مبدءاً ننطلق منه لنخلص إلى جميع النتائج ألممكنة].**

**إن تعارض ألأتجاه ألفلسفيّ مع آلأخلاق يُجسّد ألدّعوى آلتي أطلقتها ألاتجاهات ماديّة في فهم آلحياة بطبيعة مخالفة للسياق ألمعتبر, و في آلواقع أنّ هناك خلافاً أعمق من آلذي أوردناه, و هو تنافي ألدّين مع آلمُتّجه ألفلسفيّ ألمطروح, فقد حاول آلبعض دحض ألمسألة ألدينيّة لدرجة وقوعه في آلمبالغة من خلال إنكار ألأخلاق, و هذا آلتصور مبني على أسس خاطئة, و هي تفهّم ألاخلاق من آلمنظور ألديني ألرّاديكالي و ليس آلأنساني!**

**فإقتران ألدِّين مع الأخلاق لا يعني فقدانها للحسّ ألأنساني .. و إرتباطها بآلمفاهيم و الطقوس الكنائسية, و دور ألرّهبان لا يعني تنقيصاً لشأنها و هكذا في بقية الأديان, بل إنّ آلعقل البشري يملك آلقابلية الكاملة في تهذيب آلنفس و ترويضها و تقبيح ألضرر و إختيار ألأصوب, فهناك ألكثير من القبائل المتخلفة ألتي تجهل ألفكر ألسّماوي و آلعقائد ألدينيّة و لكن أفرادها لا يقترفون ذنباً تجاه آلآخرين .. حتّى إنّ بعضهم يتخوّف من أنْ يطأ برجله أرض شخصٍ يكنّ لهُ الأحترام, و من هنا قد لا نرى أيّة تبعاتٍ يُمكن أنْ تتحمّلها ألمفاهيم ألأخلاقيّة جرّاء ألصراع ألسّياسي بين آلفكر و آلكنيسة!**

**يقول (نيتشه) في كتابه "فلسفة الأخلاق" ص184: [لقد فهمت أن أخلاق الشفقة ألسائدة و التي إستولتْ حتى على عقول الفلاسفة قد جعلتهم مرضى] , و أضاف ايضاً :**
**[ألشفقة خطيئة يجب تجنبها, و يكمن الخطر الأعظم في الشفقة].**

**قد يكون هذا الكلام خير تحصيل على فهم الخلاف السياسي بين المشروعية الدينية و فلسفة هذا الأخير, و انكار الشفقة التي تمثل الرحمة الانسانية و أسّ آلأساسات في تحقيق الآدميّة كما أسلفنا في الوجود الانساني – ما هو إلّا إفرازات الفكر العدائي ألمتحصل بين هذه الجهات, و من هنا لا يمكن لنا أن نعمل بهذه النظريات كونها غير مبنيّة على أساس علميّ صلب, لذا يُصَنّف كمُتّجه فلسفيّ أعلن المعارضة والرّفض لأسبابٍ سياسيةٍ.**

**و يمكننا تصنيف ألسّياسة ألغربية اليوم بكونها نتاج فلسفة "كانت" و "نيتشه" و ميكافيللي مضافاً له تقريرات المتأخرين أمثال "هيوم" و "فوكوياما" و "آدم سمث" و آلّتي جلّها منبثقة من آلمقدمات ألتي**

**160.....**

**جاء بها "شوبنهاور" و "أسبينوزا" أو بعض من سبقهم من آلفلاسفة آلأغريق كأرضيّة لفلسفة "نيتشه" و أمثاله!**

**أن تأكيد "كانت" على أن ما يكون مقبولا أخلاقياً هو ما يكون مقبولا للجميع؛ هو زيف و خطأ؛ لأنّه بآلنسبة لنيتشه, لا يمكن أن تُوجد أخلاق مطلقة إلّا إذا كان البشر من طبيعة واحدة, و هذا شيئ غير صحيح!**

**و الحقيقة أنه وراء الأمر المطلق تختبئي في نظر نيتشه "ديكتاتورية أخلاقية" و تختبئي رغبة "كانت" في تحويل البشر إلى قطيع و تدجينهم ضمن الاوامر المطلقة المتبعة في الانظمة العسكريةو و "كانت" لا يبحث من خلاله إلا على ممارسة قوته و خياله المبدع على حساب ألنظرية الاخلاقية النسبية و التي سنبيّها تفصيلاً بعد تقديم شرح للرقابة الغيبية و دوره في إحياء الانسان و تقويم علاقاته السياسية و الأخلاقية.**

161.....

**162.....**

**دور ألرّقابة ألغيبيّة في تقويم ألعلاقات آلسّياسية و آلأخلاقية :**

**دور ألرّقابة ألغيبيّة في تقويم ألعلاقات آلسّياسية و آلأخلاقية :**

**تكلمنا تفصيلا عن علاقة السياسة و الاخلاق في كتابنا الموسوم بـ : [ألسياسة و الأخلاق؛ مَنْ يحكمُ مَنْ].**

**ألأخلاق قاعدة حصينة و معيار لمعرفة و تقيم المجتمعات و حمايتها من آلأنهيار و آلتّصحر ألفكري و آلثقافي كما أشرنا لذلك سابقاً , كونها تُمثّل ألرّكيزة ألصّلبة ألتي تقف عليها إدارة ألمجتمع و كيانه في جميع مجالاته, و لا يمكن لهذا آلأخير أن يتزود بآلفكر ألأنسانيّ التقدميّ دون مراعاة ألتّشريعات الأخلاقيّة؛ سواءاً كانت سماويّة أو أرضيّة, لذلك فانّ آلتّقدم ألأجتماعيّ من آلناحيّة ألأخلاقيّة يضمن سلامة ألمسيرة نحو آلوصول إلى مواجهة مُتطلبات ألواقع, فآلمجتمع بطبيعته مُتعرّض للتغيّر من خلال طرق عدّة؛ أشدّها وطأةً؛ ألأرتكاس و آلأنتكاس, و آلأخلاق تُمثل ألذخيرة ألذهنية لمعالجة القضايا و آلمحن ألطارئة, و فيما لو إنعدمتْ ألأخلاق فلا يُمكن لأيّ مجتمع أن يُعالج أيّة أخطار أو محنٍ قد يُواجهها.**

**ففي زمن ألنظام ألبائد شاعت كلّ آلوسائل ألّلاأخلاقية وسط الأمة, و قد لاحظنا إمتدادات تلك الأنحرافات العميقة حتى بعد عام 2003م و كيف أنها إتّخذتْ مجراها بعد ما حلّتْ ألفوضى و آلانفلات ألأمني بسبب تصارع ألقوى آلسّياسية على كراسي الحكم بعيداً عن المثل الاخلاقية التي لم يبق منها شيئاً حتى أسمائها, ليصل الأمر بآلأمة لئن تتحكم بآلقوانين العشائرية بدل الأسلامية و كأننا رجعنا إلى زمن الجاهلية الأولى, لتكون آلية رخيصة لكسب المال الحرام ألسهل المنال و التي أصبحت صفة عامة لعموم الشعب العراقي, و آلغريب أنّ آلسّلطات ألحكوميّة و الكيانات الأجتماعية هي آلتي شجّعت بدورها على ذلك أيضاً لكونها إمتدادات للثقافة آلعشائرية في المجتمع العربي عموماً و ليس العراقي فقط!**

**و تجذر ألاشارة إلى عدم جدوى و فاعلية الأحكام ألفقهيّة الجافة و آلتي تتلخص بـ (العبادات و المعاملات) في تعميم و نشر المبادئ ألإسلاميّة, حيث بقى الفقه النجفي المتحجر عاجزاً أمام تطورات الواقع و على جواب أسئلة ألشارع العراقي و حتى آلأسلامي ناهيك عن المجتمع الأنساني .. ممّا ولّد فراغاً كبيراً إسْتغله آلأعداء فأوقعوا خسائر كبيرة في الأمة على جميع آلمستويات خصوصاً في الجانب الأخلاقي بل وصل الأمر لأن يتّهموا الفكر الأسلامي بآلأرهاب و التخلف و الفساد, و قد إمتدت أخطار تلك الأمراض إلى ما بعد 2003م, فآلأحكام ألفقهية باتتْ لا تتناسب مع أوضاع العصر الحديث .. هكذا تيّقن أكثر الناس, كذلك كان لفقدانها – أي الأحكام العبادية المجردة – للبعد العرفاني و عدم تناغمها مع روح العصر و تطور الفكر الأنساني أكبر الأكثر في تحجيم الأسلام و حشره في أروقة الحوزة التقليدية!**

**من هنا يبرز أهمية و دور ألعامل الغيبي بمخافة الله تعالى و مشروعيّة القوانين السّماوية في نشر العدالة, حيث إنّ تناول الجهة ألأخلاقية كمشروع بناء للذات لا يحمل ألأداة ألكافية للقضاء على الدوافع الشاذة ما لم يتم تفعيل الضمير الغيبي ألذي ينبع من خشية الجزاء ألألهي للعمل السيئ لانه يمثل ألارادة الفكرية ألتي ترافق الأنسان و تجنبه الوقوع في الأزمات, و يتلخص هذا الأخير من خلال كلمتين؛ إفعل و لا تفعل, بمعنى النهي و الارشاد!**

**إن المنظومة الالهية تجسد أرقى أداة لتحصيل القيم ألانسانيّة كونها حياديّة ألمنهج و تنطلق من مبادئ**

**164.....**

**سامية, و معرفة أولية متكاملة خاضعة لسلطة الخالق, لا سلطة ألأنسان, و من خلال هذه الأطروحة نكون قد رفعنا الشبهة الفلسفية ألمتعلقة بآلنسبيّة ألأخلاقية ضمن حدود شرعية مقبولة لا تخرجنا من دائرة المحذور, و في ذات الوقت تخلصنا من الشوائب الوضعيّة ألتي تحول دون الوصول إلى تحقيق المعايير المطلقة ألثبوتية في الأخلاق.**

## 165.....
## سايكولوجيا ألمعايير ألنسبيّة و آلمطلقة في آلسياسة و آلأخلاق :

إنّ بحث ألمعايير ألمتعلقة بما يجب أنْ نفعله و ألّا نفعله؛ يُسمّى بفلسفة الأخلاق, تلك آلمعايير إذْ تُحدّد و تُقوّم تصرّفنا كقوى فاعلة تتّخذ لا محالة شكل علمٍ معياري, و لا بد لفلسفة ألأخلاق كذلك من أن تدرس ما يمكن أن تفعله لتلبية مطالب الألتزام, أي أنها معنية أساساً بآلمسؤولية ألأنسانية و ليست المسؤولية بتبسيط العبارة نتيجة للحرية, بل آلعكس؛ فأن يكون المرء مسؤولاً عن الآخرين و عن نفسه هو المعيار الأساس لما ندعوهُ بـ "الحرية" بآلمعنى الأخلاقي!

إنّ أكبر تحدّيين تُواجههما فلسفة ألأخلاق أليوم هما :

تبني ألمعايير المطلقة في السياسة,

أو تبني ألمعايير ألنسبيّة فيها,

فآلأول :

يرتبط جذوره و كما أشرنا سابقاً بتقريرات ألمعتزلة أو قبلهم من الذين شذّوا عن آلمسلمين وعن ولاية ألأمام عليّ(ع) كخليفة من بعد الرسول(ص), و إعتقدوا بأنّ الصفات ألألهيّة حادثة و لذلك فهي غير مقدسة و هامة و قابلة للتّغيير و على هذا الأساس؛ فانّه لا قيم مطلقة في آلأخلاق تماماً, و أنما ذلك محاولة للتخلص من آلقيود و آلأملاآت ألّتي تُفرضها ألمعايير الأخلاقية و العبادية ألمطلقة تحت ولاية الصالحين من أئمة ألهُدى!

رغم أنّ البعض كما أشرنا فيما مضى يرون بأنّ فرض آلمعايير ألمطلقة من شأنه تحديد إنسانية آلأنسان وتحجيم عقله و صهره ضمن بوتقة واحدة .. و آلحال أنّ هذا بنظرهم يتناقض مع آلنزعة ألانسانيّة من شخص لآخر او كيان لآخر.

و آلثاني :

هو آلأساس ألذي يُمكن من خلاله تحديد ألمعايير المطلوبة عن طريق تفعيل العقل للتعامل مع الوقائع و الأحداث و المستجدات بحسب معطيات الواقع و متطلبات المرحلة للحفاظ على أصل النظام و مصالح الطبقة الحاكمة, و هذا آلمعيار ألفلسفي ألمتغيير في آلأخلاق يقترب كثيراً من آلمعايير ألأخلاقيّة ألميكافيلّية ألعلمانيّة ألمُتّبعة اليوم في الغرب و عموم العالم!

إنّ المعايير ألمطلقة هي المنطلق و آلأساس ألذي من خلاله يُمكننا آلتقدم بسلامة و أمان نحو تحقيق العدالة و آلمساواة في المجتمع لو آمنا بأن المبادئ ألأخلاقيّة ألثابتة أنّما تُؤدي إلى تعميم محاسن ألأخلاق و آلتي هي مُقدمة لتحقيق مكارم ألأخلاق, ذلك أن قضاياها ألأخلاقية صحيحة قطعياً و ابدياً و لا تسمح بإعادة ألنظر و تسويغها و التلاعب بها.

**166.....**

**قد يستشكل البعض على"ألمطلقية" بكونها هي آلسبب في نشأة ألنزاعات ألمأساوية و الكارثية, و يُعزّون جميع الحروب التدميرية و العالمية لها, و من أبرز أمثلتها ألثقافة ألأمبريالية و الأصولية السلفية ألمتحجرة؛**

**فآلاولى تؤمن بآلتفوقيّة ألأنسانية لشعب على بقية الشعوب ألتي لا يُمكن أن تصل في أية مرحلة تأريخية – كما لم تصل من قبل – إلى حالة التفوق, و هذا ما يُبيح ألسيطرة عليها و على ثرواتها, و هي أساساً آيدلوجيّة تُبرّر إخضاع الشعوب الاخرى و إستغلالها عبر تعريفها من جانب واحد بأنها و ثقافاتها بدائية أو همجية أو إرهابية و عليها واجب حمايتها أو تحريرها أو آلإنعام عليها.**

**و آلثانيّة تعتزّ بآلسّلف ألصالح و تعتبر الاسلام والقرآن حكراً لها دون بقية العالمين .. و هي الحالة الدوغماتية التي اوصلتهم شيئاً فشيئاً إلى تكفير المسلمين و قتلهم و التشنيع بهم! بيد أننا لو دققنا في الحركتين فأننا لا نرى فصلاً تاماً بين الدين والسياسة من كل الجانبين بسبب إختلاط الفهم و النوايا من قبل المتسلطين!**

**و قد لاحظ الكثيرون و منهم جاك دريدا في آلخطاب ألرسمي ألأمريكي و على الرغم من الفصل المبدئي للدين عن الدولة؛ تمسّكهُ الجوهري بآلكتاب المقدس في عبارات من قبيل؛ "فليبارك الرب أمريكا" و "فاعلي الشر" و "محور الشيطان" و "العدالة المطلقة" حتى وضعوا إسم الله على الدولار" بدل الله الخالق.**

**إنّها مثالٌ على الكامن العنيف للثقافة في آلقصد و التعليق على السواء و فيه تؤدي الثقافة وضيفتها بوصفها النذير و الاساس التصوري للحرب و العنف و الهيمنة ألأستعمارية, و هي تؤدي وضيفتها في محاولة إخفاء ابسط الاشكال ألأنانية ألجماعية و اقلها صقلاً.**

**إنّ آلمعايير النسبوية الأخلاقية شاعت بشكل كبير منذ النصف الثاني من القرن العشرين بأعمال الأنتربولوجيين ألذين ارادوا أن يُوازنوا كفّة الافتراضات ألأمبريالية ألمتعجرفة, رغم أن المصطلح من ذلك حيث ظهر"الفيلسوف "جون غروت (John Grote)أقدم**
**في كتابات 1865م, و إستخدمه هوسرل في كتابه؛ (الأبحاث ألمنطقية) سنة1900م**
**و الصحيح أيضاً كما أسلفنا بأن جذور النسبوية تعود إلى العصر الأموي و العباسي منذ بداية القرن الاول الهجري.**

**و يزعم أصحاب النسبوية بأنّه لا وجود لمعايير صحيحة مستقلة تُحدّد ما آلذي يجعل ألأعتقاد عقلياً و ما يُعدّ سبباً وجيهاً للأعتقاد بمعتقدٍ سيتفاوت من ثقافة إلى أخرى, و ليس هناك سبب موضوعي لأيثار أيّة مجموعة من آلمعايير بإستثناء (الفلسفة الكونية العزيزيّة) لأنها وضعت بآلأعتبار كل النتاج الفكري الأنسانيّ بآلأضافة إلى السماويّ(87).**

**و آلنسبويّة قائمة على أنّ كلّ ألمُمارسات ألخاصّة يجب أن تُفهم و تُقوّم ضمن سياق ثقافة ما, و هي تنكر محاولة ألحكم بشأن ثقافة بقيم ثقافة أخرى أو لترتيبها وفقاً لمخطط هرمي.**

و تنطوي أطروحة "ألنسبوي" ألثّقافي على قضيتين :

ألأولى: هي أنّ آلفروقات في آلانظمة ألقيّمة للنشر هي نتيجة لأختلاف آلشروط ألتاريخيّة لكل منها.

ألثانيـة: [إنّ قيم الفرد مستقّاة من الثقافة ألتي ينتمي إليها الفرد] بحسب "دريدا"(88).

و قد تتبدل مجموعة المعايير ألتي يعتقد بها حسب آلظروف, و مع ذلك فانّ النسبوية الأخلاقيّة, ترى أن كل ألآراء ألأخلاقية صحيحة بآلتساوي, حسب ريتشارد برانتد(89).

لقد أصبحتْ ألنسبوية أليوم فكرة سائغة جدّاً في الحياة الأجتماعية و آلسّياسيّة و آلثقافية ألعامة أيضاً, و أن مقدمتها المنطقية هي:

"كل شيئ نسبيّ".

فما تقول إنّه خيرٌ .. هو خير بآلنسبة لمفهومك للخير, و هو لا يُلزمني ولا حجة لها عليّ!

و ما تراه واجباً .. إنّما هو واجب حسب ثقافتك لا ثقافتي!

و ما كنت أراه سيئاً .. فقد كانَ سيئاً بآلنسبة إلى منظومة قيم لم أعد أعتقد بها آلآن, و هكذا!
و لا ترى أي شمول, فهي تنفي ألمطلق نفياً مُطلقاً.

فآلنسبويّة مطلقة Relativism تجعل ألنّسبة Relativity .
لكن آلنسبية تعترف بوجود المطلق, فسرعة الضوء كما تؤكد الفيزياء الحديثة مطلقة .. بمعنى أنها مستقلة و ثابتة و غير نسبيّة و غير مشروطة, و عموماً فإنّ المادّة في حركتها غير مشروطة و غير محددة بأي شرط و هي أبدية و غير قابلة للنفاذ, أيّ إنها مطلقة و كل الأجزاء النسبية هي جزء من كل, فهي بهذا المعنى تشتمل على عنصر المطلق؛ فما هو نسبي في سياق هو مطلق في سياق آخرو فأذا كنا نرفض المطلقة ألتي لا ترى نسبيتهُ الاشياء فأننا نرفض كذلك ألنسبويّة ألتي لا تُلاحظ أيّ شمول, و عندما أتحدث عن الأختلافات ألنسبيّة بين شخصين أحدهما عربي و الآخر صينيّ فيجب أن أكون واعياً للامور ألتي تجمعهما و تشملهما و هي إنسانيتهما ألمشتركة ؛ فكل تعريف للأنسان يشملهما, و كل ما هو من الانسان خصائصهما, و إن لم يكن لدى هذا الفهم من الشمول بآلأضافة إلى النسبيّة فأنا أُغالط.

و تتضح ألمغالطة ألنسبويّة في مواقف ألكثير من ساسة ألعالم ألثّالث و آلثّاني و حتى ألأول, حين يتحدّثون عن نوع نسبيّ من "الديمقراطية" ألمستمدة من سباقها التأريخي و آلثقافي بمعزل عن سياقات ألعالم, في حين يُمارسون نظاماً توتاليتارياً لا علاقة لهُ مطلقاً بأيّة سمة من سمات ألدّيمقراطية, و في خلفيّة ألمُجادلات ألمُتعلقة بشموليّة ألحقوق ألأنسانية بين البلدان الغربية و بلدان العالم الثاني تكمن المحاولة لإضفاء ألنسبوية على الثقافة ألسياسية للغرب ألذي نشأ منها تراث الحقوق الأنسانية ألحديثة, فهي بهذا المنظور ألنسبوي وليدة ظروف أوربية و لا مجال لتعميمها على جميع شعوب العالم, و اية محاولة من أي

شخص لنقد ألأنظمة و آلممارسات ألسياسية لبلد آخر تواجه لا محالة بتهمة التدخل في الشؤون ألداخلية لدولة ذات سيادة.

النسبويّة تُضللنا بمقدار ما تُضللنا المطلقيّة :

فآلأولى؛ لا يعترف بأن هناك مجالاً للتقاطع تتلاقى فيه الاتجاهات ألمختلفة من مختلف الثقافات و الحضارات, وهي لذلك ترفض مهمة الأسهام في تعايش الشعوب المختلفة, فآلنسبوية غير ممكنة إلا بآلنسبة للثقافات المنغلقة, و ينطلق اتباعها من فهم مجرد لمصطلح "السياق" وهم يعطون ألأنطباع بأن السياقات الحياتية المنفصلة زماناً ومكاناً ألتي يتحرك فيها الناس و يعملون من خلالها, إنما هي محكمة ألأغلاق على الخارج و متصفة في الداخل بآلتجانس الثقافي, و لكن هذا ليس صحيحاً أبداً! فكل سياق كان عل الدوام مرتبطاً بآلكثير من السياقات الاخرى بطرق عدّة و و اليوم يجب أن نتوقع حتى في السياقات الحياتية العامة عنصر آلتعددين الثقافية الذي يجعل البحث عن مجال التقاطع بين المعتقدات ألمشتركة إلزامياً.

يضيف "جوهان هالتوغ" رائد دراسات السلام؛ هشاشة ألنسبوية الثقافية بأنها: [ألميل إلى إتخاذ شكل التسامح ألسلبي], بدلاً من [المحاولات الفعالة للتعليم من الثقافات الأخرى](90).

على أن النسبوية داحضة ذاتها, و من أبرز المصاديق على ذلك .. ما قدّمه فرويدي و هو بريطاني أرثوذوكسي زعم؛

[أن كل الأحكم البشرية و حتى آلعقل نفسه ليست سوى إدراكات للاشعور, و هذه ألأقتناعات الدقيقة ظاهرياً التي يمتلكها الشخص ألذكي ما هي إلا نتائج محتومة للاسباب المدفونة في السميتويات اللاشعورية من نفسه].

ذلك الزعم يقضي على نفسه بوضوح لأنه إذا كانت كل الاحكام تحددها القوى اللاشعورية, و هذا يجعلها بمعنى من المعاني مشتبهاً بها, فلا بد من أن ينطبق هذا الزعم على احكام هذا الفرويدي نفسه.و من المصاديق الاخرى على التناقض الذاتي ألنسبوي ما قاله "ميشيل فوكو" تأييداً لها ضد الشمولية الأخلاقيّة, قوله: [أنّ البحث عن شكل أخلاقي من شأنه أنْ يكون مقبولاً من كلّ شخص بمعنى يخضع لهُ كلّ شخص؛ يبدو لي كارثياً].

و لكنه عندما جُوبِهَ بمسألة ألحقوق ألأنسانيّة و مطالبتها بآلمشروعيّة ألشّاملة ـ فأنّه بوصفه مثقفاً تقدمياً ـ قد إنحاز إلى جانب ألحقوق الأنسانية, و تناقض "فوكو" هذا يشبه تناقضه بين نقده ألحماسيّ للقوة و فرضيته المستمدة من "نيتشه"؛ [بأنّ كلّ ألحُجج .. بما فيها حجّة ألمرء نفسه, ليست سوى تدابير للقوة , و ليست سوى التعبير عن إرادة القوة].

و آلآن بعد أن نظرنا إلى النسبوية في عدم تماسكها ألمنطقي و تطرفها و سوء فهمها العلمي وخطورتها للنسبية؛ علينا أن نمنحها من الوجهة الأخلاقيّة ألخالصة و نسأل: ( هل يُمكن للبشريّة بهذا الموقف

ألنسبويّ أن تردَّ على تحديات ألعولمة و أخطارها؟ و على ما يشهده كوكبنا من تخريب هائل للبيئة؟ و على ما يشهده من حروب و صراعات تدميرية فضيعة؟ و من منازعات دمويّة طاحنة؟ و من إخماد واسع النطاق لأنسانية ألأنسان و قُدراته الأبداعيّة؟

و من أخطار آلطبقيّة؛ و إزدياد ألهوة يوماً بعد آخر بين طبقات ألمجتمع حتى أصبح إقتصاد ألعالم يتحكم به مجموعة لا يتجاوز عددهم ألثلثمائة عضو و هم يسيطرون على مصير ستة مليار إنسان!؟

و أخيراً معيار ألخلق ألعظيم :
ألأخلاق أساس قوام الأمم و عامل الحفاظ على بقائها و ديمومتها كما قال أمير شعراء العرب أحمد شوقي :
أنّما الأمم الاخلاق ما بقيتْ .. أن هم ذهبتْ اخلاقهم ذهبوا.

هذا و قد اجمل الرسول البعثة كلّها في تحقق مكارم الأخلاق بقوله(ص) : [إنّما بُعثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق].

و مكارم الأخلاق لا تتحقق إلّا من خلال وجود قيادة صالحة كنبراس ومنهج واضح يؤشر لتحقيق ألمثل و آلقيم الاخلاقية لتحقيق العدالة في آلمجتمع ..

و من هنا رأينا و نرى كيف أن الغرب يُعادي كلّ نظام يدعو و لو جزئياً إلى تطبيق المبادئ الأخلاقية ألسامية ألتي تريد نشر المساواة بين أبناء المجتمع, و ما آلصراع ألقائم أليوم بين الدولة الأسلامية بقيادة الولاية الكونية و بين النظام الغربي إلّا دليل واضح على ذلك.

فآلانسان عبارة عن منظمومة ألمثل ألتي صقلت شخصيته, حيث يفعلها لحظة التعارف و أثناء المعاشرة, و تبنى على اساس عقائدي لتحدد وجهة نظره في الحياة, بيد أن الذي يظهر من المرء تكون إما على لسانه او من خلال بقية جوارحه كتعبير عن أخلاقه, أما المبدء ألأساسي الذي يتبنّاهُ في ا لحياة فتظهر آثاره من خلال ا لتعامل الحيّ مع الناس في معترك الحياة و داخل المجتمع خصوصاً في الجانب السياسي و الاقتصادي ألذي له مساس مباشر بواقع الناس و حياتهم.

[و أنك لعلى خلق عظيم], هكذا وصف الله رسوله الكريم(ص) في كتابه الأمثل(القرآن الكريم) كإسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر.

و يتجسد معيار الخلق العظيم بشكل بارز من خلال آلعطاء و مواساة الفقير و البعد الاقتصادي في حياة السالكين و المتصدين في المجتمع, و لا يشمل الذين يُسَخّرون أموال آلناس و المسلمين كآلخمس و آلزّكاة و منابع الطاقة لتسهيل مآرب الشّياطين ألمستكبرين على آلعالم عبر الشركات و البنوك العالميّة في امريكا و أوربا و حتى بلادنا اليوم, بل المساهمين في ذلك؛ هم أبعد ما يكونوا عن الأخلاق الأسلاميّة بل الأنسانيّة و آلآدميّة و حتى البشريّة (91).

لقد إجتمعت الخصال الحميدة جميعها في شخص الرسول(ص) كما دلّت الرّوايات التي فصلت الحوادث بهذا الشأن, فعن قتادة قوله؛ "و أنك لعلى خلق عظيم" ذكر لنا ان (سعيد إبن هشام) سأل آلسيدة عائشة عن

خلق رسول الله(ص), فقالت :

[أ لستَ تقرأ القرآن؟ قلتُ بلى , فقالت : (فأنّ خُلق رسول الله كان القرآن)].

و القرآن نور يهدي العباد للتي هي أقوم, كما ورد في آلأخبار ألصّحيحة, و بحسب قول ألبراء: [كان رسول الله(ص) أحسن الناس وجهاً و خلقاً ليس بآلطويل البائن و لا بآلقصير].

و في مسند أحمد بن حنبل عن عائشة أنها قالت: "ما ضرب رسول الله بيده خادماً قط و لا إمرأةً, و لا

ضرب بيده شيئاً قطّ إلّا أن يُجاهد في سبيل الله, و لا خيّر بين شيئين إلّا كان أحبّهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً, فأذا كان إثماً كان أبعد الناس عن الأثم, و لا إنتقم لنفسهمن شيئ يؤتى إليه إلّا أنْ تُنهك حرمات الله, فيكون هو من ينتقم لله عز وجل.

هكذا نرى أن القرآن أبدى إهتماماً كبيراً بآلأخلاق(أي سلوك الفرد ألمنبعث من إرادته) كمعبر عما في نفسه و ما في قلبه ضمن نطاق الجماعة و مصلحتها, و هو يرتبط بآلله تعالى, و السلوك الاخلاقي جزء من نظام كوني شامل و موحد له قدسية مستمدة من خالقه و مُسيّره, و آلأدب سيد الاخلاق, لكن ليس كل من تعلم الأدب اتقنهُ!

ذلك أن السلوك الاخلاقيّ قائم على أسس علمية تُبرّرهُ, وهو ليس مجرد تقليد أعمى, او تقليد سنن موروثة دون إدراك لأهميتها و آثارها, و إنما يقوم على النظر و البصر و التفكير في مظاهر الكون و الجمال والحياة, و تمتد إلى الحياة الآخرة, فمبادئ السلوك الأخلاقي مبادئ عالمية في نظرتها؛ واسعة في افقها؛ ممتدة في مداها؛ و هي بذلك تبعث الامل؛ و تشيع التفاؤل و تعبّر عن مصلحة الأنسانية جمعاء دون أن تحدد بنطاق الفرد أو القبيلة و مصالحها العادية الضيقة.

ألعمل آلصّالح :
نَعَتَ آلقُرآن ألكريم ألسّلوك ألمرضي في آلاسلام بكلمة صالح و تكرّر ذكر (ألعمل الصالح) في 36 آية, و "عملوا الصالحات" في 59 آية, و آلصّالحون" في 26 آية و قد إقترن "العمل الصالح بآلايمان" في 69 آية, و ذكر أن الذين يؤمنون و يعملون الصالحات لهم الجنة في 22 موضعاً و لهم أجرهم 19 موضعاً, و قال تعالى: [فمن يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً](الكهف110).

"من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها", "إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات هم خيرالبرية و لهم الدرجات العلى "و للابرار درجة عظيمة, لانه [لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممّا تُحبّون] و نقيض ألأخلاق ما ذكر من أخلاق آلكفار.

فآلمشرك وُصِفَ بآلعاصي و بآلفاجر و المُسرف و المُفسد و الخرّاص و المُتجبر و المُتكبر و الطّاغ و الباغ و آلظّالم و المُعتد و المُستغن و الجّاهل. من هنا فتحقيق مجتمع سعيد يحتاج إلى نظام سياسي إجتماعي يرتكز على آلتواضع و آلأخلاق ألفاضلة!

و من أهمّ ملامح الفضل, هو التواضع و المحبة ألتي أشار لها الباري تعالى في معرض مدحه لأهل الكتاب من القسّيسيّن و الرّهابنيين بقوله تعالى: [ذلك بأنّ منهم قسسيسين و رهباناً و أنهم لا يستكبرون] (ألمائدة82), يتبيّن بأن صفة (التواضع) لها مكانة عظيمة عند الله.

و لعلّ أحد اهم أعمدة ألأستقرار و آلتقدم و آلتّعايش ألسلمي في المجتمعات الغربية بآلقياس إلى الأسلامية هو التواضع و الأدب و آلأيثار كمؤثّر حيويّ فعّال في جعل المقابل و المواطن يحسّ بآلأمن و آلأستقرار من جانب أخيه و بآلتالي كعامل دفع للأهتمام بآلمسؤولية ألأخلاقيّة و مداراة الآخرين بحيث يودّ تقديم المساعدة للآخرين عن طيب خاطر!

و كان الأولى بنا أن نكون نحن الملتزمون بذلك لكوننا مسلمين و الأسلام هو التسليم لله, الذي يستلزم التقوى و الخوف منه, و يتصل بآلتواضع أمام النوع الإنسانيّ و الحلم و التعاون و الدماثة و نقاء القلب و يحلّ ذلك محل النخوة الجاهليّة و السّفة و العنف و التهور.

## ملامح ألعدل في آلمُجتمع ألسّعيد :

هو ما بيّنه ملك و سيّد ألعدالة ألأنسانيّة ألأمام علي(ع) في كتابه الخالد (نهج البلاغة) و طبقه عملياً من خلال آلحكومة التي أسسها في الكوفة على أرض الواقع.

## ألعدالة و الظلم في نظر الامام(ع): يقول ألأمام (ع):
## لم يشهد التأريخ رئيساً عادلاً كآلأمام علي (ع) فراتبه أو حقوقه من بيت المال كان يساوي حقوق و راتب أيّ فقير أو مواطن في دولته .. و قد قال(ع) :

[و الله لو أعطيتُ ألأقاليم ألسّبعة بما تحت أفلاكها في نملة أسلبها جلب شعير لما فعلتْ و أنّ دنياكم عندي لَأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها].

## في آلجانب العسكري؛

كان يُزود عامل آلجيش برسالة إلى آلعمال ألذين تطأ ألجيوش مدنهم لقرائتها على الناس؛

[أما بعد .. فأني سيّرتُ جنوداً هي مارّةً بكم و قد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى و صرف آلشّذى و أنا أبرء إليكم و إلى ذمتكم(اليهود و النصارى) من معرّة الجيش, و انا بين ظهر الجيش(أي في اعقابه) فإرفعوا إلى مظّانكم و ما عراكم ممّا يغلبكم من أمرهم و ما لا تُطيقون دفعه إلّا بآلله و بي, أغيّره بمعونة الله]. و في آلجّانب ألمالي(ألاقتصاديّ)؛ أمر كاتبه عبد الله بن أبي رافع أنْ؛
[إبدأ بآلمهاجرين فَنادِهم.. و إعط كلّ رجل حضر 3 دنانير من بيت المال], فصار سهم طلحة بن عبد الله و الزبير مثل بقية المسلمين, بينما كانا و امثالهم يتقاضون أضعافاً مضاعفة في زمن الخلفاء السابقين, ممّا أغاظهم , و كان الجانب ألمالي هو سبب إنقسام الناس عليه و بآلتالي شهادته في محراب العبادة.

**و في آلقضاء ضرب أعظم آلأمثال ؛**

**حين وقف ألأمام(ع) أمام خصمه في المحكمة العليا برئاسة شريح القاضي غير مُبالياً بشئ إلّا للحقّ كخصم بجانب (عبد الله بن قفل ألتميمي) ألذي كان معه درع "طلحة" و أخذها غلولاً بعد مقتله, بينما كان ألأمام علي(ع) في وقتها خليفة للمسلمين و قائداً للدّولة الاسلامية ألتي كانت تضم أكثر من 12 دولة ! فحين طلبت المحكمة شهوداً من الأمام(ع) قدّم ألأمام(ع) الحسن بن علي(ع) للشهادة لصالح الأمام علي(ع) ضد عبد الله بن قفل الذي سرق الدرع, لكن القاضي لم يقتنع و طلب شاهداً آخر, فشهد قنبر(خادم الأمام) و لم يقبل شُريح أيضاً شهادة المملوك, عندها قال عليّ؛ [خذوا آلدّرع فهذا قضى بجورٍ ثلاث مرّات], فتحول شُريح عن مجلسه و قال: [لا أقضي بين إثنين حتى تُخبرني يا أبا آلحسن من أين قضيتُ بجورٍ ثلاث مرات]!؟**
**فقال (ع): [عندما قلتُ لك هذا درع طلحة اخذتْ غلولاً .. طلبتَ منّي البيّنة!؟ و قد قال الرسول(ص) : (حيث ما وُجد غُلولاً أخذتْ بغير بيّنة), فقال شُريح؛ (رجلٌ لم يسمع الحديث), و قال (ع) : (ثمّ أتيتك بآلحسن"ع" فشهد, فقلتَ : (هذا شاهدٌ واحدٌ و لا اقضي بشاهد واحد حتى يكون معه آخر, و قد قضى رسول الله(ص) بشاهد واحد و يمين), ثمّ أتيتك بقنبر , فقلت؛ (هذا مملوك, و ما بأس المملوك إذا كان عدلاً), هذه الثالثة, ثمّ قال(ع): (يا شُريح: إنّ إمام المسلمين يؤتمن من أمورهم على ما هو أعظم من هذا)!].**

**ألخلاصة و آلنتيجة :**

**تحديد ملامح و مصاديق العدل ألألهي من خلال تعميم المساواة في الحقوق الطبيعيّة و تكافؤ الفرص بين الجميع بعيداً عن المنسوبية و المحسوبية والحزبية و كما هو السائد وآلمعاملة ألأنسانيّة من قبل السّلطات مع جميع أبناء ألمُجتمع و حفظ كرامة ألمواطن و حريته و عدم ألمساس بأمنهِ و عرضه و ماله و حقوقه و يتحقق من خلال نفي الصفات السياسية الميكيافيلة عند تعامل المسؤول و الحاكم من موقعه(92).**

**و السبيل الوحيد لتحصين المسؤول و الرئيس للعمل بتلك المبادئ العلويّة لنشر العدالة في المجتمع, هو :**

**أوّلاً : جعل الله تعالى دائماً نصب عينيه بكونه تعالى يراقب نظراته و حتى نوايا الحاكم أو المسؤول .**

**ثانياً : المطالعة و القراءة الدائمة, فآلعلم قوة و ضمان لتحقيق العدالة و المساواة و الحكم بعدل الله تعالى.**

**ثالثاً : أن يجعل الحاكم أو المسؤول دائماً مساحة للأحتمالات الممكنة حتى لو كانت لا تتوافق مع العقل, و نصيحة الحكيم (إبن سينا), عندما قال ؛ [لو أُخبرت بشيئ غير معقول؛ فأجعل له حيزاً في الممكنات].**

و هي

174.....

## ألخيال بين آلحقيقة و آلوهم :

## ألخيال بين آلحقيقة و آلوهم :

مرة أخرى نعرض موضوع (ألخيال) الذي يعدّ أصل التفكّر و منشأهُ و مسبّب الأنتاج العلميّ و قاعدته ؛ فهي البؤرة لكونه البدايّة التي إنطلق من خلاله الأنسان نحو التطور و الحضارة يوم فكّر .. ثمّ ألقى فجأةً كلمة بدلاً من حجر كما يقول (سيجموند فرويد), ثمّ توالت بعدها المدنيّات و الأكتشافات في جميع صنوف الحياة و ما يحتاجه الأنسان .. إلا أنه أنحرف خلال القرن الأخير و إستمر مع بداية الألفية الثالثة إلى حيث المجهول لو لم يعاد صياغة الثقافة والفكر الذي نشأ عليه أنظمة العالم و كما فصلنا الكلام في كتابنا الموسوم بـ [ألدولة في الفكر الأنساني], و الذي يهمنا الآن هو بيان دور و فاعلية الخيال (التفكر) في بناء المجتمع و تحقيق أهداف الأنسان.

و قد ورد تفاصيل هذا الموضوع في إصدارات أخرى سبقت هذا الأصدار الجديد ومنها في كتابنا الموسوم بـ: [قيمة المعرفة فلسفياً ].

حيث عرضنا مصادر المعرفة الأنسانيّة مفصلاً و دورها في ترشيد الأنتاج العلمي .. و سنشير هنا أيضا بإختصار .. للعلاقة المباشرة مع أصل الموضوع المطروح في هذا الكتاب و دوره في عملية الأنتاج الفكري و العلميّ و من ثمّ الحضاري - المدني, و (في بعض النقاط؛ المعادة إفادة و أهداف).

بداية ..

يجب ألتّفريق بين (الحقائق) التي هي نتاج الخيال ألمبنيّ على الألهام و الفكر ألكونيّ الأيجابيّ ألمُتّصل بآلحقّ من جهة كمبدأ و عقيدة ..

و بـ ؛

(التّصورات) ألمبنيّة على الوهم و الهوس و الخوف و الإنعكاسات السلبيّة للواقع و المتصلة بهوى النفس أو ما يعبر عنه بـ (الشيطان) .

و السؤآل ألهامّ المطروح بين تلك المحورين هو :

- كيف نُفرّق بين الحقيقة والوهم في وجودنا و حياتنا؟
- و هل كلّ ما نُعانيه الآن حقيقة أم وهم أم الأثنان معاً؟
- و مدى تأثير الحقيقة و الوهم في الأحداث و مجريات حياتنا و عواقبنا؟

الكائن البشري حُشر بين (الحقيقة و الوهم) في المجال الفكري .. لحكمةٍ عميقةٍ تتعلّق بمسألة القضاء و القدر و السُّنن الكونيّة و قضية الرّوح المحركة – المحيية لأجسادنا – بل لكلّ مخلوق – و التي تتصل بآلله من جهة و بوجودنا من الجّهة الأخرى , و التي يجهلها البشر قاطبة .. ما لم ينتقل من الحالة البشرية

**176.....**

**للحالة الأنسانية و من ثم الى الحالة الآدمية .. و ذلك بالتأمل و الأدراك و التّفكر و الخيال الذي أكدّ عليها النصوص المقدسة والتي يجهلها البشر أيضاً أو يجهل القسم الأعظم والأهم منها حتى العلماء و المدّعين!**

**لأنّ الأنسان بدون إعتماد آلخيال و التصورات الأيجابيّة التي تنتظم و تتداخل ضمن نظرية (الكَوانتوم) ثمّ الأندماج مع نغمة الوجود ينشغل بنفسه و يملّ من الحياة و يتحوّل إلى كائن هجوميّ كقطعة زجاج (جام) مكسورة يجرح كلّ من يمسّه و يصادفه و لا يقاوم الوجود و ضروب الحياة و محنها التي لا تُعَدّ و لا تحصى (لأنه خُلق في كَبَد و مُعاناة) و تلك طبيعة هذه الحياة و منذ الولادة و حتى الممات للتأثير فيها إيجابياً لوجود الكثير من مراكز الجذب و اللذة فيها بنفس الوقت، ذلك أنّ الذهن يُقَيّم في العالم الذاتي للأفكار و المفاهيم التي تنعكس من الحواس لتتحقق على أرض الواقع, و إنّ إبداعه و تغيير أحواله يتمّ بفعل التفكر و الخيال، و الانسان يُوجد و يعيش فيزيائيّاً في عالم الواقع ألماديّ - الموضوعيّ الذي لا يُمكن فهمه كليّا و بعمق و بشكل مباشر إلا بآلتّفكر و التّصور من خلال العقل الباطن الذي تحدثنا عنه سابقاً.**

**و فهم الحياة و الوجود كونيّاً تتعقد أكثر لكنها أصدق و أدقّ عند تفعيل و استعمال (العقل الباطن) لكنها تُمحّص و تُرشد و تُوثّق أكثر فأكثر بإدارتها و (المنطق ألكونيّ) ليس سهلاً معرفته وإتقانه لإرشاد الذّهن و قوى الروح الخمسة لإعمال نتاجه بعد معرفة الحقيقة و ماهيّة الواقع و سبل التقدم لتحقيق فلسفة الوجود و الحياة السعيدة ..**

**إلا أنّ تحقق ذلك الوعي الكونيّ المنفتح و المسنود بقوة البصيرة و العقل الباطن في نفس الوقت رغم صعوبته و مشاقه؛ لكنه السّبيل الوحيد للوصول و التوحد مع آلأصل و الإنسجام مع نغمة الوجود بدل التكثّر و الإنغلاق و العيش السلبيّ الذي يصيب الجّميع فيفقد قلبه و يموت وجدانه، لأنهما (أيّ العقل الباطن و المنطق الكونيّ) لا يكتفيان و لا يثقّان كثيراً باللغة التي هي غير كافية لبيان حقيقة معنى الخلق و الوجود و العشق, أو وصف الواقع و الصّمت و التعبير عن الحقائق بشكل واضح و عميق و كما هي, لذلك و بمجرد ترك فهم الحياة كونياً ؛**

**يتسبب عادّة مّا بآلتيه و إلأزمات و مفارقات كثيرة و حيرة حتى يفقد الأنسان ألأختيار أو (الحريّة) التي تمثل عمق الكرامة المهداة من الله تعالى, و التي بدونها – أيّ بدون الأختيار – يستحيل تحقق الفناء بعد طي ألأسفار الكونيّة التي عرضنها سابقاً بحسب محدّدات العطار النيشابوري, للمزيد من التفاصيل؛ راجع (ألأسفار الكونية السبعة) و (محنة الفكر الأنساني) و (فلسفة الفلسفة الكونية) على موقعنا في كتاب نور ضمن الموقع الخاص بنا.**

**لا يوجد .. بل لا نحصل على جواب مُحدّد للسؤال .. عن ماهيّة الواقع؟**
**لأنهُ أساساً في حالة تغيير و توسّع و تبدّل (نانوي) و المادّة أساساً وُلدت من غير المادة .. بعبارة واضحة يُمكن للمرء تعريف الواقع باعتباره كلّ ما موجود بصرف النظر عن امكانيّة او عدم امكانية ملاحظته وفهمه بدقة و كما هي من حيث وجود التغيير المستمر لطبيعة ألوجود و الذي فرض على بعض العلماء ألبحث لأيجاد معادلة كونية تضم أبعادا أخرى للقياسات و الأحجام كآلنظرية النسبية و نظرية (الكَوانتوم) و غيرها.**

يمكن للفرد التمييز بين الواقع الظاهر و الواقع النهائيّ وكذلك بين الواقع الفيزيقي المستقل عن الانسان و الواقع الذهني المتشكل إنسانياً, الواقع الفيزيقي يُعرّف كتمدد في المكان، له صفات فيزيائية و يوجد بشكل مستقل عن المراقب ..

اما الواقع الذهني يفتقر للتمدّد في المكان و يوجد فقط في ذهن الفرد و بشكل مستقل عن المراقب, ولكن اذا كان الافراد يفكرون بأشياء مثل الاشجار او الصخور او الجزيئات الذريّة او الموجات الكهربائية أو الفوتونات الضوئيّة، فان واقعهم يبدو للمراقب الانساني كتمثيل جزئي للواقع النهائي.

الحياة أحداث و قضايا تُسبّبها مجموعة مُؤثرات وعوامل قد تلتقي بعضها مع البعض لتُشكل صميم حياتنا و مصيرنا على أرض الواقع، و تلك الأحداث تشمل كلّ مجالات الحياة الإنسانيّة (الاجتماعيّة، والأسريّة، والعمليّة، والتطوعيّة) و حتى المخلوقات و الجمادات و الأكوان باعتبارها تتداخل بنسب معينة بحسب طاقتها و أهميتها مدى قرب أو بُعد تلك الموجودات و المخلوقات من تأثيرات تلك الحوادث, وهناك نوعان من الأحداث في الوجود:

أحداث يتحكم بها الأنسان، كرسم الأقدار أو البدء بها إرادياً .. و تحديد إتّجاهها, فبدايتها هي من العبد(المختار) على الأقل, أما الوقائع و الأحداث التي يصادفها البادئ فيما بعد فهي مرسومة من الله تعالى, وهو شكل معقد يحتاج لبحوث و مجلدّات لبيان تفاصيل و كيفيّة هذا الموضوع الأعقد بنظري في الوجود نفسه, و هذا ليس محل حديثنا الآن ..

وهناك أحداث كونيّة خارجة عن إرادة الأنسان تماماً يتم تحديدها من قبل الله تعالى الذي يعتبر وجوده علّة العلل في الوقائع و القضاء و القدر, حتى يمكن القول بأن ما من أمر يقع في هذا الوجود إلا بإذنه.

ويتمّ التحكم بأكثرها من خلال إنعكاسات العمل الجمعيّ و ليس الفردي, و لكل حالة و حادثة قوانين و مسارات, إلا أنّ إنسان واحد لا يتمكن من تحديد السنن الواقعة خيرها و شرها أن صح التعبير و تدخل ضمن السنن الإلهية و القضاء و القدر!

النوع الأول :

هو الحدث الإنساني مثل التفاعلات التي حصلت بين سيدنا يوسف وإخوته، عندما حاولوا أن يمكروا به ليقتلوه بهدف الحصول على حُبّ أبيهم لهم، و لكنهم مكروا بالشر ليقتلوه، ثم يخفوا الحقيقة، و مكر الله بالخير ليكشف الحقيقة فإرادة الله فوق الجميع، فنجى يوسف، و جازى الله يوسف بالمُلك و الكرامة و العزة، و التمكين في الأرض باعتبارها نتيجة لأفعاله ؛ هذه القصة تسمى حدثًا إنسانيًا و إن تداخلت لأستكماله بعض المكونات الطبيعية ، بدليل أن الله سماها في القرآن قصة أو حديثًا؛ أيّ حدث إنساني [لقد كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ما كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَ لَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...](93).

و في قصّة فرعون و موسى، يسمي الله تعالى أفعال فرعون و ثمود و العقاب الإلهي لهم بحدث إنسانيّ؛ حصل لفرعون و ثمود و هذا واضح في قوله تعالى : [هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ](94).

**النوع الثانيّ :**

**هو الحدث الكونيّ الذي يحصل للمخلوقات الكونيّة مثل حركة الشمس و الأرض و أختلاف الفصول و الليل و النهار بتعاقبهما فيأتي هذا و يذهب الآخر بينما المكان واحد و هي حقائق تقع وليست وهماً، إنزال الماء من السماء باعتباره رزقًا لإحياء الأرض و الهزات الأرضية و الشهب و النيازك وغيرها، فكل هذه الأمثلة تسمى أحداثًا كونية تحصل يوميًا في الكون بأقدار و بقوانين خلقها الله، تضبط حركتها وعملها، وهذا واضح في قوله تعالى مخاطبًا جميع الإنسانية بأن اختلاف الليل والنهار ونزول الماء بأنها حدث، أيّ أحداث كونية يشارك فيها للإنسان بحسب دوره السلبي – المصلحي - الأناني بآلنسبة للأحداث الرهيبة التي تواجه المخلوقات, أما الخير فمن الله تعالى؛ [ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك](95), و قوله تعالى :**

**[إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ](96).**

**فالإنسان العاديّ يحصل له يومياً أحداث و إبتلاآت إنسانيّة في مجالات عديدة و مصيرية و على الدوام، مثلما حصلت للأنبياء و الأئمة و الصالحين, فهذا سيدنا نوح و إبراهيم و إسماعيل و يوسف و موسى و عيسى و محمد عليه و عليهم أفضل السلام و الصلاة خاتمهم, قد حصل لهم الكثير من المحن لكنها لم ترتقى لما حدث للنبي ألخاتم(ص) حتى قال (ص):**

**[ما أوذي نبيّ مثلما ما أوذيت]!؟**

**و قد تحصل أحداث كونية للبعض كرؤية كسوف الشمس و خسوف القمر، و تعاقب الليل و النهار، و نزول المطر، و آلثلج و غيرها و شقّ القمر كما أنبئنا القرآن! لكن المهم هو كيفية الأستفادة العظمى من تلك الأحداث لصالح النهج الثقافي لتوليد المعرفة مثلاص**

**السؤال آلآخر هنا .. هو كيف يعيد نفسه: أين تحصل تلك الأحداث الكونيّة و الإنسانيّة بعضها في زمكاني و واحد, هذا و يجب علينا متابعتها لمعرفة أسرارها و غاياتها بآلعقل و الفكر و الخيال؟ و كيفيّة معرفتها و تفعيلها في الواقع و الأستفادة منها في حياتنا العملية؟**

**و الأهم ؛ كيف نفرّق بين الحقيقة التي نشهدها بآلحواس في الواقع و بين الوهم .. و الحقيقة موجودة في الواقع و لها دلالات تبدأ من المُخيّلة و قد وصفها الباري بـ علم اليقين و مركزها الفكر ثم (عين اليقين) حين يراها بآلعين, و أخيراً حقّ اليقين حين يعيشها كواقع بجوارحه و من قرب و كما جاء وصفها في القرآن الكريم(98)، و الوهم موجود في تصورات العقل النظري و تصورات الناس عنك. كي لا تلتبس علينا الأمور في الحياة فآلعالم بزمانه لا تلتبس عليه الأمور!؟**

**و الحقيقة هي إنعكاس للواقع الذي نتلمسه بكل جوارحنا و وجودنا فحين يُقال:**

**سقوطه, و توقعت الشيء : أيّ إنتظرته يقع](97), و مواقع الغيث : مكان [وقع الشيء وقوعاً فهو واقع فالنتيجة أن مكان سقوط و حصول الأحداث اليومية (الإنسانية و الكونيّة) بما فيها الأكتشافات والأختراعات و الصناعات المختلفة هو الواقع و ليس الخيال أو السراب أو الفراغ، ما يعني أنّ مكان وجود أفعالك كحقيقة هو الواقع، و ليس ما يصوره لك ظنونك و تصوراتك فقط فيعتبر حينئذ وهمٌ لا وجود له في الواقع و لا دليل عليه من العقل و لا وجود لإطمئنانه في الوجدان.**

**الحقيقة النهائية ؛ هي أنه لا يمكن تعريفها بواسطة المفاهيم او الكلمات المتيسرة .. إنّها ربما لا تتغير و لكن من الصعب وجود أيّ شيء في الكون بشكل دائم, بمعنى كل شيئي تغيير و النهاية ستنهار و تتبدل. لا ضمان هناك ببقاء حتى القوانين الفيزيائية مع تطور الكون, الحقيقة النهائية ربما لا وجود لها, كذلك، هي لا يمكن الوصول اليها، لانه من غير المؤكد مقدار الحقيقة التي هي غير معروفة كليا او لا يمكن فهمها بواسطة العقل الإنساني الظاهري.**

**الكائن الانساني الفرد يبرز في العالم في عصر و مكان محدّدين، و لديه حياة قصيرة نسبياً في ظلّ الموت و اللّا يقين المستمر خلال هذا الوجود المحدود و الأجواء المضطربة و العنف و الحروب و الضغوط المختلفة, لذا على الفرد ان يتكيّف مع العالم الخارجي في صراع لا ينتهي ضدّ المعلوم و المجهول.**

**حدود الوجود؛ التفكير المتحيّز؛ و حدود الفهم؛ كلها تؤدي الى الأوهام و إضطراب العقل و التفكير و الهلوسة التي يمكن تصورها كحقيقة.**

**تلك هي اوهام المعرفة و الفهم؛ اوهام الايمان و اليقين؛ أوهام الزمن و الأبدية؛ الحرية؛ الرغبة الحُرّة؛ و معنى الحياة.**

**الاوهام يمكن ايضا ان تبرز من تصورات لاتدعمها الحقائق. الاوهام توفر راحة وجودية لكنها يمكن ايضا ان تؤدي الى عدم الرغبة لرؤية الاشياء كما هي وبدون أوهام, لكي يعترف المرء بالطبيعة الاسطورية للواقع، هو يصارع للتمييز بين الاوهام والحقيقة.**

**ولكن ليس واضحاً دائما ما اذا كان المرء يصل الى فهم عميق للواقع؟**
**أم إنّه فقط ينتقل من وهم الى آخر .. و ضلال إلى ضلال أمرّ؟**

**يميل الانسان بمعرفة أو بدونها، لتشويه او تحريف الواقع لكي يجعله اكثر قبولا.**

**الذهن الانساني يتم ارشاده نحو الأوهام التي يمكن تكييفها لحاجات الانسان و رغباته.**

**من الصعب القول اين ينتهي الواقع؟**
**و اين تبدأ الأوهام؟**

**لأن الانتقال بينهما عادة غير واضح وملتبس؟**

**180.....**
**ان تصوّر الانسان للعالم يتشكل باللغة, و لكن كل من اللغة و فهم الواقع عبر شكل من اللغة هما محدودان من حيث الاساس.**

**السؤال هو حول ما اذا كانت الكلمات تمثل الواقع؟**

**او مفهوم للواقع؟**

**او تمثيل مختزل للواقع؟**

**و ما اذا كانت الكلمات و اللغة تخلقان حقائق منفصلة؟**

**حدود التصور، التفسير، الادراك لا تسمح بفهم كامل للحقيقة, تصورات الانسان للعالم و مفاهيمه للتفسير لا فكاك منها وغير قابلة للفصل. وهكذا ولمدى أبعد، تكون الحقيقة المتصورة قد نُسجت بشكل معقد مع اوهام الملاحظة وتفسيراتها.**

**من الصعب اختزال وصف الحقيقة بحقيقة واحدة أو بأقل عدد من العناصر الأساسيّة.**

**الذهن الانساني منحصر بالدماغ الذي هو مليء بالمحدّدات و التي تمنعه من اتخاذ منظور منفصل.**

**ليس للذهن اتصال مباشر بالواقع، القيود المفروضة على حواس الانسان و الادوات التي يستعملها تسمح له بتصور جزء صغير فقط من الواقع. حتى تلك التي تُنسب الى الكون المُلاحظ والمتوفرة للحواس والوسائل العلمية يمكن ان تتشوه بالغربلة والتفكير المتحيّز.**

**و هكذا، يكون الذهن الانساني مقيّد فيزيقياً و مفاهيمياً بمحدّداته و برمجته. و بالتالي، فانّ الحالة الفيزيقيّة و الذهنية للكائن هي التي تقرّر ما يُفكر به و طريقة تصوره و تفسيره للواقع, و بما ان دماغ الانسان يقتصر على عالم عجيب بثلاثة أبعاد ؛ فإن الذهن ايضا مقيّد بهذه الظروف, التعلم الرياضي يوفر تمدداً الى ما وراء الحدود الطبيعية للتفكير.**

**غير ان الذهن غير قادر على تصور الأشياء وراء حدود المنطق او التفكير الرياضي الى ما وراء الحدود المفاهيميّة.**

**حواس الانسان محدودة، انها تقرّر حدود العالم الملاحظ, مع ذلك، فانه في وعي الحاضر، يبرز الوهم بكون المرء يتصوّر العالم كَكُل بدلاً من جزء منه.**

**ذكر الله تعالى في كتابه العزيز العديد من الأحداث التي تحصل في المستقبل، كآلموت و عالم القبر و البرزخ و عالم الآخرة، و لقد ذُكرت باعتبارها أنباءاً و وعودًا غيبيّة أنزلها الله عبر الوحي إلى النبي (ص)، ثمّ وضّح أنّ كل الأحداث والوعود الغيبية التي ذكرت في القرآن ستحصل في الواقع (سواء الحاضر المنظور، أو المستقبل القريب أو نهاية الأرض و السماوات), فيشاهدها و يسمعها الأحياء و يحسها الأموات بدليل ما**

**قاله أصدق القائلين من خلال ألآيات القرآنية التالية :**

**[قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ, إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ, وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ](98).**
**وقوله تعالى بصراحة واضحة : [إنما توعدون لواقع] (99).**

**و لعلّ ما ورد في قضّية هزيمة الرّوم ثم إنتصارهم الثاني ثم هزيمتهم مرة أخرى في المستقبل على أيدي المؤمنين بحسب المؤشرات الدالة بعد إنتصار ثورة الأسلام؛ لَهُوَ المثال الواقعي الأبرز في قضية ألتّنبأ بآلمستقبل, فقد اخبرنا تعالى بهزيمة الرّوم على أيدي المسلمين قبل الهجرة في سورة الروم و هي مكية (ما عدا آية 17) , بينما وَقَعَ الفتح ألأسلامي (هزيمة الروم) بعد أكثر من 10 سنوات أيّ (13 هـ) بآلفعل(102) , حيث جاء في سورة الرّوم قوله تعالى نصاً:**

**[أ لم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ, يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ](100).**

**بما أن الواقع هو مصداق حصول الأحداث (الكونية والإنسانية)، فالنتيجة أن مصداقية و صحة أي (قول؛ إدعاء؛ حلم؛ التزام؛ طموح؛ أمنية؛ تفسير أو تحليل؛ قرار؛ أحكام مسبقة؛ وعد؛ أحتمال؛ إعلان؛هدف، تأويل؛ اجتهاد فكري) هي حقائق تحصل في الواقع .. فإذا لم تحصل في الواقع، فهي مجرّد (وهم) يتوهمه الإنسان أو حتى المخلوقات الأخرى في عقولها بحسب مقدار دركها و ليست حقيقة بذاتها؛ أي أن الحقيقة هي ما يحصل في الواقع بدلالات و أفعال وجزاء و إنعكاسات مثل تخطيط و إنجاز شارع أو مشروع كبير أو مخطط بياني بعد ما تمّ تصوّره ثم تخيله ثم تخطيطه ثم تنفيذه على أرض الواقع.**

**أما الوهم ؛ فهو ما لا يحصل في الواقع مثل :**

**(تصور حدّ ما يتحقق فعله؛ قول؛ ادعاء؛ حلم؛ التزام؛ طموح؛ أمنية؛ تفسير؛ قرار؛ أحكام مسبقة، وعد؛ كلمة؛ هدف؛ تأويل؛ اجتهاد فكري).**

**و إليكم مثالاً بسيطاً, فلو كان لديك حلم، موجود في العقل – ألباطن – طبعاً لأنّ العقل الظاهر لا يُمكنه صناعة الأحلام ذات البعد الإستراتيجي لإيمانه بمنطق الرياضيات و الحساب و الكتاب العادي، فلو كنت تريد أن تكون رجل أعمال، و لم تكن قد أعددتَ خطة أوّلية و مقدّمات على الأقل تتبعها أنشطة فعّالة يوميّاً مع برنامج شامل و محكم و مكتب و مستشارين أكفاء لتحويل ذلك الحلم ألمُتخيّل إلى واقع ملموس؛ فسيكون هذا الحلم فقط وهمًا (ألوهم يعني آلباطل في القرآن) أو في أفضل الأحزال خيالاً و فكرة, و (الحقّ له مصداقيّة في آلواقع).**

**مثال آخر؛ لو كنت تعتقد بذاتك في العقل ألباطن الذي هو أقرب شيئ للذات يمكن إعتباره كتوأم له؛ لو كنت تعتقد بأنّ إعتقاد الناس عنك أنك كريم .. و لكن في الواقع عندما يأتيك يتيم سائلًا العون الماديّ تسخط في وجهه و ترفض، هذا يعني أنّ حقيقتك في الواقع بخيل، و تصورك عن نفسك مع تصورك عن تصور الناس عنك بكونك كريم مجرد وَهمْ؛ و هذا يؤكد أن مصداقية أيّ إعتقاد تتصوره لا بدّ أن يحصل في الواقع عمليًّا, أو له إنعكاسات عمليّة أو سلوكيّة, و بذلك يعني أنّ كل ما يحصل في الواقع هي الحقيقة .. و كلّ ما لم**

يحصل هو الوهم؛ أيّ أن الواقع هو مخزن مصداق لحقائق الإنسان و حقائق و ذخيرة المجتمعات الإنسانية, و هذه القاعدة تنطبق على المجال التربوي و السلوكي و الأخلاقيّ لأنسان أو لمجتمع ما قد يتصف بأخلاق عالية أو متدنية في تعامله على المستوى العملي يتقدّمها صدق الحديث و المعاملة.

فالفرق بين الحقيقة والوهم؛ أن الحقيقة تحصل في الواقع المادي أو السلوك بإدارة و شهادة الحواس، و الوهم لا يحدث في الواقع بل يدور في عقل و خيال الإنسان (من أحلام، و أماني، و تصورات ذاتيّة عن نفسه، و طموحات)؛ و هذا ما تؤكده الآية الشريفة التالية :

[قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ, قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ, وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ, فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ](101).

فهنا السحرة ألقوا عصيهم فتحولت لحيات، فعندما ألقى موسى عصاه إبتلعتها جميعا، فوصف الله هذه الحادثة بـ (وقع الحق) أيّ الحقيقة ألمتمثلة بعصا موسى التي إبتلعت عصيهم في الواقع و ليس في الخيال، لكنه تعالى وصف عمل السحرة (بالباطل)؛ أي (وهم) لم يحدث في الواقع، بل العقل خُيّل لموسى و للناس أن عصيهم تحولت لحيات سحرت العيون الظاهرية المجردة, و في الحقيقة كانت تلك معجزة كونية أراها الله تعالى للناس, كي يستوطنوا على الحق المبين الواقع.

و أن آلسِّحر يكون حصراً في العينين المجرّدتين و قد يُؤثّر في روح الأنسان آلطيب لا الشرير، و لا يكون في الجسد المادي بدليل قوله تعالى : [قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ](102).

و السّحر يُصوّر للعقل ألظاهر أوهاماً فيتخيلها العقل حقيقة في الواقع فتراها العين، و الوهم هو زاهق و غير موجود أصلاً و أبداً في الواقع، بل موجود في العقل البشري كأحلام و تصورات، و أماني ذاتيّة عن نفسه، و طموحات، و لكن بمجرد تقييم الإنسان للواقع بآلتعمق فيه يجد الحقيقة فاقعة, بدليل قوله تعالى: [وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا](103).

بما أن حقائق الإنسان و المجتمع الإنسانيّ و ما يحيط به من أفلاك و مجرات و مكوناتلها الطبيعية هي في الواقع؛ فالنتيجة :

أن الواقع يعتبر مصدراً لمعرفة حقائق الإنسان أو حقائق المجتمع أو الحقائق الكونية الطبيعيّة أو حتى الغيبيّة المتعلقة بآلوجود من خلال التحقق في آلأفعال الفردية و آلأفعال الجّماعية، و هذا بدليل قوله تعالى :

[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ](104).

أيّ أن الآيات الإلهية سيراها و يتحقق منها الإنسان عبر آفاق خياله الخصب و تصوراته التي تُبان في سلوكه و من خلال عمله ألذى سيظهر و يتفاعل مع البيئة و المحيط ألذي يعيش فيه.

طبيعة الحقيقة ببساطة و وضوح هي أنها إبتداءاً تتشكل كخيال في العقل ثمّ تترجم كأفعال في الواقع؛ و بالتالي تكون النتيجة أن حقيقة الفرد والمجتمع مكنونة و موجودة في الواقع، أما الوهم فيركبه العقل، فما تحسّ به و تعانيه الآن هو حقيقتك وهو ما تستحقه بسبب أفعالك التي تعملها، وما يعانيه المجتمع الآن هو حقيقته وهو ما يستحقونه باعتبارهم جماعة بسبب أفعالهم اليومية الجماعية؛ فالنتيجة حقيقية أحادية واحدة، وهي في الواقع قابلة للتغيير بتغير إرادة (الهدف والنية)، وفعل الإنسان (الأسباب التي يعرفها و يطبقها), وهذا ينفي ما يفعله العامة من أفعال كثيرة تقودهم للفقر و المرض و إبتلائهم بآلحكومات الجائرة و الفساد، ثمّ ينسبون ذلك تارة لفساد الحكومة، و تارة لظروف المعيشة و البيئة أو لعوامل خارجيّة و تدخلات إقليمية، و تارة ينسبوها للقدر والجبروت الإلهي و القسمة، و تارة للشيطان و ضره، كأنهم يقولون إنهم لا يستحقون الواقع الحالي لأنهم أبرياء و طيبين ..

ولا يستحقون هذا الوباء أو ذاك أو آلأمراض و آلفقر و الجهل و العنف و الإبتلاآت، و يعتبرونها وهماً ، بينما يعتقدون بأن الحقّ هو أن يكونوا أغنياء وأصحاء و مرفهين, فآلذي يعتقد بأنه يستحق أن يكون غنياً مرفّهاً كتصور في عقله, إنّما ضلّ طريق الهداية و رضى على نفسه الأمارة بآلسوء التي فعلت أفعالًا تضيق الرّزق و تمنعه مثل ظلم الناس و قطع صلة الرحم و نكران الجميل و عدم القراءة و الأطلاع على الأقل على أحوال المسلمين و الناس، وعدم التفكير في إنشاء مشروع، أو البحث عن شركاء، والنوم على التوظيف و الراتب لكونه موظفً أو متقاعد أو ناهب مع الناهبين، فهذه أفعال تضيق الرزق بل و تقتل روح الأنسانية في وجود فاعليه، فتكون الحقيقة؛ المعاناة من ضيق في الرزق إلى أن تموت، بينما الوهم هو أن يتوسع رزقك بلا عمل.

أخيراً .. نصل إلى أستنتاج هامّ للغاية تُجسدّها المعادلة الحقيقية التالية في تحديد نصيب الشخص :

سلوكك و أفعالك في الواقع + ما تُعانيه (خيراً أو شراً) = حقيقتك (الإستحقاق الحالي).

بل هناك قانون أدقّ من ذلك يسمى بـ (قانون الجذب العكسي), يعني ما تفكر به يرتد إليك بنفس القوة و المقدار سلباً أو إيجاباً, و كأن قوّة جاذبة قويّة هي التي أرجعت ذلك التفكير الذي كنت تفكر به في حق الآخر!

و الأبتلاء و المصائب التي تصيب آلجميع خصصواً ألمؤمنين بينهم – و هم النوادر في هذه الدنيا الملعونة – تكون لتطهيرهم أو إختبارهم أو إمتحانهم لزيادة رصيدهم في آلآخرة بعد ما يرتقوا في الحياة الدُنيا و ينتقلوا من الحلة البشرية إلى الأنسانية و من ثم الآدمية ليصبح في النهاية خليفة الله في الأرض بعد حيازته لمؤهلات خاصة بسبب تلك الأبتلاآت العظيمة التي لو ألقيتها على جبل .. بل على السموات و الأرض لأنهدمت و أشفقت منها.

و بناءاً على الوعود الإلهية التي تحققت عبر التأريخ كقضية الروم و القضايا التي وقعت زمن النبي كشق القمر و حركة الأشجار و تحرك النخلة بإمره و بعده و قد ذكرنا بعضها؛ فإنّ وعد الله في غيرها كالآخرة واقع, بحسب آلآية القرآنيّة الصريحة :

**[إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ](105).**

**وقوله تعالى ؛ [الم () أَ حَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ () وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ () أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] (106).**

**و وعده تعالى بقوله و كما ورد كسؤال: [أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ () فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ () وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ () وَ قُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَ ٱرْحَمْ وَ أَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ () ](107).**

**و هذا الوعد كما الوعود الأخرى حقائق ستقع على أرض الواقع و في حياتنا بشكل واضح .. بناءاً على ما تقدم.**

**و تلك الآية تحثّنا أيضاً من جانب آخر ؛ على دراسة علّة الخلق و الوجود بدقة و تأن, ليكون برهاناً قاطعاً على وجود حقيقة الحقائق التي على أساسها وجد الوجود و الخلق و هي محبّة الله التي بها ننال سعادة الدنيا و الآخرة.**

**و إليكم أدلة أخرى على وقوع ما وعدنا به الله تعالى في المستقبل على أرض الواقع الذي نعيشه في الدنيا و كذلك في الآخرة .. و حتى في عالم البرزخ :**

**[قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ](108).**

**هنا تنص الآية على أنّ المجرمين يستعجلون بالعذاب، بينما العذاب ينزل على المجرمين إما نهاراً أو ليلاً .. كقانون طبيعي محدّد ضمن قوانين الكون، ثمّ يشير إلى أنّ مكان حصول و نزول العذاب هو في واقع المجرمين حيث يعيشون.**

**[إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ](109).**

**هذه الآية ذكرت نصًا في القرآن و نزلت على رسول الله (ص) قبل 1400 عام، حيث أكّدَ الله تعالى فيها؛ على أنّ العذاب (واقع) أيّ أنهُ سيحصل في المستقبل بحق الكفار و المنافقين و كل من تعدى على حقوق الآخرين حيث لا شفاعة فيها مطلقاً و هي حقيقة واقعة, بعد سير الجّبال، و تشقق الأرض و تبدّل السموات تمهيداً للجزاء!**

**وهذا يؤكد أن جميع الوعود الإلهية ستحصل في الواقع .. في المستقبل كما حصلت بعضها خلال القرون الماضية بعد النزول على هذه الأرض.**

**و قوله تعالى يُؤكّد ذلك ؛**

**[إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ](110)!؟**

**حيث ذكر الله تعالى أنّ الواقعة ـ أيّ يوم وقوع القيامة ـ سيحصل في الواقع، ثمّ أكّد أنّ وعده بحصوله ليس كذبًا، و مصداقيته؛ أنه عندما يقع سيخفض الذين كانوا من أهل الاستكبار و الغرور و السيئات و الفساد في أدنى الدرجات في جهنم، و بآلمقابل؛**
**يرفع الذين كانوا من أهل التوبة و الفقراء والإحسان والإصلاح و الرحمة في قوله ؛ [خافضة رافعة] ؛ ففي الدّنيا ترى الملوك و الرؤساء في أعلى الدرجات يُفسدون في الأرض و حولهم حاشية كآلحمير بل و أظلّ ؛ تطُبّل لهم و تمدحهم و تؤيدهم و تتظاهر بآلقول : (بآلروح ؛ بآلدم نفديك يا ...)!**

**و هذا الأمر يتجسّد في آلأحزاب السياسية بشكل لا يُصدّق, بحيث أَنَّ الحزبي و بسبب الأميّة الفكرية – لكون فكره محدد و متحجر؛ يرى بأمّ عينه فساد حزبه و رئيسهم, لكن غباؤوه و مصالحه الشخصية و راتبه الحرام لا يسمح له الأقرار أو معارضة أو إنكار أفعال حزبه .. و في افضل الحالات قد يتّخذ جانب الصمت و يخرس و يقول : (تلك هي السياسة الملعونة فلنتركها) و (ما لله لله و ما لقيصر لقيصر).. و هو ينتهز الفرصة تلو الأخرى ليعود من جديد ليكرّر تظاهره : (بآلرّوح .. بآلدّم .. نفديك يا هو الجان)، بينما بوقوع الواقعة سينخفضون في أدنى الدرجات و يفرّ منهم حاشيتهم و أقرب مقرّبيهم ؛**

**[يوم يفرّ المرء من أخيه و أمه و أبيه] , لكن الشيطان هو الآخر يستهزأ بهم قائلاً:**
**[أنتم إستجبتم للباطل], و كما ورد في آيات و روايات كثيرة.**

**الحقيقة موجودة في الواقع، بينما الوهم موجود في تصورات العقل النظري و تصورات الناس عنك.**

**أفعال الواقع هي حقيقة الإنسان و تُمثّل سلوكه و و اقع أخلاقه، و هكذا أفعال المجتمع الجماعيّة هي حقائقه, و على أساسها يحاسب الله, و كما أشرنا آنفاً؛**

**أفعالك في الواقع + ما تعانيه الآن (الجزاء الحالي) = حقيقتك (الاستحقاق الحالي).**

**وهكذا نصل الحقيقة التالية من خلال المؤشرات المعروضة؛ يكون الذهن الإنساني الكائن في (ألعقل الظاهر) مُقيّد فيزيائياً و مفاهيمياً بمحدداته و برمجته.**

**و بالتالي، فانّ الحالة الفيزيائيّة والذهنيّة للكائن البشري أو حتى (المخلوق الأخرى) كل بحسب مدى غريزته .. هي التي تُقرّر ما يُفكر به و طريقة تصوره و تفسيره و نظرته للواقع!**

**و بما ان دماغ الانسان(ألعقل الظاهر) يقتصر و يستند على عالم واقعي بثلاثة أبعاد مادّية ؛**

**فإنّ الذهن أيضاً مُقيّد بتلك الظروف(الأبعاد), و التعلم الرياضيّ الذي يطلق عليه البعض كما القرآن الكريم بآلبصيرة أو (القلب) أحياناً أو قوّة الخيال المنتج أو قوة الوجدان و التأمل؛ يُوفّر تمدّداً الى ما وراء الحدود**

**186.....**
**الطبيعية للتّفكير الذي يمكن أن يصل المدى الكونيّ معه فيما لو إستند إلى العقل الباطن إلى آخر حدود الوجود و الكون الذي إعتقد آينشتاين بأنه غير متأكد من ذلك ..**

**إن الذهن ألموجود في العقل الظاهر(المخ) غير قادر على تصور الاشياء وراء حدود المنطق او التفكير الرياضي و الحسّي الى ما وراء الحدود المفاهيمية ألطبيعية – التي لا ترتبط بحواس الانسان ألمحدودة بإدارة العقل الظاهر(المخ)، انها تقرر حدود العالم الملاحظ المنظور فقط. مع ذلك كله فانه في وعي الحاضر، يبرز الوهم بأنّ المرء يتصوّر العالم ككل بدلا من جزء منه.**

**أ تَحسب أنك جرم صغير .. و فيك أنطوى العالم الأكبر؟**

**و يُمكننا القول أيضاً بناءاً على ذلك؛ أنّ (الحقائق) و (الوحدة المستندة) على جوهر الأدلة ألكونيّة - أيّ من الله تعالى ألذي يزيدنا قوة و إلهاماً إلى قوانا الذاتية لتكوين البصيرة القوية في حال خلوص نيّاتنا و صدقنا مع أنفسنا لوجه الله(111), و (الأوهام) و التّكثّر و الخيلاء و التكبر و الفتنة و الكذب و الفرقة و اللهوث على المناصب و الدنيا لأنّ ذلك كله من الشيطان و تسبّب ألركود الفكريّ و موت الأنتاج العقليّ و التقوقع السلبي, بينما الأيمان بآلحقّ و كبح جماح الشهوة يُسبّب حُبّ المعرفة و القراءة و البركة في الأعمال والأنتاج و البحث في المعارف لتحقيق الإزدهار الحضاري و المدني و السعادة و الأبدية في الوجود كله.**

**بعكس ما هو الرائج في بلادنا التي تنحاز الحكومات و الأحزاب فيها إلى نشر الجّهل و الأميّة الفكريّة, لإبقاء النّاس ضعفاء و منهوبي الحقوق بعيدين عن مراكز السلطة و القرار ليستمر شقائهم و نهبهم و تحطيم مستقبل الأجيال القادمة المسكينة و كما هو الحال في العراق الاغنى بلد في العالم .. لكن يعيش فيه شعب متخلف و جاهل و شقيّ؟**

**و قد بحثنا عوامل الرّكود الفكريّ في كتابنا (محنة الفكر الأنساني) بشكل مفصّل, و كذلك كتاب : [نعمة المعرفة فلسفيّاً], و غيرها .. مع الجذور و على جميع الأصعدة لتجنّبها إن شاء الله تعالى.**

**أخيراً .. يمكن لمُحبّي ألثقافة و الفكر ألاطلاع على الكتاب أعلاه لمعرفة المنهج الفكري الكوني .. عبر الرابط ألتالي :**
**مكتبة نور - PDF تحميل كتاب نعمة آلمعرفة فلسفيا (noor-book.com)**

و هي

188.....

## خلاصة الكتاب :

## خلاصة الكتاب :

**هذا الكتاب يُنظّر لهداية الناس من أجل اعدادهم و دفعهم للتمهيد لظهور صاحب الامر(ع) فما زال ينتظرنا و(الأمّة) لفعل شيئ مقابل الظلم الذي إنتشر و خيّم على بلادنا و العالم بسبب آلعصبيات المختلفة و الجّهل و الفساد و المؤآمرات و لقمة الحرام بقيادة الحكومات و الأحزاب السياسية و التحاصصية و العشائرية و القومية و خلفهم الاساطيل العسكرية الأستكبارية .. لسرقة حقوق الناس المظلومين مقابل الخدمات الكبرى التي يقدموها للأسياد, لكونهم تابعين خانعين و لا حول و لا قوّة لديهم, فآلمعادلة الرائجة ألآن في البلاد و العباد كمقايس لتقيم الناس من قبل الحكومات الظالمة هي:**

**[إن لم تُؤيّدني فأنتَ فاسدٌ و منحرف و في النار]!؟**
**أو [إن لم تكن معي – أو مع حزبيّ فأنتَ ضـدّي], و هكذا ...**

**يعني العمل بنظرية المؤآمرة التي جذورها تعود لميكيافيلي و غيره!**
**و تلك المعايير هي قمّة الفساد وآلجهل والدكتاتورية لأنها ترفض وجود الرأي و الرأي الآخر أو المعارضة بل و إخضاع وقهر آلجميع بكل وسيلة ممكنة ليكون الحُكم والمال و المناصب بيد الحاكم الأوحد الو النظام الأوحد أو الحزب الواحد .. بغض النظر عن كونه على حقّ أو باطل!**

**و هذه المعادلة ما زالت رائجة للأسف و إستخدمته أنظمة بلادنا و العالم و نظموا و علّموا شعوبهم على تلك الثقافة و بأفضل وجه لأدامة تسلطهم و إستضعافهم للناس, و هكذا الحال اليوم فما زال الأمر قائماً و الظلم و الأقصاء سارياً و كما كان من قبل نتيجة التعصب و التمسك بالجّهل و العنف بدل الثقافة و الفكر و الفلسفة .. و لسان حال الحاكمين هو؛**

**[إن لم تكن مع الحاكم فأنتَ محروم و منبوذ و عدوّ لا مكان لك في بيتك و وطنك و تُحاصر و تُشرّد] ..**

**بينما الحقّ, كلّ الحقّ؛ هو فسح المجال أمام الآخرين و تفعيل النقاش وتبادل الآراء والمعارف و بحث نقاط الضعف لتلافيها و نقاط آلقوة لتلاقح الآراء منها و إستخلاص النتائج المثمرة و المفيدة لبناء الحياة الأفضل و تحقيق التوازن و آلحرية و العدالة في المجتمع, لأننا نعتقد بأنّ:**

**[التهرب و عدم السماح بعرض جميع ألأفكار التي نؤمن بها و مقارنتها مع آلآيدلوجيات و الأفكار الأخرى لمناقشتها و بآلتالي كشف مدى قوّتها و مقاومة و فاعلية أفكاركنا و مبادئنا مقابل الأفكار الآخرى؛ فأن ذلك الخوف و آلتهرب و التقوقع و التعصب مع الأفكار الضعيفة دلالة على نقص و هزيمة الفكر الذي نحمله و ضعفه أمام العقائد و الآيدلوجيات الأخرى و عدم جدواه للحياة, و بآلتالي يُحتّم علينا إستبداله بآلفكر المقابل ألأقوى و الأدلّ].**

**و هذا قبل كل شيئ أمر الله تعالى: [الذين يسمعون القول فيتّبعون أحسنه].**
**و هكذا الحديث الشريف : [نحن أصحاب الدليل؛ نميل حيث ما مال الدليل].**
**و قبل هذا أكّد الباري تعالى بقوة و كرّر وصيته للناس بمكانة العقل و الفكر و التأمل في الحياة , و قد أسهبنا الكلام في ذلك في مؤلفتنا السابقة و بشكل مكرر أيضا, و إليكم بعض من تلك الآيات العظيمة و منها:**

**﴿... لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(البقرة /73). وردت بحدود 50 آية بصيغ مختلفة, حيث كرر الباري تعالى فيها كلمة (عقل) و مشتقاته.**
**﴿... لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس: 24). أيضا, وردت أكثر من 20 آية بهذا المعنى المكرر لأهميتها.**
**﴿ ...لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام / 98).**
**﴿ ...لعلهم يتفكرون﴾ (الأعراف / 176), و قد وردت أكثر من 20 آية كما قلنا كرر الباري فيها كلمة (فكر).**
**﴿... أ فلا ينظرون﴾(الغاشية: 17), و قد تكرّرت أيضا مرّات عديدة.**
**و غيرها كثير ..**

**و قد تكرّرت تلك الصفات و الإشارات عشرات المرات في القرآن الكريم لأهميتها و لإظهار دورها الأساسي لدرك معنى الوجود و الخلق و بآلتالي في تغيير الحياة نحو الأفضل لبناء حياة و حضارة سعيدة يُسعد بظلها الجميع .. لا طبقة دون طبقة أو فئة دون فئة .. لأن وجود شقي واحد في المجتمع يؤذي الجميع, فكيف لو كانت جماعة أو نصف أو كل المجتمع يشقى!؟.**

و هي

192.....

# ألخاتمة

## ألخاتمة :

**تمّ بعون الله إنجاز هذا الكتاب الرائع ألذي يُبيّن معنى و جذور و أهداف و مكوّنات الفكر و أبعاد الثقافة و آلحضارة و آلمدنيّة و الفرق بين آلعلم و آلثّقافة و آلفلسفة و بداية و كيفيّة تشكيل ألحضارات و آلمدنيّة و الفرق بين الحضارة و المدنية و غيرها من الموضوعات ألأساسيّة التي يحتاجها كلّ (البشر) حتى (ألأنسان) الذي تخلّص من (بشريّته) و يريد الأرتقاء إلى درجة (ألآدميّة) تمهيداً للخلافة الألهية لأنتاج الفكر والحكمة وتقويم الحياة.**

**.....**

**فله الحمد و الشكر دائماً و أبداً على توفيقه و تسديده لقطع هذا الشوط الطويل و هو معي تعالى .. يرافقني خطوة خطوة و لم يتركني وحيداً وسط الأضطراب و الغربة و بين الذئاب البشريّة الأكثر خطورة من باقي المخلوقات .. على الحُبّ و السلام و العشق بسبب الخصال السلبية المعجونة مع ذاته ..**
**كما وفقني تعالى من قبل على إتمام جميع الكتب التي ألفتها بآلدّم و الدموع و الغربة و السّهر و الألم وآلتي كتبتها خلال السنوات الأخيرة من عمري بعد عجزي و تقاعدي و مرضي العضال, و بذلك أتمّ تعالى نعمته عليَّ و أكمل إحسانه و لطفه كما عوّدني دائماً خصوصاً حين أمسيت وحيداً بين هذا البشر آلضّال الذي أبى أن يكون مع الحقّ سوى بآلتظاهر أحياناً .. و بقيت لوحدي أقاوم حتى المقرّبين الذين أحسنت إليهم و كانوا كآلوردة أمامي, لكنهم خلفي للأسف كآلمناجل يحصدون روحي و يطعنون وجودي لأنهم بكل بساطة أميّون و حاسدين .. و ما علموا بأن قلبي لم يعد ملك أحد .. حتى ملكي أنا ناهيك عن غيري .. سوى مُلك ذلك المعشوق الأزلي الذي و حده يستحق الحب و وحده دون هذا البشر الضال وراء المادة (الدولار) كآلحيوان الذي يتبع شهواته أينما و كيفما كان حتى على حساب شرفه و دينه المفقود أساساً, لأنهم ضلّوا السبيل فعادوا القراءة و الكِتابَ و الكُتّاب و الفكر و الفلاسفة فسلّط الله عليهم الشيطان و شرار الأقوام الذين أمروهم لعمل الباطل ليحكمهم كل سفاح أثيم و بلا رحمة .. فإنقلبوا إلى الكفر و التنكر و التجسس وو..إلخ**

**فصبراً يا إخوتي .. يا آل ياسر و كل الكونيين في الأرض و أنتم تخوضون الجهاد الأكبر من الأكبر بمواصلة طريق القراءة و البحث و الإستقامة .. إنّ موعدنا الصبح .. أ ليس الصبح بقريب!؟**

**و هكذا ... أكملنا هذا السفر العظيم ..**

**و تمّ الكتاب بعونه تعالى و توفيقه .. على أتمّ وجه و أكمل صورة كما الكتب المنهجية الأخرى التي سبقته.. لخدمة عباد الله و الطبقات المختلفة .. خصوصاً الطبقة الفقيرة المظلومة و حتى المثقفة و الإعلاميّة يتقدّمهم المفكرين وآلفلاسفة الذين يتحرّكون ضمن مدار و مرتبة (البشريّة) التي تُعاني الأمرّين بسبب الطغاة و الحكومات التي تتوسل بكلّ تفاصيل المذهب (الميكيافيلي) و المذهب (التزاحمي) و المذهب (التحاصصيّ) ألأسوء من جميعها تحت مظلة كل العناوين البراقة التي تُجيز لهم الأتيان و للأسف الشديد؛ بِكلّ ظلم و حرام و مفسدة - لا من أجل الوصول للحقّ - بل من أجل أدامة و حفظ الحكومة و النظام الفاسد كيفما كان لرضا أنفسهم و إبقاء الوطن و الناس على ما هم عليه من الضياع و التيه و الفقر و المرض و الخراب و الجهل و فقدان القيم و الاخلاق ..**
**و هكذا أشيع الفساد بين ألناس شيئا فشيئاً حتى تغلغل الظلم و الطبقية بشكل كبير .. و الشواهد كثيرة في كلّ البلاد و العباد .. بحيث لم تبق لحكومة عليّ الأعلى سوى ذكره أحياناً على منبر أو مجلس خاص..**

**و أطلب في النهاية و بكلّ تواضع؛ من الأخوة الباحثين و آلمثقفين و الأعلاميين و أساتذة الجامعة و السياسيين و آلرؤوساء و المسؤولين؛ السّعي لقراءة هذا السّفر العظيم و تحليل بياناته لبناء الفكر الذي هو الأساس و القاعدة التي نبني بها و عليها الحضارات و المدنيّات ..**

**ثم السعي بإخلاص لنشر المضمون على الطلبة و المتعلمين في جميع المراحل الدراسيّة حتى الجامعة, و كذلك في المراكز الفكرية و الثقافية و إدامتها .. فآلعالم و بلاد الإسلام و العرب و العراق خصوصاً يحتاج التسلح بهذه آلثقافة الكونيّة الأساسية و الفكر و الأدب بدل ثقافة الأحزاب التي علّمت الناس على الفساد و سوء الأخلاق ..**

**هذا .. لبناء الأنسان المُعبّأ بآلفكر و العلم و الرّحمة و التواضع في نفس الوقت للبناء و تحقيق الغاية من الوجود .. بدل البشر الحالي المتكبر و المزيف الذي تطبّع على العنف و الخصام و الأنتهازية والطفيلية و العداء الذي سبب و يسبب ألأنانيّة و العنف و الطلاق و هدم أواصر الوحدة الأجتماعية و الأنفصال و التنابذ و المؤآمرات و النزاع و غيرها من الأمور التي تُفرح الشيطان و الأعداء من أبنائه ..**

**و الحمد لله رب العالمين ..**

**و لا حول و لا قوة إلا بآلله العليّ العظيم.**

و هي

## أسئلة لما بعد الفكر لِتقويم ألحياة:

**ما هو الفكر .. و ما هو بعد الفكر ؟**
**ما الفرق بين الأنبياء و الفلاسفة ؟**
**ما هي حقيقة القضاء و القـــدر ؟**
**ما هو مفهوم الفكر في الفلسـفة ؟**
**ما الفرق بين الفـــكر و التفـكير؟**
**ما الفرق بين العلم و الثقـــافة ؟**
**ما الفرق بين العلم و الثقافة و المعرفـة ؟**
**ما هي أهمّ خصائص التفكـير الفلسـفيّ ؟**
**ما معنى خلق القـرآن أو إصالة القـرآن ؟**
**ما الفرق بين إصالة الفرد و إصالة المجتمع و أيهما الأولى ؟**
**ما الميزة التي ميّز الله بها آلأنسان عن باقي المخلوقات ؟**
**ما المقصود من حديث الأمام الباقر(ع) بشأن المراتب الفكرية – ألعلميـّة, حيث قال:**
**[ألعلم ثلاث درجات؛ أوّلـها؛ تكبر, و ثانيها؛ تواضع, و ثالثها؛ عَلِمَ أنّـهُ لا يعلم شيئاً].**

197.....

# ألمصادر

## ألمصادر

(1) مجمع المعجم الوسيط، ج2ص865.
(2) للتفاصيل ينظر (ديورانت), قصة الحضارة, ج1ص 3 و 4.
(3) (سورة الأحزاب/7).
(4) راجع تفاصيل الوصية في مباحثنا في كتاب : (أسفارٌ في أسرار الوجود).
(5) جواهر المطالب للطريحي، ص 135 ، ح 119.
(6) (سورة ألزّمر /9).
(7) (مجلسي, محمد باقر), بحار الأنوار, مؤسسة الوفاء, لبنان – بيروت, ج68, ص319 ط1.
(8) (سورة الحج/46).
(9) عن عليّ(ع) ؛ [فكر المرء مرآة تُريه حُسن عمله من قُبحه].
(10) عن عليّ(ع) ؛ [مَنْ كثرت فكرته حسنت عاقبته, و الفكر مرآة صافية و ا لفكر ينير اللب و الفكر جلاء العقول].
(11) عنه(ع) أيضاً ؛ [فكر ساعة قصيرة خير من عبادة طويلة].
(12) و عن عيسى (ع) ؛ [كونوا نُقّاد الكلام].
(13) وعنه(ع) ؛ [أصل العقل ألفكرو ثمرته السلامة].
(14) وعنه(ع) ؛ [ألفكر في غير الحكمة هوس]
(15) وعنه(ع) ؛ [ من ترك الإستماع من ذوي العقول مات عقله].
(16) وعنه(ع) ؛ [إضربوا بعض الرأي ببعض يتوّلد منه الصّواب], و عنه (ع) أيضا؛ [من شاور الرّجال شاركها في عقولها].
و يوعز سيجموند فرويد نشأة الحضارة التي هي نتاج الفكر .. ثمّ الخيال في جوهره و إنطلاقتها ؛ بكونها كما أشرنا سابقاً إلى الفكر و الثقافة بتعبير دقيق و هام للغاية, هو :
[بدأت عندما قام رجل غاضب لأوّل مرّة بإلقاء كلمة بدلاً من حجر].
(17) بحسب تايلور [الثقافة هو ما يبقى في آلفكر بعد ما ينسى آلأنسان كلّ شيئ].
(18) ألقيمة أو المراتب آلكونيّة ـ الوجودية للأنسان في فلسفتنا هي:
قارئ – مثقّف – كاتب – مُفكّر – فيلسوف – فيلسوف كوني – عارف حكيم.
(19) [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ...] (سورة فصّلت/53).
(20) سورة الأعراف/ 96.
(21) باحث مغربي، قدّم أطروحة دكتوراه حول التحولات الثقافية في مجتمع الإعلام.
(22) شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، الطبعة الرابعة(معادة)، دمشق، 2000م، ص50.
(23) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، دار الفكر، الطبعة الخامسة عشرة، دمشق، 2011م، ص101.
(24) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص108.
(25) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص 85-86.
(26) مالك بن نبي ومشكلات الحضارة: دراسة تحليلية ونقدية، زكي ميلاد، دار الفكر، ط1، دمشق، 1998م، ص96.
(27) التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، الطاهر سعود، سلسلة [فلسفة الدّين و الكلام الجديد]، دار

الهدى، الطبعة الأولى، بغداد، العراق، 2006م، ص 211.
(28) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ص11.
(29) نفس المرجع السابق، ص 29.
(30)نفس المرجع السابق، ص 72-73.
(31) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص56.
(32) نفس المرجع السابق، ص 74.
(33) تأملات، مالك بن نبي، دار الفكر، طبعة معادة للطبعة الأولى 1979م، دمشق، 2002م، ص 147.
(34) مجالس دمشق، مالك بن نبي، دار الفكر، ط2، دمشق، 2005م، ص 106.
(35) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص 89.
(36) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ص 74.
(37) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص 93.
(38) القضايا الكبرى، مالك بن نبي، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق، 1991م، ص 89.
(39) نفس المرجع السابق، ص 111.
(40) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص 156.
(41) في مهب المعركة، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثالثة، دمشق، 1981م، ص.129.
(42) نفس المرجع السابق، ص 129.
(43) بين الرشاد و التيه، مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، دمشق، 1988م، ص.130.
(44) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص 117.
(45) تأملات، مالك بن نبي، ص 129.
(46) مجالس دمشق، مالك بن نبي، ص. 103.
(47) نفس المرجع السابق، ص 105.
(48) نفس المرجع السابق، ص 69.
(49) مجالس دمشق، مالك بن نبي، ص 109.
(50) تأملات، مالك بن نبي، ص 148 .
(51) مجالس دمشق، مالك بن نبي، ص 110.
(52) والصحيح أن لفظة "ثقافة" وردت بمعان لغوية مختلفة في ستة مواضع في مقدّمة ابن خلدون ذكرناها سابقا، و كذلك عمل مالك بن نبي على تدارك هذا الأمر جزئياً و بشكل غير دقيق لاحقا قي كتابه: (مجالس دمشق)، المؤلف سنة 1972م و الصادر في طبعته الأولى سنة 2005م، في الصفحة الرابعة و التسعين حيث ذكر أنها وردت مرتين أو ثلاثا, هذا إلى جانب القواميس و المعاجم اللغوية كلسان العرب.
(53) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ص 24-25.
(54) قبل عام أرسل لي أحد الأصدقاء ألأعزاء و هو أستاذ جامعيّ في العراق مقالاً عرض فيه مؤلفات زميله الدكتور... و بحوثه في مجال تخصصه و مَجّدَ تلك آلشخصيّة ألعلميّة و دعى آلناس لقراءة مؤلفاته التي بلغت العشرات عبر كوكل!
فكتبتُ لهُ: [و هل أتى ذلك (الأستاذ) بنظريّة أو كشف أو إختراع أو شيئ جديد لم يسبقه فيه غيره من قبل؟ و ما هي المعايير التي إتبعتها لتقيّيمك لتلك الشخصيّة .. مع جلّ إحترامنا لكَ و لهُ؟
فهل أبدع شيئاً كان له أثر في تقدم و تطور الوضع في المجال ألمدنيّ و الحضاريّ في العراق أو غيره من البلدان و العالم؟ و ختمت القول: (حين نريد أن نعرّف شخصيّة علميّة معيّنة كـ(آلبرت آينشتاين) أو (محمد باقر الصدر) أو الملا صدرا؛ فأننا بآلنسبة لآلبرت آينشتاين؛ نشير إلى النظرية النسبية لتعريفه .. و إلى

(فلسفتنا) لتعريف الصدر الأوّل, و إلى الأسفار الأربعة للملا صدرا, هذا على سبيل المثال, فأرجو يا عزيزي أن تكتب لي جواب سؤآلنا الآنف و نحن بإنتظاره لنستفيد و شكراً على متابعتك لذلك],
طبعا لا نذكر إشراف الجاهل المقبور صدام على رسائل الدكتوراه في العراق و هو لا يعي حتى معنى إسمه بآلأضافة لإجرامه الذي سيبقى على مدى التأريخ عاراً على العراق و العراقيين الذين أيّدوه والعرب و الكُرد إلى أبعد الحدود و كلّ يُبرّر تأئيده لأسباب نفعية أو طمعاً أو خوفاً أو للحصول على مال و منصب .....إلخ.
(55) حين كتب ألفيلسوف (محمد باقر الصدر) كتاب إقتصادنا ثمّ (فلسفتنا) خلال ستّينيات القرن الماضي؛ برز أساتذة الحوزة النّجفية التقليديّة مُعلنين الحرب عليه و على نهجه و تفكيره و أعلن أكثرهم كفره.. و كذا أساتذة جامعة بغداد و على رأسهم رئيس "الحزب الأسلامي في العراق(الدكتور محسن عبد الحميد), و حزب الأخوان المسلمين العراقي هو فرع من حزب الأخوان المسلمين الذي ألّف كُتيّباً بخصوص ذلك إنتقد فيه (فلسفتنا) بشكلٍ ظالم و من جُملة ما إدّعاه في إنتقاداته ألملفقة؛ أنّ (محمد باقر الصدر) كَتَبَ (فلسفتنا) و إعتمد في آرائه و تحليله على آراء ألمذهب (ألشيعي), بينما آلمؤلف(قدس) لم يذكر و لا مرّة واحدة ألمذهب الشيعي و لا حتى المذاهب الأخرى لا مِنْ بعيد و لا من قريب, لأنّ الكتاب أساساً لا يتعلّق بقضيّة المذاهب, و هكذا بقية إنتقاداته التافهة, تصوّر أخي الباحث مع هذا الوضع الهابط للعلم في بلادنا؛ هل من الممكن أنْ يتطوّر نحو الأحسن يوماً ما!؟ لقد كان من المفروض على هذا الذي سمّوه بـ"الدكتور" أن يبحث و يتوسع في مضمون (فلسفتنا), نراه يُحاول تفنيده بلا دليل للأسف بدعم من النظام السياسي الحاكم, و ليومنا هذا تسير "الأنظمة" بنفس السياسة و آلأحكام و بكل غباء لإبقاء الشعوب غاطسة في آلجهل لسرقتها, وهكذا في بلادنا ينتقدون لأجل الهدم لا البناء.
(56) الحضارة – الثقافة - المدنية: دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، نصر محمد عارف، ص26-27.
(57) نفس المرجع السابق، ص 27.
(58) نفس المرجع السابق، ص 30.
(59) نفس المرجع السابق، ص 63-64.
(60) نفس المرجع السابق، ص 31-33
(61) حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، سوزان حرفي، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، 2010م، ص 335-336.
(62) نفس المرجع السابق، ص 337.
(63) نفس المرجع السابق، ص 339-340.
(64) اللغة و المجاز: بين التوحيد و وحدة الوجود، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002م، ص 194.
(65) نفس المرجع السابق، ص 194-195.
(66) حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، سوزان حرفي، ص. 338.
(67) عقد هذا المؤتمر في القاهرة بتاريخ 19-21 فبراير 1992م، وذلك تحت إشراف المعهد العالمي للفكر الإسلامي ونقابة المهندسين بمصر. وقد توصل المسيري بعد المؤتمر بأبحاث جديدة قرر أن ينشرها عام 1993م في كتاب من جزأين ضخمين صدر عن نقابة المهندسين بالقاهرة، ثم صدر عام 1995م عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي ونقابة المهندسين بعنوان: "إشكالية التحيز". ثم أعيد نشر الكتاب في طبعتين: طبعة ثانية عام 1417هـ-1996م (منقحة ومزيدة)، وطبعة ثالثة عام 1418هـ-1998م في سبعة أجزاء حملت عنوان "إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد".
(68) اللغة و المجاز: بين التوحيد و وحدة الوجود، عبد الوهاب المسيري، ص 197-211.

حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، سوزان حرفي، ص 179.

(70) نفس المرجع السابق، ص. 263.

(71) رحلتي الفكرية: في البذور والجذور والثمر، عبد الوهاب المسيري، سلسلة مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد 74، القاهرة، 2002م، ص. 348.

(72) حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، سوزان حرفي، ص.277.

(73) نفس المرجع السابق، ص. 348-349.

(74) نفس المرجع السابق، ص. 349.

(75) White, L, A, Dillingham, The concept of culture, Edina Alpha Editions, A.Division of Burgess International Group, 1974, p. 69.

(76) الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، محمود الذاودي، ص 267.

(77) أضواء جديدة على طبيعة الثقافة في الرؤية المعرفية الإسلامية، محمود الذاودي، ص 131.

(78) أضواء جديدة على طبيعة الثقافة في الرؤية المعرفية الإسلامية، محمود الذاودي، ص 132.

(79) نفس المصدر السابق, ص133.

(80) نفس المرجع السابق، ص 147.

(81) الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، محمود الذاودي، ص 267.

(82) أضواء جديدة على طبيعة الثقافة في الرؤية المعرفيّة الإسلاميّة، محمود الذاودي، ص 140-143.

(83) نفس المرجع السابق، ص. 147-148.

(84) الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، محمود الذاودي، ص 93-94.

(85) مراحل ألرقي البشري لنيل درجة الآدمية تتكون من ثلاث مراحل ؛ البشرية ثم الإنسانيّة ثم الآدميّة. فآلخصوصية الآدميّة عن المخلوقات في نفخ روح الله في (آدم)، حيث يستشهد الباري بثلاث آيات قرآنية:

" فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ من روحي فقعوا له ساجدين" [سورةالحجر: الآية 29].

" فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" [سورة ص : الآية 72].

" فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ" [سورة ص : الآية 72].

كما استدل على سيادة الإنسان في هذا الكون بآية الخلافة,قوله تعالى في القرآن :

"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا." (سورة الأحزاب: الآية 72).

(86) و هي الفرقة التي إعتزلت ألحياة السياسية و الاقتصادية و الأجتماعية إبان فترة حكومة الأمام علي(ع) يقابلها المرجئة(الأشاعرة) بعد ما تفاقمت الأوضاع بين حكومة الشام بقيادة معاوية بن ابي سفيان و حكومة الامام على(ع) في الكوفة و تفرق المسلمون على الحق العلوي بين خلافة علي(ع) إلى قاسطين و مارقين و ناكثين!

و قد إتخذ المعتزلة مدينة البصرة مركزاً لهم بقيادة أبو الحسن الاشعري البصري, صاحب كتاب "مقالات الإسلاميين" ألذي هو اقدم من مقدّمة إبن خلدون في بيان ألأسس الأجتماعية للفرق الاسلامية و هو مؤصل اصول السنة, و كل فقيه سني جاء من بعده كان فقيهاً بآلفروع, و في العصر آلعباسي حَجَرَ الخليفة القادر بآلله في القرن الرابع ألهجري على المدارس و المذاهب الفقهية ما عدا المدارس ألسنية الأربعة ألمعروفة(ألمالكية؛ ألشافعية؛ ألحنبلية؛ ألحنيفية) و لم يكن لهم كلّهم غير الأشعري اصلاً, و تمّ إغلاق باب الأجتهاد حتى ظهرت السلفية خلال ألثلاثة قرون ألأخيرة ألذين أعتمدوا و أخذوا ما ورد في الأحاديث مباشرة من دون آلأعتماد على المذاهب, و هكذا وصفتْ بآلمدرسة السلفية و هي متزمته جداً لأنها لم تُبنى

على الجدل و الكلام و القواعد الأصولية الفقهية بل على الآراء الشخصيّة المغلقة كآراء إبن تيمية و آلقاضي عبد الجبار أحد ابرز أركان ألمعتزلة في شرح مبررات القول بخلق القرآن إلى آلقول؛ "أن القرآن كلام الله و وحيه و هو مخلوق محدث أنزله الله على نبيّه ليكون علماً و دالاً على نبوته, و جعله دلالة لنا على الأحكام لنرجع إليه في الحلال و الحرام و إستوجب منا بذلك ألحمد و آلشكر و التمجيد و التقديس .. و قد نفى المعتزلة صفة الأعجاز عنه, و من أبرز الرجال المتأخرين في هذه المدرسة هو محمد عبد الوهاب ألنجدي ألذي ذاع صيته خللا القرنين الأخيرين و عرف بآلمذهب الوهابي. و بشكل عام تُشكل مسألة خلق ألقرآن ألتي قال بها المعتزلة أخطر قضية مثارة في الجدل اللاهوتي ألذي شهده التاريخ الأسلامي خصوصاً في العصرين الأموي و آلعباس و إلى يومنا هذا, فلا تزال تحتل موقعاً راهناً في السجال حول كيفية قراءة ألنّص الديني و التعامل معه, حيث إعتقد المعتزلة بأن القرآن مخلوق و ليس أبدياً .. لأعتماد العقل في تفسير الشريعة الاسلامية, و إستندوا هنا أيضاً على نصوص دينية لدعم حجّتهم في هذا المجال, و كانت إنطلاقتهم من مسألة صفات الله, فبعد أن قرّروا وحدة الذّات ألألهية و صفاتها؛ قرّروا نفي الصفات الزائدة عن ألذّات ثمّ تحوّلوا إلى النّظر فيما وراء تلك آلصّفات داخل ألنصوص ألدينية عبر إخضاعها للتأويل العقلي و التلاعب بآلنصوص القرآنية بشكل غير مالوف حتّى وصل الأمر بتكفير المسلمين و ذبحهم بإسم الجهاد في سبيل الله.

(87) لتحقيق ألتكامل ألأنساني الذي معها تتحقق بوجودنا الخلافة الألهية لا بُدّ من تخطي 3 مستويات هي؛ ألحالة البشرية؛ هذا المستوى يشترك فيه جميع بني الأنسان - بني آدم من حيث ألتكوين الغزائزي ألمادي بضمنها الحواس الخمسة و غريزة الاكل و الشرب و النوم و الشهوة و يشاركهم بذلك معظم الحيوانات مع بعض النباتات أيضاً كما دلّتْ التجارب العلمية على ذلك مؤخراً, و تختلف درجة قوّة التمثيل من مخلوق لآخر و حتى بين البشر نفسه و قد يكون بعضهم بمستوى الحيوان أو ينحدر دون ذلك بدرجات.

ألحالة الأنسانية؛ تتمثل هذه الصفة بآلذين ترفّعوا من آلمستوى آلأول(البشرية) إلى مستوى أعلى و أسمى عبر التركيز على تهذيب و تفعيل الجوانب ألأنسانية بتفعيل الضمير الباطن و التّحلي بمحاسن الأخلاق و الخصال الحميدة تمهيداً لتحقيق مكارم الأخلاق في النفس ليرتقي صاحبه مقام الاولياء و الأنبياء و الصالحين, و هناك أيضاً درجات و مستويات عديدة للسالك في هذا الجانب لا مجال لبحثه هنا.

ألحالة الآدمية؛ و هو المستوى ألأرقى الذي يستوي معه آلأنسان ألعاشق مع "أديم" ألأرض ألذي إشتقّ منه إسم "آدم" كصفة دلالية لهذه الحالة .. بمعنى تحقيق التواضع الكامل في وجود ألأنسان فتراه يتّصف بآلحلم و الزهد و الرأفة و الرحمة والسّخاء و العطف و المحبة و نكران الذات, و هي العقبة الكأداء ألأكبر ألتي أشار لها الباري تعالى في سورة البلد؛ (فلا إقتحم العقبة, و ما أدراك ما العقبة)(آية11و12)!

والصفة الترابية (الآدمية) قد أطلقها الرسول الكريم(ص) على وصيّه فقط عندما كنّاه بـ (أبو تراب).

(88) دريدا, جاك2003م, (ما آلذي حدث في 11سبتمبر), ترجمة صفاء فتحي, مراجعة بشير السباعي, دار آلمشروع القومي للترجمة, ألمجلس الأعلى للثقافة, ألقاهرة, 2003م, ص119 – 120.

(89) راجع جون كوتنغام(ألعقلانية) ترجمة محمود منقذ ألهاشمي, مركز ألأنماء الحضاري, حلب1997/ ص166.

(90) Richard Brandt, Ethical Theory, Englewood Cliffs, New Jersey:Prentice . Hall 1959. P. 271

(91) للتفاصيل راجع مقالنا في (صوت العراق | طريق آلحياة(sotaliraq.com) ) بعنوان؛ طريق الحياة, و كتاب (ألاخلاق و العقل), دار الشروق للنشر و التوزيع, عمان 1990م ص148م.

(92) راجع سيرة الأمام عليّ في جميع المصادر التأريخية, التي عرضها إجمالاً الكاتب المسيحي المرحوم جورج جورداق, في كتابه [عليّ صوت العدالة الأنسانية], كتاب جعفر صادق و غيرها من مصادر المذاهب

**203.....**

**الأسلامية.**
**(93) سورة يوسف / 111.**
**(94) سورة البروج / 17.**
**(95) سورة النساء / 79.**
**(96) سورة الجاثيّة / آية 3-6.**
**(97) دريدا, جاك2003م, (ما آلذي حدث في 11سبتمبر)؟ ترجمة صفاء فتحي, مراجعة بشير السباعي, دار الشروق للنشر و التوزيع, عمان 1990م..**
**(98) سورة ص / آية27.**
**(99) سورة المرسلات / 7.**
**(100) سورة ألرّوم / 1-5.**
**(101) سورة الأعراف: 115-118.**
**(102) سورة الأعراف / 116.**
**(103) سورة الإسراء / 81.**
**(104) سورة فصلت / 53.**
**(105) سورة القصص/ 85).**
**(106) سورة العنكبوت / 1-4.**
**(107) سورة المؤمنون / 115.**
**(108) سورة يونس / 50-51.**
**(109) سورة الطور / 7.**
**(110) سورة الواقعة / 2.**
**(111) لتحقيق ألتكامل ألأنسانيّ الذي معها تتحقق بوجودنا الخلافة الألهية؛ لا بُدّ من تخطي ثلاث مستويات هي؛ ألحالة البشرية؛ هذا المستوى يشترك فيه جميع بني آدم و حتى الحيوانات و الحشرات من حيث ألتكوين الغزائزي ألمادي بضمنها الحواس الخمسة و غريزة الاكل و الشرب و النوم و الشهوة و يشاركهم بذلك معظم الحيوانات مع بعض النباتات أيضاً كما دلّتْ التجارب العلمية على ذلك مؤخراً, و تختلف درجة قوّة التمثيل من مخلوق لآخر و حتى بين البشر نفسه و قد يكون بعضهم بمستوى الحيوان أو ينحدر دون ذلك بدرجات.**
**ألحالة الأنسانية؛ تتمثل هذه الصفة بآلذين ترفّعوا عن آلمستوى آلأول(البشريّ) أو الظاهري إلى مستوى أعلى و أسمى و أعمق عبر التركيز على تهذيب وتفعيل السلوك و الجوانب ألأنسانية بتفعيل الضمير الباطن والتّحلي بمحاسن الأخلاق و الخصال الحميدة تمهيداً لتحقيق مكارم الأخلاق في النفس ليتأهّل و يرتقي صاحبه لمقام الأولياء و الأنبياء و الصالحين, و هنا أيضاً درجات و مستويات عديدة للسالك لتخطي مراحلها الكاملة و لا مجال لبحثه هنا.**
**ألحالة الآدمية؛ و هو المستوى ألأرقى الذي يستوي معه آلأنسان ألعاشق مع "أديم" ألأرض ألذي إشتقّ منه إسم "آدم" كصفة دلالية لهذه الحالة .. بمعنى تحقيق التواضع الكامل في وجود ألأنسان فتراه يتّصف بآلحلم و الزهد و الرأفة و الرحمة والسّخاء و العطف و المحبة و نكران الذات, و هي العقبة الكأداء ألأكبر ألتي أشار لها الباري تعالى في سورة البلد؛ (فلا إقتحم العقبة و ما أدراك ما العقبة)(11و12)!**
**(112) القرآن الكريم.**
**(113) الكتب السماوية؛ كآلتوراة و الأنجيل و الزبور و غيرها.**

و هي

**204.....**

**(114) الأحاديث القدسية.**
**(115) الأحاديث النبوية.**
**(116) نهج البلاغة و الحك.**
**(117) أضافة إلى مجموعة من المقالات و البحوث التي كتبتها في فترات سابقة و أعتمدتها في فصول و متون هذا الكتاب الذي يجب أن يقرأه كل مثقف و مفكر يبغي معرفة الحقيقة.**

و هي

206.....

**تمّ الكتاب بعونه تعالى**

و هي